مقالات لازمة لحماية أبنائنا من الإلحاد

الله
والإنسان
والكون المادي
فى الإيمان الأرثوذكسى

(ومقالات أخرى)

د.هانى مينا ميخائيل

* فى هذا الكتاب تحديات لابد من مواجهتها بكل صراحة. فالذى زرع بذرتها فى تعاليمنا نحن أنفسنا! لأننا كثيرا **لا نميّز بين «المطلق الثابت» فى عقيدتنا (إعلان الله لنا** فى تعاليم المسيح **فقط**، كما فى قانون الإيمان) وبين **تفاسير** العقيدة، وآرائنا **وطقوسنا**، وهى **«إجتهادات نسبية» من وضع البشر**. بذلك نلبس النسبى ثوب المطلق، ثم بعدها **لا نعرف كيف نميز بين ما هو نسبى قابل للتغيير والقبول والرفض**، وما هو مطلق ثابت.

* يسخر منا الملحدون أن إلهنا إله سادى. لأن جدّنا الأول عندما أكل ثمرة محرمة، حكم الله عليه وكل نسله بالموت، لينتقم لعدله وكرامته المهانة بخطية الإنسان! ثم طلب الله من إبنه أن يموت كبديل قانونى يتحمل عقوبة الموت بدلاً منا. أى يصبح الفداء والخلاص والكفارة هم جوهرياً إتمام **«عقوبة بدل عقوبة»**، لإشباع سادية هذا الإله الذى لا يهدأ غضبه إلا برؤية الدم والموت! هل هذا حقاً تعليم الكنيسة؟!

* هل الرجل بالنسبة للمرأة، وبالتبعية الأسقف بالنسبة للكنيسة، **رأساً وسيداً بذكورته؟** فإذا كان «الله الآب هو **رأس المسيح** المساوى له»، ألا نتعلم أن الرئاسة فى الأسرة والكنيسة هى البذل حتى الموت بين **متساويين؟**

* **هل المادة (والجسد بأعضائه وإفرازاته ضمناً) نجسين**، كما علم الغنوسيون والمانويون، ومن بعدهم كل الهراطقة، ولذا علموا أن التجسد الإلهى مستحيل، بل **شبّه له**، لأن الله لا يمكنه الإتحاد بالمادة والجسد النجسين؟

* **هل هناك رغبة جنسية و«شهية» جنسية جيدة؟** أم أن كل رغبة جنسية هى **«شهوة»** غير مقدسة؟ ما معنى العفة قبل الزواج وبعده؟ **العادة السرية لم يجرمها الكتاب المقدس والطب يؤكد أنها طبيعية ولا تسبب أى ضرر** جسدى أو نفسى، ويمارسها أكثر من ٩٥٪ من الذكور و ٦٠٪ من الإناث منذ البلوغ وحتى الممات.

* الدوافع الإنسانية (الحاجات أو الغرائز) خلقها الله وكلها لها **أهداف ومتع**. والتمتع الجسدى فى الأكل والجنس (الأورجازم)، والنفسى فى التقدير والنجاح وتحقيق الذات، كلها سببها إفراز **هرمون الإندورفين** فى المخ، كما خلقنا الله. **فلماذا نسمع أن التمتع الجسدى ليس فى قداسة الإمتناع عن المتعة؟**

* إن كان الرب قد ناول جسده ودمه الأقدسين لتلاميذه بعد العشاء **مباشرة**، وبدون أى صوم أو منع إلزامى عن الأكل أو العلاقة الجنسية فى الزواج، **فمن ذا الذى إعتبر نفسه أكثر تقوى وحكمة من الله وقنن هذا المنع؟**

* **لم تحُسب الأسرار الكنسية أنها سبع إلا فى الكنيسة الكاثوليكية فى القرن ١٦!** كان هذا **لحماية تسلط الإكليروس** فى الغرب عند ظهور الإصلاح البروتستانتى. كنيستنا القبطية عدّتهم سبعاً فى القرن العشرين فقط!

* إن كان الرب بنفسه قد إعتبر أن طقس الفرح الإنسانى، كما فى مثل الإبن الضال، يُعبرّ عنه بأفخر الطعام واللباس والحُلِى، وبصوت آلات **الموسيقى والطرب والرقص** ... **فبأى سلطان يُجرّمهم البعض؟!**

الله والإنسان والكون المادي
في الإيمان الأرثوذكسي

(ومقالات أخرى)

حوارات لازمة لحماية أبنائنا من الإلحاد
(طبعة ثانية مزيدة)

تقديم الطبعة الأولى

المتنيح القمص أنطونيوس أمين
راعي كنيسة مار مرقس بمصر الجديدة

بحث ودراسة

د. هاني مينا ميخائيل

أغنسطس (أي قارىء) بالكنيسة القبطية الأرثوذكسية
دارس بمعهد الدراسات المسيحية الأرثوذكسية
بجامعة كامبريدج – إنجلترا

تقديم الطبعة الأولى
للمتنيح القمص أنطونيوس أمين ١٩٩٢

كاتب هذه المقالات

- أراد أن يكون شاهداً أميناً للحق الإلهي «وتكونون لي شهوداً... إلى أقصى الأرض» (أعمال ١: ٨).
- وأراد أن يكشف عن الكنوز الخفية في التراث الثمين للكنيسة في عقائدها وطقوسها. ويبين أصالة هذا التراث الكنسي المستمد من الكتاب المقدس وأقوال الآباء، وذلك بروح الكاتب المتعلم «وكل كاتب متعلم في ملكوت السموات يشبه رجلاً رب بيت يخرج من كنزه جدداً وعتقاء» (متى ١٣: ٥٢).
- وهو يكتب بروح خادم عاش حياته في الكنيسة وأحبها وعاصر المخدومين من الشباب وتساؤلاتهم ومشاكلهم، وشعر بالتحديات الشديدة التي تواجه إيمانهم وتحتاج إلى إجابات مستنيرة واضحة لتثبيت إيمانهم حتى يكونوا «مستعدين دائماً لمجاوبة كل من يسألهم عن سبب الرجاء الذي فيهم» (١بطرس ٣: ١٥).
- وهو يكتب بروح من يريد أن يربح النفوس للمسيح وللكنيسة ولا يريد أن يخسر منهم أحداً بسبب الجهالة أو التعنت. ورابح النفوس يعلم قيمة النفس البشرية وكم هي ثمينة عند الله «صرت للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء – صرت للكل كل شيء لأخلص على كل حال قوماً» (١كورنثوس ٩: ٢٢).
- وأراد أن يصوغ خبرته من خلال اختبار مسيحي صادق في حياته الخاصة وفي حياته الأسرية وحياته الإيمانية، لكي يفيد به جيلاً من الشباب شعر بإحتياجاته الملِّحة للحماية من الضياع.
- وأراد أن يستفيد من تجربة شخصية ألَّمت به وحاصرته، لعله يجعل منها مصدر بركة له وللآخرين أيضاً من خلال مخدعه وخلوته الروحية.

فليبارك الرب رسالته لمجد اسمه القدوس.

القمص أنطونيوس أمين

مقدمـــة

تمهيد:

أنا الآن تعديت الستين عاما من العمر. أمضيت منهم أكثر من ست وثلاثين عاما في بريطانيا (وهى بحق تحوى ممثلين عن كل شعوب وقبائل وجنسيات الأرض!) وعملت حتى التقاعد حديثا كطبيب جراح إستشارى. متزوج سعيد بنعمة الله منذ السبعينيات. والآن أنا أب وجد، أستعد لأحضان الرب لى في سماء مجده، التي سُرّ الآب أن يعطيها لى، ولكل إبن وإبنة في إنتظاره دوما. أؤمن أننى أحسنت تربية وتعهد إبنتى وإبنى وتدبير بيتى، وإجتهدت بالعلم ومعونة الله لمشورة مرضاى وعلاجهم، وتعليم مئات من الأطباء الجدد، على قدر طاقتى.

بهذا شاهدت وقرأت وحاورت الغرب بما فيه من إيجابيات وهي أكثر بكثير من سلبياته، على عكس ما كنت واهما بسبب التربية شديدة التحفظ التي نشأت عليها في مدارس الأحد والمجتمع المصرى الشرقى، بما فيه من سلبيات وهي أيضا أقل من إيجابياته. لهذا أحسست أننى مدين لكل إنسان بنشر ما تعلمته عن الحياة مع الله والكنيسة، ومع الزوجة والأبناء والأهل والأصدقاء، بل وكل العالم الرائع الذي حملنى على أكتافه منذ خرجت من بطن أمى. العالم الذي أحسن إستقبالى وأمشانى على أرضه الطيبة **هانيا** بحق (كما أسمانى أبى وأمى)، مغنيا عازفا راسما مصورا قارئا كاتبا، وممثلا لمصر في بطولات عالمية لنماذج الطائرات. العالم الحسن جدا، والذي أطعمنى وربانى ودربنى ورقانى ولم يبخل على بكل ما خلقه الله لتنعمى ورضاى الكامل، بتحقيق كل ما يشتهيه الإنسان على هذه الأرض. هذا، وقد زرع هذا العالم الطيب فىّ الرجاء الكبير في رحمة الله ومحبته، وأنه قطعا

وبلا تردد سيأخذنى من يدى اليمنى ويدخلنى إلى المجد الأبدى، يوم أغمض عيناى عن الأرض راضيا، ومشتاقا لأحضانه التي أتنعم فيها كل لحظات عمرى، بالرغم من كل خطاياى، وهي أكثر من أن أعدها لكم وأعثركم.

هذا الكتاب، في الطبعة الأولى (تقديم القمص أنطونيوس أمين ١٩٩٢) كان محاولة مختصرة جدا بدأت بها تقديم تاريخ بعض هذه التحديات التي يواجهها أبنائنا، والتي يجب أن نتحمل نحن آبائهم الكثير جدا من أوزارها، **لأننا قد شاركنا في خلق وتثبيت الكثير من هذه العثرات كـــ "عقيدة"**، بجهل أو خوف أو عناد، للدفاع عما نظن نحن أنه الأرثوذكسية الحقة، وهو ليس إلا كبرياء جيل تصلبت شرايين فكره على ما قدمه لنا الغرب في كتب الإرساليات في القرنين السابقين، والآن علينا تقديم توبة روحية فكرية لكي نحمى إيمان أبنائنا إن كنا نَصْدُق الله وأنفسنا ونحب أبنائنا بحق.

المقالة الأولى من هذا الكتاب، في طبعته الأولى، ''**الله والإنسان والكون المادي في الإيمان الأرثوذكسى**''، قد توسعت في دراستها، كما أرشدنى المتنيح الأب أنتونى بلوم، رئيس أساقفة الروس الأرثوذكس لأوروبا، في كتابى الثانى **"العدالة الإلهية حياة لا موت، ومغفرة لا عقوبة"** (٢٠٠٩) والذي قدم له المتنيح نيافة الأنبا أثناسيوس مطران بنى سويف منذ راجعه في ١٩٩٨. ورأيت أن أعيد كتابة هذه المقالة الأولى، في الطبعة الثانية التي بين أيديك، كما نُشرت في الطبعة الأولى، لتكون ملخصا لبعض مما نشرته في كتاب العدالة الإلهية. هذا، إلى جانب مقالة صغيرة أخرى مما نشر في الطبعة الأولى، بعنوان ''**المعنى العملي للمحبة والمساواة بين أقانيم الثالوث القدوس في الكنيسة والأسرة**''. وتشكل كلا المقالتين ''الجزء الأول'' لهذا الكتاب، أي الطبعة الثانية المزيدة.

أما ''الجزء الثانى'' من هذه الطبعة الثانية، فهو الإضافة الجديدة، وجاء في **سبعة مقالات تشكل توسعا في تفاصيل بعض مما كتبته** في مقالات الجزء الأول، مع حوارات أخرى هامة إقتضتها التغيرات الحادثة في مدة العشرين سنة بين الطبعة

الأولى والثانية، خاصة مع إزدياد الإلحاد بصورة مضطردة في بلادنا بين الشباب.

و يمكن للقارىء تنزيل كل ما كتبت، ومقالات أخرى وكل الـ ١٢٢ فيديو مجانا كما هو مبين تباعا. فكما طلب مني أخوة كثيرون بعد كتابة كتاب العدالة الإلهية سجلت ١٢٢ حديث بالفيديو **كل حديث مدته ١٠ دقائق** (و هذا باللغتين العربية والإنجليزية) ورفعتها على اليوتيوب، وأيضا يمكن مشاهدتها على الموقع الخاص بي تحت العناوين الثلاث الرئيسية:

* "**العدالة الإلهية حياة لا موت، ومغفرة لا عقوبة**" ساعتين ونصف بالعربية.
* "**الله والجنس والحب والزواج**" سبع ساعات بالعربية.
* "**التطور، داروين، وآدم وحواء**" ... كيف نقرأ اليوم ونفسر قصة الخلق والسقوط ورمزيات العهد القديم ساعتين.

الموقع:

www.copticorthodox-divinejustice.com

الجزء الأول من الكتاب

يناقش هذا الجزء من الكتاب، في مقالته الأولى، كما نُشرت في الطبعة الأولى، بإختصار كيف نتفهم مبادىء العقيدة المسيحية عن: **الخلق – السقوط – معنى الفداء والكفارة والخلاص، مع مقارنة** بين اللاهوت الغربى في العصور الوسطى، والذي قام وتم تفسيره السادى على محور ''القانون والعقوبة''، واللاهوت الشرقى الأصيل والقائم على محور ''النعمة والحب'' في علاقة الله والإنسان. ثم نناقش **معنى الكنيسة والأسرار المقدسة وكيف ومتى تلتقى الكنائس الثلاث،** الأرثوذكسية والكاثوليكية والبروتستانتية. وسعدنا جدا لأن **الكنيسة الكاثوليكية وبعض معلمى الكنائس البروتستانتية قد إنتقدوا بشدة وتركوا تفاسير القرون الوسطى هذه، وعادوا في الخمسين عام الأخيرة لأحضان اللاهوت الشرقى،** كما شرحت في كتاب العدالة الإلهية.

و قبل الدخول لدراسة هذه المبادىء العقيدية والتي لخصتها الكنيسة في **قانون الإيمان،** أردت أن أوضح نبذة عن
أسباب وجذور أمهات الإنحرافات العقيدية التي نشأت من خارج الكنيسة، ولكنها أثرت في **كيف ولماذا شرح الهراطقة** الذين ظهروا من داخل الكنيسة أفكارهم، التي كادت تقتلع العقيدة المسيحية من جذورها. كانت قاعدة وأساس تعليمهم أنهم قد **إستنجسوا المادة والجسد،** لذلك سعوا بكل الطرق المعتمدة على المنطق البشرى وحده في التفسير **لرفض التجسد الإلهى تجسدا حقيقيا، بإتحاد اللاهوت الكامل مع الناسوت الكامل، إتحادا حقيقيا بدون إختلال أي من الطبيعتين أي (بغير إختلاط ولا إمتزاج ولا تغيير ولا إفتراق للحظة واحدة ولا طرفة عين، لهاتين الطبيعتين المتحدتين في طبيعة واحدة هي طبيعة "إبن الله**

المتجسد") في شخص المسيح الواحد.

و الواضح أننا لو قبلنا بنجاسة وحقارة المادة والجسد بكل ما خلق الله فيه، فيجب علينا تباعا، ومنطقيا، أن نرفض أن يتجسد الله في هذه النجاسة والحقارة، ونتبع تلك الهرطقات مباشرة !!! **وهذا الخطر مازال يسعى كالحية في كل تعليم يرفض متع الدوافع الإنسانية البيولوجية والنفسية**، كما نسمع من حين لآخر من بعض الوعاظ، خاصة في مواسم الأصوام.

و لكن كما وعدنا الرب في القديم، والآن كما نرى بانبهار في الحديث أيضا: "إن أبواب الجحيم لم ولن تقوى عليها" أبدا. **أمهات الهرطقات التي عانينا، ولازلنا نعانى منها، هي الغنوسية والمانوية والتهود**، والقاسم المشترك الأعظم فيهم هو إستنجاس المادة والجسد وإفرازاته ودوافعه البيولوجية والنفسية والخوف منها، ثم شيطنتها، أي إظهارها كما لو كانت كلها، أو على الأقل متعها، رجس ونجاسة من عمل الشيطان، ومقتضاها جهنم وبئس المصير. والكثير من هذه التوجهات القديمة قد أثرت على الفكر الدينى السلفى الأصولى ليس فقط في المسيحية بل وخارجها عند ديانات أخرى. وإذا تفهمنا هذه الأسباب التاريخية يمكننا بسهولة أن ندرك خطورة تعاليم الهراطقة الكبار الذين ظهروا من داخل الكنيسة، أمثال أريوس ونسطوريوس وأوطاخى (يوتيكس). كما سنرى لم يكن منهم واحدا قد آمن أن الرب يسوع المسيح هو إله ١٠٠٪ وإنسان ١٠٠٪ وأن طبيعته الواحدة، في شخصة الواحد، هي من إتحاد الطبيعتين المذكورتين في إتحاد ١٠٠٪، بغير إختلاط ولا إمتزاج ولا تغيير ولا إفتراق لحظة واحدة ولا طرفة عين.

ثم تُحدثنا المقالة الثانية من الطبعة الأولى عن "**المعنى العملى للمحبة والمساواة بين أقانيم الثالوث القدوس في الكنيسة والأسرة**". فنتفهم أن رئاسة الرجل للمرأة هي على مثال علاقة الآب والإبن: "رأس كل رجل هو المسيح. وأما رأس المرأة فهو الرجل. و**رأس المسيح هو الله** " (١ كورينثوس ١١ عدد ٣). **فهى ليست إذن رئاسة الأعلى للأدنى، بل رئاسة المحبة بين متساويين. كذلك**

يكون الفهم المسيحى أيضا لرئاسة الأسقف في الكنيسة: رئاسة محبة وإيثار وتضحية بالنفس **بين أحباء متساويين في المجد والطبيعة والكرامة والمركز، مع الإختلاف الوظيفى فقط.** كان القديس أثناسيوس ينتقد تعظيم الآب على الإبن في تعليم الآريوسيين، بأنه يقول للآريوسيين أنهم يظنون أنهم (الإكليروس الآريوسى) أعظم من العلمانيين، ولتأكيد هذا الفساد في فهم مبادىء الرعاية الحقيقية، بين الأسقف والشعب، كانوا يشوهون معنى رئاسة الآب للإبن (الآب أعظم من الإبن) ليحتموا بفساد تسلطهم على الرعية، على أسس لاهوتية فاسدة أيضا!!! وإن أخطأ الرجل أو الأسقف إدراك هذا المبدأ (أن **الرئاسة هي في التقدم للتضحية وبذل الذات من أجل الآخر، وليست للتسيّد** كما يفعل رؤساء هذا العالم، وكما حذرنا الرب من إتباع هذا الفساد الأخلاقى)، فقد إستقال هذا الرأس والرئيس عمليا من مكانه ومكانته ورئاسته

To be a **HEAD** is to be **AHEAD** in facing all dangers

الجزء الثانى من الكتاب

الجزء الثانى مكون من ٧ مقالات، هي في أغلبها توسع في تفاصيل ما ذكرته في الجزء الأول. هذا إلى جانب تقديم مواضيع أخرى جديدة جدت بعدما قرأت وتحاورت مع الكثيرين وتأملت في سنى عمرى الماضية منذ الطبعة الأولى ١٩٩٢. والآتى ملخصات قصيرة لأفكار المقالات السبع:

المقالة الأولى

كيف نميز بين المطلق أي ثوابت العقيدة، الدوجما (الغير متغيرة) والتفسيرات والآراء والتعاليم والطقوس النسبية (القابلة للتغيير) في تعاليم الكنيسة

الله هو المطلق الوحيد الكامل. وأقوال الرب يسوع المسيح هي التعاليم المطلقة الثابتة الوحيدة. كل ماعدا ذلك في الكتاب المقدس وتفسيراته وأى تعليم آخر في الكنيسة هو **إجتهاد بشرى**، مهما كان ملهما وموحى به، لتفسير إعلان الله لنا وليس هو الإعلان ذاته. وذلك لأنه يقول: ''**تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس**'' (٢ بطرس ١عدد ٢١). أي أن الله أوحى والبشر تكلم وكتب. تماما كما نستقبل الإرسال التليفزيون الجيد جدا والنقى من خلال أجهزة، منها ما هو نقى ومنها ما هو أقل نقاء. أي ماناراه ونستقبله فعلا يتأثر بكمال أو قصور الجهاز حامل الرسالة، بالرغم من نقاء وكمال الإرسال الأصلى. أي أن هناك عنصر بشرى، ليس معصوما من القصور، أو مطلقا في علمه بكل شيء، أو ملغى عقله وفكره وحضارته، أثناء كتابة أو تعليم ما أوحى له الروح به. ويؤكد لنا د.موريس

تاواضروس، أستاذ اللاهوت بالكلية الإكليريكية للكنيسة القبطية الأرثوذكسية، في الجزء الأول من كتابه "علم اللاهوت العقيدى" (مكتبة أسقفية الشباب بالأنبا رويس) هذا الكلام عينه، في صفحة ٨٤: "**إن الوحى لا يلغى شخصية الكاتب، والكاتب يكتب متأثرا بثقافته وبيئته، وهو ما نلاحظه من إختلاف الأسلوب بين كتب الكتاب المقدس المختلفة، وكذلك عدم إلتزام الكاتب بالحرفية فيما يكتب**". أما تفسير رسالة، أو بالأحرى "**إعلان**"، الرب يسوع المسيح عن الثالوث القدوس وعمله والحياة الأبدية بعد قيامة الأموات، فهذا كله لخصته الكنيسة بإرشاد الروح القدس في **قانون الإيمان (لب وجوهر العقيدة – الدوجما المطلقة الثابتة): من هو الآب وعمله، من هو الإبن وعمله، من هو الروح القدس وعمله. وصف الكنيسة. وإيماننا بقيامة الأموات وحياة الدهر الآتى. آمين.**

كل تعليم آخر هو تفسيرات للدوجما، وآراء وطقوس، هي كلها إجتهادات بشرية، حتى بالرغم من إلهام وقيادة الروح القدس لكل معلم صالح. ولهذا **كل ما هو إجتهاد بشرى، هو رأي نسبى قابل للصواب والخطأ، ولذلك لا يمكننا إلباسه صفة الإطلاق والمساواة مع الدوجما**، لب وجوهر العقيدة المعلن من فم الرب يسوع المسيح وحده. هذا خطأ فادح وخطير وقعت وتقع فيه الكنيسة على مر العصور. وذلك لأن الوحى المقدس بالروح القدس لا يعصم ولا يعفى أي إنسان كان من القصور العلمى والتاريخى بل وأحيانا الأخلاقى أيضا.

إذن كل التعاليم بخلاف ما أعلنه الرب بفمه هي تفسيرات وآراء وإجتهادات بشرية نسبية، غير مطلقة وقطعا قابلة للتغير، لأنها قابلة للخطأ أو الصواب والتطوير، ويمكن الأخذ منها والرد عليها، بل يمكن قبولها أو رفضها مهما كانت لها صورة التقوى والجودة، وحتى لو دامت مقبولة لأجيال متعددة. إلباس النسبى من التعاليم صورة المطلق، لتعظيم المعلم أو الطائفة، هو سبب جل الإنشقاقات الكنسية عبر الأزمان والحرمانات الظالمة التي ترتد على رؤوس من أطلقها، كقول دسقولية الرسل.

المقالة الثانية

كيف نميز بين البار ، والخاطى، والشرير، خاصة في السلوك الجنسى

نحن نعلم أنه ليس بار ليس ولا واحد. وأننا كلنا خطاة، في أحسن أحوالنا نجاهد للتوبة. أما الشرير فهو الإنسان الذى، مع سبق الإصرار، **يحب ويعشق أذية وإضرار وإستغلال البشر والمتاجرة بهم كأشياء ووسائل لغايات، لا كاشخاص تُحترم وتُحب.** ومتى تاب الشرير فهو يحسب مع الخطاة.

ما هي مبررات الغرب للحرية الجنسية بين غير المتزوجين؟ الإجابة تبدأ بالسؤال المبدئى الهام جدا والمطروح وهو: لماذا أسمينا الخطأ بأنه خطأ، أو خطية أو جريمة؟ الإجابة لابد أن تكون: لأن كل خطية أو جريمة هي **فكر أو فعل مقتضاه إلحاق الأذى والضرر بالإنسان الخاطى، أو من أخطأ في حقه، أو المجنى عليه.** فإذا كان هناك فكر أو فعل لا نستطيع إثبات أنه يؤدى إلى ضرر أو أذى، فنحن لا نستطيع أن نصفه أنه خطية أو جريمة. هذا مبدأ هام جدا للحوار مع المؤمن المفكر، وغير المؤمن الصادق مع ذاته.

المحاور الغربى يبرر موقفه من الحرية الجنسية لغير المتزوجين بأن في القديم كانت هناك أمورا تدعى أخلاقية ومقبولة، بل بحسب النص أمر بها الله نفسه، ثم مع الزمن إكتشفنا أنها أمور لا أخلاقية بل شريرة، وحتى بالأحرى لا ينبغى نسبها لله، ولكنها كانت غالبا تتناسب في الماضى مع أسلوب الحياة، لأسباب وجيهة لم تعد موجودة الآن. ومن أمثلة ذلك بيع وشراء **البشر كعبيد،** الذي كان مقبولا كناموس إلهى في الكتاب المقدس قديما (خروج ٢١ عدد٢-٧)، وحتى لم يُرفض صراحة في العهد الجديد. ولكننا مع مرور الزمن إكتشفنا أن العبودية للبشر جريمة ومنعناها عندما إرتقينا. وأيضا كان فعلا طبيعيا بل أمرا

إلهيا، **أخذ النساء وإناث الأطفال سبايا في الحرب بعد قتل كل الذكور حتى الأطفال والرضع** (سفر العدد ٣١، كل الإصحاح خاصة الأعداد ١٧- ٢١). كانت هذه الأعمال الشائنة غير مُجرّمة في ناموس العهد القديم المنسوب مباشرة لله (سفر العدد ٣١ عدد ٢١)!!! **والآن كل ما كان منسوبا في هذه الأمور الغير أخلاقية كـــ "أمر الرب" المباشر لموسى نعتبره شراً غير محتمل.** ثم كان **الرجم** أمرا إلهيا أيضا، **وقطع يد المرأة** (و ليس الرجل!) التي تتدخل في عراك لإنقاذ زوجها من غريمه. كانت هذه أمورا جيدة في القديم للردع، وإكتشفنا بعد زمن أنها وحشية لا تطاق ولازلنا نحاربها. وهناك أيضا **إحتقار الآخر الأممى غير اليهودى، واعتباره كافرا نجسا،** مع أنه من خلقة الله!

و هنا يقول المحاور الغربى مستنتجا مما سبق: ألا يمكننا إذاً أن نقول أن هناك وصايا كانت ضرورية في الماضى لأسباب وجيهة، والآن غير لازمة بل مجرّمة في بعض الأحيان؟ ثم يأتى المحاور الغربى باستنتاج: **فإن كانت هناك ممارسات حتمتها الأعراف والسلوك الحضارى والإجتماعى في القديم والآن نجرمها، فلماذا لا ننظر إلى الحرية الجنسية بين غير المتزوجين اليوم بهذا المنطق: كانت هذه الحرية مجرمة، وغير مرحب بها قديما، لأسباب وجيهة، بسبب الأمراض والحمل الغير مرغوب فيه، وخلط الأنساب. أما الآن فالنتائج السيئة لهذه الحرية والتي كانت موجودة في الماضى قضينا عليها كلها تقريبا.**

كان الضرر متمثلا فى: الأمراض الجنسية الغير قابلة للعلاج ومن ثم تؤدى للعقم أو الموت، والآن تقريبا كلها قابلة للعلاج. حتى فيروس الإيدز، أصبح الآن التحكم فيه وإيقاف التدهور المرضى بسببه ممكنا لسنين عديدة (أكثر من ٢٠ سنة)، وهذه نتيجة أفضل من نتائج علاج أمراض أخرى كثيرة. وكان الضرر أيضا في الحمل الغير مرغوب فيه والآن وسائل منع الحمل ناجحة بنسبة تقترب من المائة في المائة. **فأين الضرر المتبقى والذي يدعوكم لتحريم العلاقات الجنسية للراشدين قبل الزواج (سن الرشد الجنسى في الغرب هو ١٦ سنة)؟**

الآن إن قبلنا الحرية الجنسية لغير المتزوجين الراشدين، فقد نقضى على الكبت الجنسى والإغتصاب والتحرش بالأطفال والمرأة، وهو متفشى في الشرق الذي يدّعى التدين ليلا ونهارا !! أين الضرر من هذه الحرية الجنسية بين غير المتزوجين الراشدين، بالمقارنة مع الضرر الواقع بسبب الكبت الجنسى في بلاد الشرق المتزمتة بلا أسباب منطقية علمية.

نحن في الشرق ،بالرغم من هذا المنطق العلمى، قد لا نتفق مع الغرب، بل قد عشت أنا وأبنائى نؤمن بأن الحب الزوجى يبدأ أولا من كل القلب والإرادة، ثم تتبعه صلاة إكليل الزواج لكي تعلن الكنيسة عن هذا الحب وتحلل ضمائر الخطيبين وكل الكنيسة قبل المعاشرة الزوجية الجنسية، بعد التأكد من عدم وجود غش أو موانع. علما بأن **سر الزيجة لا تصنعه الكنيسة، بل فقط تعلنه وتبارك على هذا الحب**. والدليل على صحة هذا الفهم عن دور الكنيسة، وإتفاقه مع الممارسة الكنسية على مر العصور، هو أنه: **لو صلى كل إكليروس الكنيسة إكليل زواج طقسى** لإثنين، ولكن ثبت أن أي منهما لم يكن حر الإرادة أو قد غشه الطرف الآخر **يبطل الزواج**. أيضا إن لم يقدر الإثنان على إتمام إتحاد جنسى كامل **يبطل الزواج**. أما لو كانت صلاة الإكليل هي التي تجمع الإثنين في واحد، فما كان أحد يستطيع إبطال هذا الزواج لأي سبب. **بطلان الزواج بالرغم من صلاة الإكليل للسببين المذكورين معناه الجوهرى: أن فعل «ما جمعه الله» وسر الزيجة هو سر بين الله والحبيبين، ويتم أساسا بالإرادة الصالحة الحرة والإتحاد الجنسى الجسدى.**

أما **الجنس المثلى** فهو توجه لا نعلم أسبابه، ولكن علينا أن نتعايش مع من يحيا هكذا ونحترم كل حقوقه، بلا تمييز ضده، لأنه إنسان كامل الحقوق والواجبات كمواطن يحترم القانون. وكل الشعوب المتحضرة قررت في وثيقة حقوق الإنسان العالمية عدم التمييز بين البشر بسبب الدين أو الجنس أو التوجه الجنسى أو العنصر القومى... إلخ.

المقالة الثالثة

كيف نميز بين ما قد كمله الرب من الناموس الموسوى وما قد حررنا منه كلية، كما تعلمنا دسقولية الآباء الرسل؟

نحن نعلم أن الرب عندما قال ''**ما جئت لأنقض بل لأكمل**'' أنه أيضا رفض كل ما كان ينتمى لعنف الناموس، من قتل ذكور الأطفال والرضع في الحرب، وسبى النساء، ورجم الخطاة، وعقوبة قطع اليد، وبيع البشر كعبيد، وإستنجاس المرأة والعلاقة الزوجية، بل وإستنجاس كل الشعوب غير العبرانيين، وألغى الذبائح الدموية وكراهية الأعداء ... وكانت كلها أوامر موسى. الرب حررنا من عبودية ما أسمته دسقولية الآباء الرسل ''**أثقال – رباطات – أو كتافات الناموس**''، والتي شرحتها الدسقولية في الفصل الثالث والثلاثين، كما قدمها لنا المستشار د. وليم سليمان قلادة، وأقتبس منها هذه الفقرة الرائعة جدا:

''فلأجل قساوة قلوبهم (شعب إسرائيل) ربطهم بهذا: **الذبيحة والتطهير والإمتناع (لا تمس ولا تذق ولا تستعمل أو تجس** [راجع كولوسى ٢ عدد٢١-٢٢: هذه كلها وصايا وتعاليم الناس، وليس الله!]) ... فأما أنتم أيها المؤمنون الذين آمنوا بإله واحد ... فقد **حلكم منها وجعلكم أحرارا من العبودية من هذه الرباطات** ... لأن المسيح إبن الله لما جاء حقق الناموس وكمله، وحمل الأثقال [رباطات أو كتافات الناموس] التي كانت عليهم و**بطلها بالكمال**، والناموس الطبيعى ثبته [الذى عاش به الآباء بدون وصية مكتوبة قبل موسى] وجعل سلطان الناس حرا.'' (صفحة ٧٢٧ من الطبعة الأولى عام ١٩٧٩).

و هذه هي الرباطات: [الذبائح والإمتناعات عن اللمس والإستعمال، وأكل الحيوانات المسماة نجسة، والتحفظات الغير منطقية التي لا تقدم الإنسان لا روحيا ولا جسديا، من النجاسات المدعوة كذلك بسبب الإفرازات الطبيعية التي خلقها الله بيديه الطاهرتين (من طمث ونفاس ومعاشرات زوجية)، ولزوم التطهيرات الطقسية من هذه النجاسات].

من هو الذي أمر بهذه الأمور الوحشية ورباطات الناموس؟ الله أم موسى؟

إن قلنا الله، فنحن ندّعى أن الله يُحرّض على كل ما نعتبره غير أخلاقى، بل ونواصل نحن على إنتقاده في تعاليم أديان أخرى!!! وإن قلنا موسى هو الذي أمر بالعنف وتعاليم النجاسات، وكل ما لا يتطابق مع شخص وتعاليم المسيح، قام علينا كل مدافع عن حرفية الكتاب ونصوصة التي تنسب كل ما ذكرته، من أوامر مرفوضة الآن، للإراده الإلهية. أما إن قلنا أن الله هو الذي أمر شعب إسرائيل بعمل كل ما نعتبره الآن أنه غير أخلاقى، ثم جاء المسيح ليكمل أو ليصحح، فنحن أمام إتهام مباشر لله، بأنه كان في المسيح **ناسخا** لما علّمه وأمر به بذاته في الماضى، وأنه قد **بدّل رأيه!!!** أليس الأمر واضحا جليا أن قول المسيح: "**قيل للقدماء ... أما أنا فأقول ...**" يؤكد أن من حرّض على العنف قديما ليس هو من أوصى بمحبة الأعداء في العهد الجديد؟ فأى الآمِرَيْن تفضل كإجابة للسؤال المطروح، الله أم موسى؟

المقالة الرابعة

الهرطقات والإيمان والإلحاد

الغنوسية هي أم كل هرطقة لأنها كانت من قبل ميلاد المسيح أهم وأكثر التعاليم إنتشارا عن **إستنجاس المادة والجسد، وبالتالى كل دوافع الإنسان.** والنتيجة الحتمية لهذا الفساد الفكرى والعقائدى أن تجسد الرب في طبيعتنا هو أمر مستحيل، لأن تعالِي الله يمنعه من الإتحاد بما هو نجس. من هنا، كما كتبت سابقا، نبعت كل الهرطقات وكل إحتقار لأنشطة الإنسان البيولوجية والنفسية، خاصة المتع المصاحبة لتحقيق الدوافع الإنسانية (الحاجات أو الغرائز). **ما هو موقف الغنوسية من عقيدة الخلاص** إذن، إن كان الله لا يمكنه أن يتجسد؟ كيف فسروا الكتاب المقدس وأقوال الرب عن لاهوته ولاهوت الروح القدس؟ كيف نتفهم

أسباب تعاليم الهراطقة بالرغم من ذكائهم الحاد، الذي لم يستطع أن يتحسس ضمير وإختبار الكنيسة لخلاص الرب؟

ثم كيف لنا أن نتفهم موقف الملحدين واللاأدريين وغير المسيحيين، ممن يحبون الناس ويعملون الصالحات، ولكنهم غير قادرين على قبول لاهوت المسيح بالرغم من أنهم يحترمونه جدا، ولايقدرون تفهم إيماننا بالثالوث. وماذا عن خلاص كل من يقول عنهم الرسول بولس"**الذين بلا ناموس، متى فعلوا بالطبيعة ما هو في الناموس، فهم ناموس لأنفسهم**"؟ أليس معنى هذا أن منهم من سوف يقبله الرب ويخلص بالمسيح، الذي ليس بغيره الخلاص، بالرغم من عدم معرفة أو إيمان هذا الملحد بالمسيح، أو عدم إيمان الغير مسيحى عموما بالمسيح التاريخى؟ نحن لا نؤمن بالخلاص الشامل، لأنه تعليم مضاد لحرية إختيار البشر، أن الله يُخلص ويُرغم من لا يريد العشرة معه، للبقاء في حضنه في بيته للأبد. هذا أسوأ من عذابات جهنم **!! وإن كان لن يَخلص أحد غير من آمن رسميا بالمسيح التاريخى وخلاصه، ألا يكون حديث بولس الرسول المذكور أجوف وفارغ المعنى؟!**

إحتقرت الغنوسية الجسد والجنس بصورة خاصة جدا، وتباعا إحتقرت المرأة لأنها هي باب الجحيم لكل رجل. **للأسف الشديد قد تأثر بهذا الفكر المحقّر للمرأة والجنس والزواج بعض من آباء الكنيسة، وأثر هذا واضح في كتاباتهم.** المقالة تعرض لنا سردا تاريخيا لهذه الأقوال والآثار الخاطئة على النسك المسيحى، وما أدت إليه من تعاليم نرفضها. **علينا، إن كنا نخشى على أبنائنا من ترك الإيمان، أن نصحح ونناقش بكل صدق وصراحة ونجرّم ما قد كتب عن المرأة والجنس والزواج من تعاليم غير إنجيلية،** غير مسيحية وغير إنسانية، تجاهلت طبيعة الإنسان، والتي بدأنا نتفهم بعض منها بصورة أوضح في القرن الأخير فقط.

المقالة الخامسة:

تاريخ أسرار الكنيسة، خاصة سر الزيجة:

. **أسرار الكنيسة، متى حسبناها سبعة أسرار؟** لم تحسب أنها سبعة إلا في **القرن السادس عشر** في الكنيسة الكاثوليكية، في مجمع ترنت في إيطاليا. ولم تحسب سبعة في الكنيسة القبطية إلا بعد كتابة حبيب جرجس لكتاب أسرار الكنيسة السبع في القرن العشرين نقلا عن الكاثوليك! أنظر جوجل عن أسرار الكنيسة (ساكرامنتس) للتأكد من هذا التاريخ. كانت كل **ممارسات الكنيسة** (أى كل نشاط مسيحى يمارسه المؤمنون بعيدا عن أعين غير المؤمنين) **في القرون الأولى مسماة «أسرار الكنيسة»، ليس بمفهومنا الحديث للأسرار، بل سميت «أسرارا» لأنها أمور ممنوع الإفصاح بها أو التحدث عنها مع غير المؤمنين، وإلا حُسب المؤمن خائنا للكنيسة،** كما يشرح لنا الأب متى المسكين، في كتابه «التقليد الكنسى».

و كان هذا التقنين العددى للأسرار كسبعة (و الذي إنتقى بعضا منها وترك البعض الآخر!) كان غالبا لرد ع كل من سولت له نفسه أن يترك الكنيسة الكاثوليكية ويتبع جماعات الإصلاح البروتستانتى في القرن ١٦. فكان التعليم أن **كل نشاط كنسى كان يشترك فيه الكاهن هو سر كنسى إن لم تتسلمه من يد الكاهن، فأنت هالك لا محالة.** أما كل بقية الممارسات المسيحية والكنسية، فلم تحسبها الكنيسة في مجمع ترنت أنها أسرار، ما دام يمكن للمؤمن ممارستها بدون الكاهن.

نحن نعلم تمام العلم أن الذي أسس كل أعمال الروح القدس في الكنيسة والمادة هو الله الثالوث القدوس، وليس الكاهن ولا البشر. إنما الآن بنعمة الله بعد إتحاد الرب بنا بالتجسد أصبحنا كلنا شركاء معه، ليس في صنع أو تأسيس الأسرار المقدسة، بل فقط **في طلب حلوله وإعلانه عن ما قد أسسه وصنعه هو وحده** لنا حبا فينا وفي شركتنا معه.

فسر الإفخارستيا قد أسسه الله منذ الأزل وأعلنه لنا يوم خميس العهد في علية صهيون. لأن الرسول يقول: «إفتديتم بدم كريم معروفا **قبل تأسيس العالم** (منذ الأزل)، ولكن قد **أظهر في الأزمنة الأخيرة** من أجلكم» (١ بطرس١٨:١ – ٢٠). وما نحن نفعله في صلاة قداس الإفخارستيا هو أننا نطلب منه:

«**يا الذي قدم في ذلك الزمان الآن أيضا قدم ... الآن بارك ... الآن قدس ... الآن قسم ... والآن أعطنا**» من قدساتك لنتحد معك ونتملأنا بلاهوتك. **وعن سر الزيجة:** نعلم أن الرب قد أسسه مرة واحدة في الفردوس عندما باركنا وقال لجنس البشر كله: إثمروا وإكثروا وإملأوا الأرض، كما قال لآدم وحواء. ثم ما يحدث الآن لإتمام سر الزيجة، هو: **أولا: إعلان** الرب في القلب لكل حبيبين عن هذا السر بالحب .... ثم **ثانيا:** بالإتحاد الجسدى الجنسى الكامل، بعد تحليل الكنيسة لهما، لكي «**يلتصق**» **الرجل بإمرأته،** كما في الطقس الإلهى الذي وضعه وشرعه الرب بفمه، «شارع شريعة الكمال وواضع ناموس الأفضال». **وهنا، بهذا الإلتصاق والإتحاد الجنسى الكامل، وبه فقط، يصير الإثنان جسدا واحدا، ويتم فعل «ما جمعه الله» أي يكمُلُ سر الزيجة،** إن كنتم تقبلون. والقصة هي هى مع كل الأسرار الكنسية: الله **أسس وأتم السر** في الماضى – والآن الكنيسة **تطلب** منه بدالة الحب والبنوة – ثم الرب يستجيب: **يستعلن ويُظهر السر** في زماننا. ولكننا ككنيسة (كاهن وشعب) لا نأسس ولا نعيد صنع أي من الأسرار، فقط نطلبها ونتقبلها من يديه.

و الزواج في الكنيسة حتى القرن الثامن كان عقدا مدنيا، كما كان الحال لكل رعايا الإمبراطورية الرومانية، والكنيسة لم ترفض هذا. وبعد توثيق عقدهما المدنى يذهب الزوجان ليأخذا بركة الصلاة الكنسية، والتي أصبحت عرفا جاريا في القرن العاشر بأمر الإمبراطور ليو السادس. ومن يومها أخذت الكنيسة مسؤلية الزواج بصورة أكبر مما سبق. وكانت **أسباب التطليق** في الإمبراطورية الرومانية (كما يذكرها إريكسون) تقريبا هي هى ما أخذت به الكنيسة القبطية الأرثوذكسية في القوانين المنسوبة لإبن العسال منذ القرون الوسطى. وهذه الأسباب هي المعمول بها في لائحة عام ١٩٣٨ الشهيرة. هذا تاريخ حقيقى يمكن للكل التأكد منه.

المقالة السادسة:

الفن من موسيقى وطرب ورقص وسينما وتليفزيون "حلال" ولاّ "حرام"؟ هل كل إثارة جنسية تحدث بسبب مشاهدة هذه الفنون أو رحلاتنا لشاطىء البحر للسباحة "حرام" وخطية؟

المقالة تسرد لنا ما قاله الكتاب المقدس عن الفنون في الماضى وكيف كان شعب الله يحياها ويمارسها، خاصة داوود النبى الشاعر الموسيقى، الذي رقص و''لعب أمام الرب'' كما قال، سواء وافقته أيها القارىء أم رفضت رقصه كما فعلت ميكال زوجته، ''الوقورة'' جدا في عينى نفسها وليس في عينى الرب. ومن العهد الجديد **في القصة التي ألفها عن عودة الإبن الضال، يجيبنا الرب يسوع المسيح بأبلغ العبارات عن رأيه الشخصى جدا في الغناء والموسيقى والطرب والرقص وأفضل الطعام واللباس والتحلى بالخواتم ، للتعبير عن الفرح كطقس مقدس زرع بذرته فينا بشخصه.** بل ولا نستطيع أن ننفى أنه ربما قد عاش هذه الطقوس المعبرة عن الفرح والفن في أيامه على الأرض مع أقرانه. ذلك، لأنه كان يحضر الأفراح ويجالس الخطاة والعشارين، وهم أغنياء المجتمع، وغالبا ما كانوا يقدمون الترفيه الفنى في جلساتهم.

ولكن هناك من يدين هذه الفنون أو بعضها لأنها قد تسبب له إثارة جنسية لا يعرف كيف يتعامل معها ويضبطها، فيفضل إذن البعد كلية عن هذه الأنشطة ومشاهدة هذه الفنون. هذا التوجه يشبة الخوف من السفر بالطائرات أو السباحة لأن حوادثهم قد تكون مميتة!!!

يمكننا تقسيم المشاعر والإنفعالات الجنسية في الإنسان، لغرض الحديث هنا، إلى أربعة مراحل. الثلاثة الأول طبيعية وإنفعالات لا يمكننا تجنبها حتى لو عشنا في الصحراء بعيدا عن الناس. أما المرحلة الرابعة فهى الإختيار بين الإستسلام للتجربة أو رفضها. فقط هذا الإستسلام لو تم يكون فعل الخطية قد حدث.

المقالة تشرح هذه المراحل. ثم تذكر المقالة قصصا شيقة عن آباء معتدلين، ومنهم معاصرين. ولأنهم كانوا طاهرين كان لهم الفن طاهرا، إن كنتم تقبلون.

المقالة السابعة:

كيف نتفهم الدوافع الإنسانية، أي الحاجات أو الغرائز المقدسة التي صممها وأتقن صنعها شاعر الكون، فنانه وخالقه؟

لكل دافع إنسانى (= حاجة أو غريزة) هدف ومتعة. من الدوافع البيولوجية سنأخذ الدافع للأكل، والدافع للجنس. ومن الدوافع النفسية سندرس الدافع إلى الإمتلاك، والدافع للتقدير والطموح والترقى لتحقيق الذات بالنجاح. **هدف الأكل** هو الصحة لخدمة نفسى وأهل بيتى والعالم. **هدف الجنس** هو الحب والشركة من خلال هذه اللغة، وهي أبلغ لغة خلقها الله لكي يلتصق الرجل بالمرأة فيصير الإثنان جسدا واحدا، كما قال الرب بفمه الطاهر. أما التناسل فهو هدف ثانوى. **هدف التقدير** أن أتحمل المسؤلية الأكبر عند الترقى، وأخدم البشرية من مركز أقوى ومن ثم أكون أفيد للمجتمع. **هدف الإمتلاك** هو أن أمتلك القوت الضرورى، والملبس والمسكن، وكل الخدمات التي أحتاجها أنا وأهل بيتى، ولكى أساعد الآخرين الأقل حظا منى في الحياة، بما أملك.

أما متع هذه الدوافع فهى المكافأة التي قسمها الرب لكي يشجعنا على تحقيق كل هذه الأهداف بغير ملل أو ضجر أو شعور بجفاف الحياة. فلو لم **أتذوق الطعام** بفرح وتمتع، لن آكل. والنتيجة لا تحتاج لكلام! وإن لم يكن **الجنس ممتعا** بأفعاله العصبية العاكسة (الأورجازم) وإفراز هرمون الإندورفين المصاحب لكل لذة جسدية ونفسية، لما أقبل أحد على تحمل مسؤليات الزواج وتربية الأبناء، لماذا كل هذا العناء؟! **ومتعة التقدير** تشجعنى على التفوق والمثابرة والجلد في الدراسة والعمل والإكتشاف والإختراع، حتى أقدم كل أرباح المواهب

والوزنات التي يستثمرها فىّ الله لخدمة أخوتى البشر، ولا أتمرها في التراب. **ومتعة الإمتلاك** تساعدنى أن يكون لى الكفاف في كل شىء، لكي ما أزداد كل حين في كل عمل صالح، بما وهبنى الله من مال، لخدمة بلادى والعالم. وأيضا بدون الحاجة للإمتلاك لا داعى للعمل لإنتاج أي سلعة أو خدمة، لأن ليس هناك من يحتاج إليها لشرائها أو يريد إمتلاكها!

أما نذر الرهبنة (البتولية والطاعة – لله وليس للبشر – والفقر الإختيارى) **من أجل التفرغ لأعمال المحبة والخدمة، لله والكنيسة.** فهذا النذر هو ذبيحة حرة إختيارية لمتع الحياة، مقدمة للرب عن قناعة وحب، والعيش لأهدافها أساسا بأقل تمتع ممكن. وهذا يكون شهادة للعالم الإباحى الذي يقدس المتعة واللذة وحدها بدون أهدافها. ويقول لسان حال الناذر للرهبنة، لهؤلاء الإباحيين، **ليس بالمتعة وحدها يحيا الإنسان، بل بكل كلمة تخرج من فم الله، بكل إعتدال ووسطية تكون الحياة أجمل.** وإن لم تصدقونى فها أنا أقدم متعة الجنس ومتعة الإمتلاك ومتعة تحقيق الذات ذبائح حب لإثبات مصداقية هذه الشهادة. أما من يترهبن لإستنجاسه لهذه المتع فهو لا يقدم لله أفضل الحملان، بل يقدم تقدمة نجسة غير مقبولة. ولا يجب أن يتقدم لهذا النذر إلا الذين "أعطى لهم" مقدارا من الهدوء في الرغبة الجنسية. "**الذين ولدوا هكذا من بطون أمهاتهم" ولهم رغبة جنسية هادئة،** فلا يكون الإمتناع عن الزواج قهرا أو معاناة تفوق طبيعتهم. لذلك يقضى هؤلاء عدة سنوات تحت التجربة للتأكد أنهم ممن "أعطى لهم" كما قال الرب.

ثم لخصت المقالة الكثير مما ذكرت، بصورة رسمين للتأمل والتذكر، كيف نفهم ونحيا أهداف الحياة مع متعها بدون إنحراف للتزمت ولا للتحرر الإباحى.

فهرس الكتاب

تقديم الطبعة الأولى للمتنيح القمص أنطونيوس أمين ٣

مقدمة ٥

الجزء الأول

و هو ما قد تم نشره في الطبعة الأولى للكتاب

المقالة الأولى:

الله والإنسان والكون المادى في الإيمان الأرثوذكسى ٣٣

أولا: + الله والإنسان والكون في الهرطقات ٣٧

+ الغنوسية والمانوية ٣٨

+ معنى كلمة جسد في العهد الجديد ٤١

+ الأريوسية والنسطورية وأوطاخى ٤٢

ثانيا: + الله والإنسان والكون في الإيمان الأرثوذكسى ٤٤

+ تدبير وقصة الخلاص ٤٤

١ الخلق (الخلق ونظرية التطور) ٤٥

٢ السقوط (الخطية الأصلية) ٥٣

٣ الفداء والخلاص ٥٨

٤ الكنيسة والأسرار المقدسة ٦٧

خاتمة ٧٦

المراجع ٧٧

المقالة الثانية:

المعنى العملى للمحبة والمساواة بين أقانيم الثالوث القدوس في الكنيسة والاسرة ٨١

الجزء الثانى
المقالات السبعة

المقالة الأولى
الفارق بين المطلق (الغير متغير) والنسبى (القابل للتغيير) في تعاليم الكنيسة

- الله وحده هو المطلق الوحيد، بالمعنى الكامل الأوحد ٩١
- ما جئت لأنقض بل لأكمل ٩١
- النظام الأخلاقى عند الكثير من الحضارات القديمة ٩٥
- تعاليم الرب يسوع (الله الكلمة) وحدها، نسجد لها كتعليم مطلق ٩٦
- قـــانون الإيمـــان: ٩٧
  - أولا: الثالوث القدوس، إعلانه عن ذاته وعلاقاته وعمله في الخليقة..... ٩٩
  - ثانيا: قيامة الأموات وحياة الدهر الآتى. ١٠٠
- التعاليم النسبية، الغير مطلقة القابلة للتغير بالزمان والمكان في الكنيسة..... ١٠٣
- ليس لأي إجتهاد أو تفسير بشرى عصمة أو قدرة على إلزام المؤمنين بقبوله أو منعهم من رفضه. ١٠٤
- تعاليم الرب يسوع المسيح مبادىء مطلقة، ولكن تطبيقاتها هي تفسيرات وترتيب بشرى نسبى غير مطلق وقابل للتغيير. ١٠٨ ١٠٩
- أمثـــــلة: ١٠٩
  - الصلاة : ١٠٩
  - الصوم : ١٠٩
    - +كتاب أصوامنا بين الماضى والحاضر ١١١
    - + طريقة صوم الكنيسة حتى القرن الخامس ١١١
    - + عن الصوم والعلاقات الزوجية ١١٢
  - مؤهلات من سوف يُرسم أسقفا ١١٦
- الأثر الغنوسى وليد الفكر الأفلاطونى ١١٨

- الفارق بين معانى: العقيدة والتفسير والرأي والتعليم والطقس ... غير واضح عند كثيرين ١٢٠
- وتقول الدسقولية الرسولية ذات الكلام للأسقف والعلمانى ١٢٣
- تعريفات هامة: .....
  - العقيدة ١٢٤
  - تفسير العقيدة (علم اللاهوت) ١٢٥
  - الرأي ١٢٥
  - التعليم (عبارة ''تعليم الكنيسة'') ١٢٧
  - الطقس ١٢٨

المقالة الثانية

من هو: البار، والخاطى، والشرير، خاصة في السلوك الجنسى؟

- تعريف البار ١٢٩
- تعريف الخاطى ١٢٩
- تعريف الشرير ١٣٠
- لماذا أكتب هذه المقالة؟ ١٣١
- اليوم جل المجتمعات البشرية تؤمن بمفاهيم وقواعد أخلاقية جنسية مشتركة ١٣٢
- ما هي مبررات الغرب للحرية الجنسية بين غير المتزوجين؟ ١٣٣
- وهنا يبدأ الحديث بالتطبيق على الحرية الجنسية بين غير المتزوجين ١٣٤
- الأسلوب الذي عشت به وعلمته ويعيش به أبنائى ١٣٧
  أولا: الحب ١٣٧
  ثانيا :صلاة إكليل الزواج ١٣٧
  ثالثا : الإتحاد الجسدى الجنسى الكامل ١٣٨
- إشهار الزواج قانونيا ١٣٩
- أما بالنسبة للجنس المثلى ١٤٠
- خلاصة. ١٤٢

المقالة الثالثة

ما هو بالضبط، من العهد القديم، ما "أكمله" وما "حررنا منه" الرب من ناموس موسى، بحسب تعليم الرسول بولس في كولوسى ٢ عدد ٢١-٢٢ والدسقولية الرسولية، والعلم الحديث؟

- ما جئت لأنقض بل لأكمل: ١٤٥
- وهنا ينبرى المدافعون عن عصمة الكتاب المقدس، بتأكيد ألوهية حرفيته ومصدر كل حرف وكلمة فيه ١٤٩
- إنزال النار من السماء لتحرق أعداء المسيح كما فعل إيليا النبى قديما ١٥١
- سمعتم أنه قيل: تحب قريبك وتبغض عدوك أما أنا فأقول: أحبوا أعدائكم باركوا لاعنيكم (متى ٥: ٤٣-٤٤) ١٥٢
- بغضة العدو ١٥٢
  - إما أن الله هو الذي أمر وإرتضى وأوحى وأملى بكامل إرادته ١٥٢
  - وإما أن هذا التعليم هو تعليم الحضارة والثقافة البشرية في العهد القديم ١٥٣
- أنا أعلم وأقدر مخاوف أبناء الكنيسة من نقد غير المسيحيين ١٥٣
- السؤال الذي أواجه به من المتشددين في تعليم حرفية وإلوهية كل تعليم وقصة في العهد القديم ١٥٥
- لم يقصد كُتّاب العهد القديم أن يكتبوا لنا تأريخا علميا حرفيا، أو علما تحليليا، بالمعنى العلمى الحديث، كما يظن الكثيرون ١٦٢
- قصة الخلق والسقوط ١٦٣

المقالة الرابعة

الهرطقات والإلحاد والإيمان

– **مقدمة:** ١٦٧
– الغنوسية هي أم الهرطقات كلها لأنها معلمة إحتقار المادة، والجسد (وإحتياجاته البيولوجية والنفسية) ومن ثم رفض التجسد الإلهى تباعا ١٦٨
– الخلاص بالمعرفة. كيف يتحقق الخلاص إذن؟ ١٦٩
– ما هوموقف المدارس الغنوصية من العقائد المسيحية الأساسية، وبالذات الفداء..... ١٧١
– الجسد والجنس في النسك الغنوسى والمانوى ١٧٤
– طبيعة المادة والجسد والمسيح ١٧٥
– طبيعة المسيح: إنسان ١٠٠٪ وإله ١٠٠٪، في إتحاد ١٠٠٪، بغير إختلاط ولا إمتزاج ولا تغيير ولا إفتراق للطبيعتين ١٨٤
– الهرطقات ١٨٩
– كيف نفهم ضرورة ومعنى الإيمان والمعمودية للخلاص، وخلاص من ليس لهم ناموس وإيمان ومعمودية؟ ١٩١
– وماذا عن الملحدين المخلصين أصحاب العمل الصالح، والغير قادرين على الإيمان؟ .. ١٩٤
– ولكن كيف يخلص أحد إلا بالمسيح يسوع، الذي ليس إسم غيره تحت السماء به ينبغى أن نخلص ١٩٥
– الخلاص الشامل Apocatastasis ١٩٦
– آريوس ونسطور وأوطاخى ١٩٧
قال آريوس ..... [= مخلوق ١٠٠٪، إله ٠٪، إتحاد ٠٪] ٢٠١
قال نسطوريوس ..... [= إنسان ١٠٠٪، إله ١٠٠٪، إتحاد ٠٪] ٢٠١
قال أوطاخى المسيح إله كله تقريبا [إنسان ٠٪ تقريبا، إله ١٠٠٪ تقريبا، إتحاد ٠٪] .. ٢٠١
– فليكن أناثيما ٢٠٣
– هرطقة التهود ورفض دسقولية الرسل لها ٢٠٣
– ما جئت لأنقض بل لأكمل ٢٠٣
– ومن كتاب الدسقولية، تعاليم الرسل ٢٠٦

- هل من صدام بين الجسد والروح؟ ما معنى الجسد المذموم والجسد الطاهر، خليقة الله؟ ٢٠٨
- هرطقات إحتقرت الجسد ٢١٠
- ''المسيحية والجسد''، كتاب للأنبا بيمين أسقف ملوى المتنيح ٢١١
- الخليقة كلها ستعتق من الفساد ٢١٢
- شهادة التاريخ: أقوال من كتاب ''بستان الرهبان'' وبعض آباء الكنيسة من المتأثرين بالغنوسية والمانوية ٢١٣
  - كتاب بستان الرهبان ٢١٣
  - الكاتب الأرثوذكسى بول إفدوكيموف ٢١٤

تاريخ إحتقار الجنس والمرأة في الشرق عموما، وجذورة الغنوسية لايزال حيا اليوم ٢١٨
- المرأة ٢١٨
- المرأة في العهد القديم ٢١٨
- هل هناك «نجاسة» بسبب أي من إفرازات أجسادنا، سواء عند الرجل أو المرأة؟..... ٢٢٠

-خلاصة عن الهرطقات والإلحاد والإيمان ٢٢٢
- خاتمة ورجاء حار. ٢٢٤

المقالة الخامسة

تاريخ الأسرار الكنسية، خاصة سر الزيجة

١- نبذه هامة عن تاريخ وتعريف معنى عبارة ''الأسرار الكنسية'' عبر التاريخ ٢٢٧

٢ - الرب يسوع المسيح وحده هو صانع الأسرار المقدسة ومؤسسها ومقدسها وواهبها للمؤمنين، بإرادة الآب وشركة الروح القدس، منذ الأزل ٢٣٢

٣ - معنى سر الزيجة، متى أسسه ورسمه الرب نفسه؟ وكيف يتحقق فعل ''ما جمعه الله'' للزوجين؟ ٢٣٣

٤ - تاريخ الزواج في الكنيسة في القرون الأولى ٢٣٥

المقالة السادسة

الفن من موسيقى وطرب ورقص وسينما وتليفزيون "حلال ولاّ حرام"؟ الرغبة الجنسية (الليبيدو) وتمييز الجمال ليسا هما الزنا بالفكر

- مثل الإبن الضال ٢٣٩
- ولكن دعونا ننظر أيضا ماذا كتب في العهد القديم عن الغناء والموسيقى والرقص، للرد على المتزمتين المتشددين ضد هذه كلها ٢٤٠
- كيف نفرق بين الرغبة الجنسية والإثارة الجنسية والزنا ٢٤٣
- العفة لغير المتزوج ٢٤٣
- العفة بالنسبة للمتزوج ٢٤٤
- أربعة مراحل العلاقة مع الجنس الآخر من مشاعر وإنفعالات: ٢٤٤

أولا: الليبيدو، أي الرغبة الجنسية ٢٤٤

ثانيا: القدرة على تمييز الجمال والإنجذاب له ٢٤٥

ثالثا: مرحلة "التجربة" ٢٤٦

رابعا: مرحلة إتخاذ القرار ٢٤٦

- خلاصة ٢٤٧
- ليس إذن كل إنجذاب نحو الجنس الآخر خطية، أو حرب "شيطان الزنا" كما في بعض الأدبيات ٢٤٨
- متابعة الفنون والرياضة، حتى المثير منها أحيانا، لا تزال له فوائد تعليمية هامة وضرورية لكل جيل ٢٤٩

المقالة السابعة

المُتعـــة (اللذة)
والهدف في الدوافع (الغرائز) الإنسانية

- هرمون المتعة واللذة ''الإندورفين'' هبة الله للإنسان (''أهداف'' و''متع'' الدوافع الجسدية والنفسية) ٢٥٥
  أولا: دافع غريزة الأكل ٢٥٧
  ثانيا: الدافع الجنسى ٢٥٨
  ثالثا: دافع الحاجة للإمتلاك ٢٦٠
  رابعا: الدافع للتقدير والطموح والترقى وتحقيق الذات بالنجاح ٢٦١
- نذر الرهبنة والتخلى الإرادى عن المتعة كذبيحة حب لله ٢٦٢
- كتاب «المسيحية والجسد» للأنبا بيمين أسقف ملوى المتنيح ٢٦٣
- رسم المتعة والهدف في الدوافع الإنسانية ٢٦٥
- معنى محبة العالم ٢٦٦
  أولا: العالم ٢٦٦
  ثانيا: الجسد ٢٦٧
  ثالثا: الشهية أم الشهوة؟ ٢٦٨
- رسم كيف نسلك؟ لا تحبوا العالم الخاطىء ٢٧٠

الله والإنسان والكون المادي
في الإيمان الأرثوذكسي والهرطقات

الجزء الأول

(المقالة الأولى)

المسيحي هو من يحيا ناموس المحبة لله والقريب والكون، فعلاً بقوة الروح القدس وليس فكراً فحسب. واللاهوتي هو من يُصلي (أي يعي وجود الله الدائم في حياته)، لا من يتكلم ولا من يكتب.

إن غاية إيماننا هو خلاص النفوس (١بط ١: ٩). والخلاص وإن كانت أولى خطواته الخروج من سجن الموت، الذي دخله الإنسان بإرادته وحده وكامل حريته، إلا أن خروج السجين من سجنه لا يكفي، ولا يمثل رسالة الإنجيل المفرحة التي صلى من أجلها الرب: «ليكونوا واحداً فينا كما أني أنا وأنت واحد» (يو ١٧: ٢١ – ٢٢) مخاطباً الآب السماوي. كثيراً ما قد يُفهَم أن رسالة الإنجيل هي الخلاص من الخطية والموت (عقوبتها) فقط. وقد ترسب هذا الفكر الناقص من كثرة التركيز على الخطية وآثارها. إلا أن من يقرأ كتابات الآباء الأوائل – خاصة أثناسيوس الرسولي – يكتشف أن **خلاصنا ليس في الخروج من سجن الموت فقط، بل في الدخول إلى بنوة الآب والاتحاد معه في ملكوته أو حضنه.** وقصة الابن الضال خير مثال. فخلاص الابن الضال كان في رجوعه إلى حضن أبيه ومشاركة مجد أبيه، لا في التوبة والخروج من كورة الخنازير فقط. لذلك تؤكد الكنيسة الأرثوذكسية على أن التوبة والإيمان والمعمودية هم **بداية** طريق الخلاص الذي **يكمل** بقيامة الإنسان في كماله ومجده حين يجمع الابن في إعلان مجيئه الثاني الخليقة كلها ويدخلها إلى حضن الآب. حينئذ فقط تكتمل سعادة الإنسان، حين يرتوي عطشه إلى الكمال والسعادة المطلقة، في قمة الحب وانسجام علاقاته بنفسه والآخرين والله والكون المادي الذي سيتجلى في «السماء الجديدة والأرض الجديدة» (رؤيا ٢١: ١).

لذلك قال إيريناوس (أسقف ليون بفرنسا في القرن الثاني) أشهر العبارات اللاهوتية والتي رددها البابا أثناسيوس الرسولي، لأنها خلاصة إيماننا كله بكثافته وعمقه:

«**لقد صار الله إنساناً.. لكي يصير الإنسان إلهاً**».. وهذا يتم بالنعمة بالتبني،

لا بالطبيعة الكاملة قطعاً. فالملك العظيم.. أرسل ابنه الوحيد ليخرجنا من سجن الموت، ويعيد لنا النعمة بالروح القدس (التي فقدها الإنسان حين أراد التأله بعيداً عن الله)، كما يعلم أثناسيوس الرسولي في كتاب «تجسد الكلمة»، تلك النعمة، هي التي تعطينا «سلطاناً أن نصير أبناء الله» (يو ١: ١٢). بل ويعلمنا الكتاب أيضاً أننا نصبح «شركاء الطبيعة الإلهية» (٢بط ١: ٤)، حيث أنه «متى أُظْهر سنكون مثله» (١يو ٣: ٢) وسنكون «مشابهين صورة ابنه» (رو ٨: ٢٩). والمشابهَه هنا ليست شكلية، بل نتغير كيانياً من بشر ضعفاء إلى متمثِّلين بالله، إذ دعانا أيضاً آلـــهه (يو ١٠: ٣٥)!! وفي هذا كل العجب، حيث يصعب فهم هذه الآيات من عمق جمالها ووعودها التي لا يمكن أن تخطر على قلب بشر (١كو ٢: ٩)، إذ سيكون ذلك دون أن نفقد طبيعتنا البشرية، بل بالحري سيكون ذلك بتجلي طبيعتنا إلى كمالها وملئها.

لذلك لا يستطيع أحد أن يقبل ويؤمن بهذا «**التأله بالنعمة**» – كما سماه الآباء – إلا إذا آمن حقاً بالحدث التاريخي – والإسكاتولوچي – الذي جعله ممكناً، وهو «**التجسد**». فإن كان لا يستطيع أحد أن يقول أن يسوع المسيح هو الرب إلا بالروح القدس، كذلك لا يستطيع أحد أن يشهد أن الإنسان في كماله الأبدي هو شريك الطبيعة الإلهية بالنعمة على مثال ابن الله بالطبيعة، إلا بالروح القدس. أي أن نعمة الشركة في الطبيعة الإلهية، بالتبني بالنعمة، لن تفارقنا إلى الأبد ولا حتى لحظة واحدة ولا طرفة عين! وهذا سبب وأساس الإيمان الأرثوذكسي بطبيعة السيد المسيح الواحدة من اتحاد اللاهوت والناسوت (بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير). لأن عطش الإنسان إلى السعادة والكمال المطلق (والذي هو سبب نشوء كل الديانات والفلسفات **سعياً من الإنسان** نحو الله)، لا يرتوي إلا بتمام هذا الوعد، الذي أعلنه الله لنا. لذلك فالمسيحية تختلف جذرياً عن كل الديانات في أنها ليست منهجاً أو فكراً بل هي **إعلان وحدة الله مع الخليقة**، وحدة وزواج أبدي تم كباكورة ونموذج في كيان الابن المتجسد، ثم يتم فينا بالروح القدس، بالإيمان والأسرار التي تطبع فينا «سر التقوى» هذا، لنصير «مشابهين صورة ابنه» (رو ٨: ٢٩).

أولاً: الله والإنسان والكون (المادة) في الهرطقات (Heresies):

إن كل محبي الحكمة (أي الفلاسفة كما تعني الكلمة باليونانية)، وكذلك كل من كتبوا في اللاهوت عبر التاريخ، كانوا في الحقيقة ينظرون للإنسان في ذهول إذ يتساءلون عن ماهية الله وكنهه، والهدف من الوجود المادي الذي يبدو في ظاهره أن مآله الفناء والزوال.

لذلك، فدراسة اللاهوت أو الفلسفة عموماً، هي دراسة: الله والإنسان والكون، وعلاقتهم الثلاثية. وكل هرطقة مرت بها الكنيسة هي في جوهرها تحريف لإعلان الله لنا عن هذه العلاقة، حيث يكون مقتضاها عدم إمكانية اتحاد الله والخليقة ومن ثم فقدان عقيدة الخلاص برمتها! وهذه النقطة هامة جداً لكي نميز بين: الاختلاف في الرأي في التفسير (وهذا يظهر في بعض كتابات آباء القرون الأولى)، وبين ما اعتبرته الكنيسة هرطقة لشدة خطورته.

وغالباً ما تبدأ الهرطقات بفهم مُشوَّه لطبيعة المادة وقصد الله منها، فينظر إليها على أنها شريرة أو نجسة! والنتيجة الحتمية لهذا الفكر أن الإنسان (حيث أنه يحمل جسداً مادياً) يكون هو الآخر شريراً ونجساً بالطبيعة. فإن كان الحال هكذا، فكيف يمكن أن يتجسد الله في هذه النجاسة والشر وهو القدوس المنزه عن هذه الخليقة التي لا يمكن أن يتعامل معها؟!! في هذه الفقرة تلخص جذور كل الهرطقات التي حارب ضدها الرسل والكنيسة، ومازالت! وأشهر هذه الهرطقات: الغنوسية GNOSTICISM، والمانويه، نسبة إلى ماني الفارسي الأصل (القرن الثاني) MANICHAEISM والأريوسية ARIANISM، والنسطورية NESTORIAN-ISM، والأوطاخية نسبة إلى EUTYCHES.

الغنوسية والمانوية:

ولفهم هذه الهرطقات، يجب إدراك **البيئة الفكرية** في الامبراطورية الرومانية، والتي أدت إلى ظهور هذه الهرطقات كمحاولات لتطبيع الفكر المسيحي بالصبغة اليونانية.

بعد أن يأس فلاسفة اليونان من إصلاح الإنسان، وخاصة بعد ضعف إمبراطوريتهم – كما يشرح لنا التاريخ – (أنظر الدسقولية تقديم د. وليم سليمان قلاده عن الغنوسية) أخذوا يعلّمون، كما قال أفلاطون وغيره، أن **مادة الكون نفسها شريرة** وأن الروح هي حقيقة حبيسة في سجن مادي إسمه الجسد، وتنتظر خلاصها بأن تنطلق منه لعالم الأرواح وتتركه للهلاك! أما خلاصها الجزئي فيكون بالمعرفة GNOSIS والجهاد الإنساني لا بالإيمان.

أما MANI في القرن الثاني، فعلّم أن **خالق الكون المادي هو إله شرير غير الإله الخير** الذي خلق الوجود الروحي. **والروح أيضاً حبيسة المادة ويجب أن تصارعها بالنسك** الشديد الصارم. ولا يمكن أن تنمو النفس روحياً إلا بهذا النسك، الذي يحارب كل رغبات الإنسان المادية، إذ أنها كلها رغبات شريرة تحدره إلى الهاوية.

لذلك حرّم الغنوسيون المانويون بعض المأكولات، مثل اللحم والخمر على أنهما نجسان بالطبيعة. وحرموا الزواج، إذ رأوا أن الرغبة الجنسية هي أدنى ما في الإنسان وأن الشر ينتقل من الآباء إلى أبنائهم من خلال السائل المنوى في العلاقة الجنسية!! وقد عاشر أغسطينوس هؤلاء المانويين عدة سنوات قبل توبته. ويقال في التاريخ أنه قد تأثر بهم؛ ولعل هذا أحد أسباب أنه كان أول من علّم بوراثة الخطية على خلاف ما علم به أثناسيوس الرسولي، وبقية آباء القرون الأربعة الأولى. (أنظر كتاب: كيف نفهم اليوم قصة آدم وحواء – لكوستي بندلي – منشورات النور – لبنان).

(وكتاب: The Early Church by Henry Chadwick., Penguin Books p. 227-228)

(وكتاب: Reason & Faith - by Forster & Marston, Monarch Publication, p. 231)

وقد إمتدت آثار هذه الإنحرافات حتى أنها قد أثرت على النسك المسيحي كما كتب المتنيح الأنبا بيمين (المسيحية والجسد ص ٦٦) (وكما في كتاب:

(The Early Church وكتاب: The Sacrament of Love by P. Evdokimov, SVS Press, N.Y. Page 60) ولعل هذا ما جعل الكثير ممن كتبوا عن الجنس والمرأة في القرون الأولى، يعبِّرون عن عدم ارتياحهم وتحريمهم لهذا الجانب في الإنسان! لقد علم اكلمنضس السكندري أن الخطية الجدية كانت في الحقيقة أن آدم وحواء قد مارسا الجنس قبل أن يسمح الله لهما!! أما أغسطينوس فعلم بأن الإنسان في الفردوس كان سيتناسل بدون جماع جنسي! إذ أن هذا لا يمكن أن يتفق مع الطبيعة الفردوسية للإنسان! (كتاب سر الحب – پول إفدوكيموف اللاهوتي الروسي - Sacrament of Love). وتقول أيضاً Elizabeth Clârk في كتابها الآبائي الممتاز:

(Women in the Early Church - The Liturgical Press, Minnesota, P.15-20)

أن المرأة قد ظُلِمَت كثيراً في القرون الأولى المسيحية لأسباب اجتماعية قد أثرت على **تفسير رسالة الكتاب المقدس لصالح الرجل!**

ولكن الكنيسة في تيار التعليم العام لم تتبنى هذه الأفكار التي تحط من كيان الإنسان، الذي قال عنه الكتاب أنه «حسن جداً» (تك ١: ٣١). لذلك فقد حرمت في القرن الرابع كل من علَّم بنجاسة المادة والجسد والزواج وأكل اللحم وشرب الخمر، وذلك في مجمع GANGRA غنغرة (القانون ١، ٢ و ٤). ليس هذا فقط ولكن الباب الـ ٣٣ من دسقولية الرسل مليء بالتعاليم التي تحرم كل من علَّم بنجاسة الجسد وإفرازاته، أو بنجاسة الزواج والعلاقة الجنسية وإفرازاتها في الزواج. وقد قدم لنا د. وليم سليمان قلاده هذا الكتاب، مع دراسة لاهوتية لنقاء تعاليم الآباء الرسل. وقد أشاد قداسة البابا شنوده الثالث بهذا البحث في مجلة الكرازة (٧٩/٧/١٢).

وتُعلم الدسقولية المرأة الطامث والنافس والزوجين بعد المعاشرة، بأن أجسادهم نقية وطاهرة ولا تحتاج للحميم لكي تصبح طاهرة للصلاة أو الاقتراب من أعمال الروح القدس، وأن من يعتبر نفسه نجساً لهذه الأسباب يحكم على نفسه بفراق الروح القدس منه!!! وقد أكد أثناسيوس الرسولي هذا التعليم في رسالته إلى

الراهب آمون (مجلد ٤ – سلسلة آباء نيقية – المجموعة الثانية ص ٥٥٦). أما قانون منع المرأة الطامث والنافس من دخول الكنيسة، فقد وضعه الأنبا كيرلس الثالث الشهير بإبن لقلق في القرن ١٣ فقط. وكان البابا ديونيسيوس السكندري (القرن ٣) قد إرتأى هذا الرأي أيضاً من قبله. إلا أن هذه الآراء حقيقة تعتبر شخصية حيث أن المجامع المسكونية وتعاليم الرسل لم تقنن هكذا. ويعلق المتنيح الأنبا بيمين على هذا القانون في كتاب المسيحية والجسد ص ٣١؛ وأيضاً يستشهد بهذا التعليق كتاب الجنس والزواج، الذي قدم له نيافة الأنبا موسى أسقف الشباب، يعلق ويقول أن الكنيسة قد وضعت هذا القانون «كراحة إجبارية للمرأة» حيث أنها تكون عادة متعبة ولا تريد الكنيسة أن تثقل عليها وتتركها لضميرها فقط: هل تذهب للكنيسة أم تستريح بالمترل في هذه الأوقات. وهو يؤكد مثل الدسقولية ومثل أثناسيوس الرسولي، أنه ليس في جسد الإنسان وإفرازاته أي نجاسة إطلاقاً. **ولكن النجاسة تحل بالخطية وحدها حتى ولو كانت بالفكر فقط.**

أما إن أراد البعض تفسير وضع هذا القانون على أنه تطبيقٌ لشريعة ناموس موسى، التي في سفر التثنية، فترد عليهم الدسقولية في الباب ٣٣ بمنتهى الصراحة والوضوح: أن الرب قد أبطل رباطات الناموس (الموسوي) بالكمال.. وما قد كمله وثبته فهو «الناموس الأول.. الناموس الطبيعي». ذلك الذي قد عاش به الآباء الأولون قبل موسى، ثم أعطاه لموسى بصورة الوصايا العشر.

تلك الرباطات: «**ربطهم بهذا: بالذبيحة والإمتناع والتطهير، أما أنتم أيها المؤمنون... فقد حلكم من الرباطات وجعلكم أحراراً من العبودية... وبطّلها بالكمال والناموس ثبته**»، «وليس الذي رفعه عنا ناموساً بل رباطات».

وفي النسخة السريانية أيضاً: «والذين لا يطيعونه ليخفف عنهم ويخلصهم من ربط التثنية، **لا يطيعون الله**.. فلا تبحثوا عن أي شيء آخر لأن **التثنية قد أبطلت**، وقد ثبت الناموس... لأنك عندما تحفظ التثنية، فإنك تشارك في اللعنة التي توجهها لمخلصنا (لأنه ملعون من عُلِّق على خشبة)، **وأيضاً فإنك ترث اللعنة**».

فالرسل الأطهار، قد حاربوا بشدة الغنوسية والتهود على أنهما كليهما هرطقات.

معنى كلمة «جسد» في العهد الجديد:

يقول المطران چورچ خضر الأرثوذكسي (لبنان) أن ترجمة كلمة (= Sarks Flesh) وكلمة (Soma = Body) إلى كلمة واحدة بالعربية وهي: «جسد»، قد أنشأ **مشكلة كبيرة في فهم معنى الجسد**. فكلمة Sarks تعني الإنسان بكامله (روح وجسم) بعيداً عن الله، في حالته الفاسدة بدون نعمة الله. وفي هذه الحالة تكون كل أعماله وأفكاره أعمالاً «جسدية» – of the flesh. أما Soma فتعني الجسم المادي الخيِّر، وأحياناً الإنسان كله، كخليقة الله الطاهرة التي هي هيكل للروح القدس، بكل احتياجاتها ورغباتها المادية والنفسية والروحية على السواء. وقد ردد المتنيح الأنبا بيمين هذا الكلام نفسه في كتاب المسيحية والجسد. وأيضاً پول افدوكيموف اللاهوتي الأرثوذكسي و Romanidis الأرثوذكسي في مقالته الهامة Original Sin - S.V.S. - New York 1956.

لذلك وكما علم بولس الرسول في غلاطية ٥، **فإن «أعمال الجسد» ليست هي احتياجات الجسد المادي من أكل وزواج ورغبة في الترقي والطموح والعمل والعلم وكسب الدخل والامتلاك الضروري إنما هي إنحرافات وشر الإنسان ككل، بعيداً عن الله ووصية الكتاب**. إن لم نعي هذا الكلام تمام الوعي، فنحن عرضة لتحريف التفسير بخصوص أنشطة الإنسان كلها، وتتحول تباعاً كل حياتنا إلى سعي وراء «شهوات الجسد والعالم»، ليس هذا هو النسك المسيحي، بل **هذا الانحراف هو النسك الغنوسي المانوي بعينه**.

إن تحريم الهرطقات لا يقضي عليها لأنها نمط فكري ونظام للحياة System، تقيم على أساسه كل أفكار ورغبات وأعمال الحياة اليومية. فإن قلنا أن الرغبة في الأكل شهوة (أي رغبة شريرة = Lust) والرغبة الجنسية في الزواج شهوة، والطموح شهوة... الخ، فماذا يتبقى لنا من الحياة إلا العبادة فقط؟! إن هذا هو الإنحراف الذي أصاب النسك المسيحي كما قال المتنيح الأنبا بيمين. ولعل هذا ما جعل أحد أبنائنا يعلِّق: «يبدو لي أن كل ما تحاولون اقناعنا به في مدارس الأحد،

هو أن في هذه الحياة لا يخلص أحد إن لم يدخل الدير!»

في اللغة العربية حروف العلة (الواو والياء والألف) كلها تشكل حرفاً واحداً ويمكن إستبدالها. لذلك **تستعمل كلمة «شهوة» بمعنى «شهية»! ولكن في هذا الاستعمال خطأ كبير وخطورة شديدة جداً**. وذلك على شبه الالتباس الحادث من ترجمة كلمتي Sarks & Soma إلى كلمة واحدة تماماً. فكلمة شهوة ترجمتها: Lust، أي رغبة شريرة. **وكلمة شهية ترجمتها**: Appetite **أي رغبة جيدة**، ومن هنا يبدو لنا أن استعمال كلمة «الشهوة الجنسية» للتعبير عن هذه الرغبة في الزواج، تحول تعليمنا إلى هرطقة غنوسية مانوية مباشرة، وتخلق مركبات نفسية غاية في الخطورة. ولعل هذا هو السبب الرئيسي في أن الجنس في المجتمعات الشرقية عموماً، هو سبب جذري في الكثير من المشاكل الزوجية والنفسية. ونطلب من الله ألا يكون هذا هو الحال في شعبنا؛ وإن كانت للأنبا بيمين عظة مسجلة للشباب يؤكد فيها فزع حديثات الزواج من أزواجهن لشعورهن بنجاسة هذه العلاقة وكل ما يرتبط بها كما تعلمن منذ الصغر، مع الأسف الشديد.

الأريوسية والنسطورية وأوطاخي:

يسهل جداً الآن أن نفهم لماذا فكر هؤلاء الهراطقة، أن طبيعتي اللاهوت والناسوت في السيد المسيح كان يستحيل ليس فقط اتحادهم بل وحتى لقاءهم معاً.

فآريوس: إذ قرأ «إن أبي أعظم مني»، وكان قد نشأ في الفكر اليوناني الذي يحتقر المادة والجسد، كان لا يستطيع قبول أن يتجسد الله! لذلك علم بأن الابن مخلوق، ولكنه أعظم الخلائق، محرفاً كلمة «بكر كل خليقة» في التفسير.

أما أوطاخي: فإذ أراد الدفاع عن لاهوت المسيح (غالباً للرد على الفكر النسطوري)، علّم بأن الجسد المادي (الناسوت) لابد وأنه قد إبتلع في اللاهوت تماماً، كما تذوب نقطة الخمر في البحر. فهو إذ أراد أن يبقى إعترافه باللاهوت، و لم يستطع إنكار تاريخية شخص يسوع الناصري كإنسان، اضطر لعدم إعترافه بحقيقة بقاء ناسوت الرب كناسوت حقيقي في إتحاد مع اللاهوت بدون إمتزاج أو تغيير.

وأما نسطور: فلم يتصور إمكانية اتحاد اللاهوت بالناسوت، بل علَّم بأن اللاهوت كان فقط مصاحباً للناسوت! وأن السيدة العذراء قد ولدت الإنسان يسوع فقط.

المشكلة المشتركة، كما نرى، هي عدم إقتناع أي منهم، بأن المادة والجسد هما في الحقيقة كيان وخليقة طاهرة قد رأي الله صلاحها – من جهة الطبيعة – لكي يحل فيها، ويردها إلى الحياة في حضن الآب الذي لذته في بني البشر.

ومن حيث طبيعة السيد المسيح، فقد علم الغنوسيون أيضاً أن جسده كان جسداً أثيرياً (طيف خيال)، ولذلك فالذي صلب لم يكن الرب نفسه بل «شبه له» ومن الملاحظ – لمن هو دقيق الملاحظة – أن فكر آريوس هو عقيدة شهود يهوه الحالية. وهناك في أيامنا الحالية أيضاً من يؤمن بأن الرب لم يصلب بل صلب «شبيه له». وأيضاً يقال أن فكر نسطوريوس لا يزال حيّاً في كل تعليم يشق ويفصل حياة الإنسان إلى ما هو مقدس (Sacred) بعيداً ومتعالياً على ما هو علماني، أي ما يهتم بالحاجات الزمنية للإنسان (Secular)، فالإزدواجيات والثنائيات الغنوسية (Gnostic Dualities) التي تقسم الإنسان إلى روح وعقل ضد الجسد، أو فكر مضاد للمادة (ومن ثم تجعل حياة التأمل أعظم من حياة العمل)، هذه كلها أفكار غير مسيحية. لأن الحرب في الإنسان المسيحي ليست بين مكوناته الكيانية (الجسم والروح)، بل بين الخير والشر. فالمسيحي وحدة سيكوسوماتيكية (Psychosomatic) أي نفسية جسدية لا يمكن تجزئتها، وستظل هكذا في ملكوت الله عندما تقوم الأجساد لترث المجد مع الأرواح للأبد. فالجسد (Soma) والروح والفكر والمادة والتأمل والعمل.. كلها تنسجم في وحدة واحدة يسكنها ويقودها الروح القدس نحو هدف واحد بدون تضاد إطلاقاً، ذلك هو «شبه ومثال» السيد المسيح.

ثانياً: الله والإنسان والكون (المادة) في الإيمان الأرثوذكسي:

بما أن النور يسطع عادة بشدة إذا قورن بالظلمة، والجمال يتأكد بمقارنته مع القبح، لذلك كتبت أولاً عن الانحرافات الهرطوقية، التي وصل إليها الإنسان عندما أراد أن يفسر الكون ونفسه وعلاقة الله به، من خلال الفكر البشري وحده بدون الإعلان الإلهي. ومما هو واضح وكما ذكرت، أن **خطورة الهرطقات** ليست في أنها انحرافات فكرية يهتم بها دارسو اللاهوت والفلسفة بل هي دعوة **لتحطيم خلاصنا** كلهُ والغاء ومحو الإعلان الإلهي كله عن طريق تحويل شخص الرب إلى مصلح اجتماعي أو نبي في سلسلة أنبياء البشرية، **وتشويه طبيعة الكون والإنسان وتحقير كل أنشطة الإنسان** بداية من وظائف أعضاء الجسد إلى أكله وشربه وزواجه وعمله وعلمه وطموحه وكل صورة الله التي فيه، وتمزيقه إلى ثنائيات الغنوسية حيث يصبح فيه ما هو مقدس وما هو نجس وشرير وغير مقدس في آن واحد!! هذه ليست رسالة الخلاص.

تدبير وقصة الخلاص (SALVATION ECONOMY):

إن كل تعليم أرثوذكسي للعقيدة المسيحية يبدأ بدراسة **الخلق** لكي يؤكد لنا طبيعة الخليقة وطبيعة الإنسان الحسنة جداً (تك ١: ٣١). ثم يتبع هذا دراسة **سقوط الإنسان** لفهم أسباب معاناته. وبعد ذلك الحديث عن **الفداء والخلاص**، وذلك يستلزم تأكيد أرثوذكسية إيماننا عن طبيعة السيد المسيح (Christological dogma)، ولا ينتهي الحديث بدون تأكيد إيماننا بالروح القدس ودوره في **الخليقة والكنيسة** عاملاً فينا بالأسرار حتى القيامة وحياة الدهر الآتي. ولذلك وضعت الكنيسة **قانون الإيمان** الذي يرسخ هذه المفاهيم.

(١) الخلق:

يحكي لنا سفر التكوين في اصحاحاته الثلاثة الأولى قصة شعرية حقيقية ولكن (Metaphorical) في أسلوب رمزي، كما شرح وأكد الكثير من الآباء الأولين أمثال أوريجانس ويوحنا ذهبي الفم وباسيليوس وغيرهم (Reason & Faith by Forster & Marston). يحكى لنا أن الله هو الخالق الوحيد، وعلة وجود الكون كله والإنسان، بدون شريك. ويؤكد لنا في نهاية كل فقرة من فقرات الخليقة (المرموز لها بالأيام الستة) أن الخليقة المادية كلها حسنة ومُرْضية. وكيف لا تكون كذلك وهي من عمل «قوة نقية» كما علم أثناسيوس الرسولي؟ وأما الإنسان فقد خلقه الله وبصورة خاصة، حاملاً «نعمة» خاصة جعلته حسناً جداً. ويعلِّم أثناسيوس الرسولي في كتاب تجسد الكلمة، أن هذه **النعمة قد أعطيت للإنسان لكي تحميه وتحفظه من الفساد** أي التحلل والفناء الجسمي والموت الروحي أيضاً بالبُعد عن الله للأبد. وقد علم أن الإنسان لم يُخْلَق خالداً (من الناحية الجسمية)، ولكنه خلق قابلاً للموت بالطبيعة (Mortal by Nature-On the Incarnation P. 30).

ولكنه إن حافظ على هذه النعمة، بالتأمل الدائم في الله كان يمكنه «عدم الفساد» أي الحياة للأبد. وقد علم أيضاً كل من إيريناوس ويوستينوس الشهيد بأن الخلود لم يكن من طبيعة الخلائق في ذاتها إلا لو أراد الله، (Faith of the Early Fathers - Vol. 1, P. 58 and 89). بالرغم من هذا الوضع القابل للموت الذي جُبل عليه الإنسان والخليقة الحيوانية ضمناً إلا أن الخليقة كانت في نظر الله ولا زالت في أصالتها جيدة. والعالم لم يحدث له تغيير في طبيعته بعد السقوط، وإنما فُقدت منه هذه النعمة فأصبح الإنسان مائتاً لا محالة، كما سنرى، والخليقة المادية أيضاً **فقدت منه ومنها «النعمة». وهذا ما تعنيه كلمة «لعنة»** في «ملعونة الأرض بسببك» (تك ٣: ١٧). لذلك فاللعنة ليست من عمل أو إرادة الله، بل هي نتيجة تلقائية طبيعية للخطية ولرفض الإنسان لنعمة الله «صانع الخيرات».

ومن الدروس والأهداف الهامة في قصة الخليقة نظرة الله وتصميمه الرائع في خلق الجنس في الإنسان. حيث أنه هو الذي «خلقه ذكراً وأنثى» (تك ١: ٢٧)

وخلق له كل شيء للتمتع «من جميع شجر الجنة تأكل» (تك ٢: ١٦). أي أن خير الطبيعة كله هو لسعادة الإنسان، وكل احتياجاته الطبيعية هي خيِّره ومن صنع الخالق المحب «شاعر[١] الكون» كما سماه فرانسوا كليمان الفرنسي. ويبدو سفر التكوين لدارسي هذه الاصحاحات غنياً بالرموز التي تكاد تملأ كل كلمة. فآدم تعني «تربة الأرض» لأننا من عناصر المادة، وحواء تعني أم كل حي (حياء = حواء)، والضلع يرمز لمساواة الرجل والمرأة، وليس كما في أساطير حضارات أمريكا اللاتينية أن المرأة من أخمص قدم الرجل! **أما سبب خلق الجنس** فليس هو التناسل، كما علَّم الكثيرون، ولكنه «الشركة والحب» كما يفهم من أنها خلقت لكي «تكون معيناً نظيره» (تك ٢: ١٨). وقد علم يوحنا ذهبي الفم هكذا، وردد المتنيح الأنبا بيمين نفس التعليم: النسل ليس هدف الزواج ولكنه ثمرة الحب والشركة. ولذلك لا تُطلِّق الكنيسة المرأة العاقر ولا الرجل الذي لا ينجب. والزواج أيضاً هو نظام ناموس الحياة الأساسي والأول. لذلك فمن يعلم بأن البتولية أرفع شأناً من الزواج يعلم بأن الله قد خلق الإنسان في حالة أقل من أفضل الاختيارات الممكنة أي أنه خلق:

(In his second, and not the first best choice)، وهذا غير مقبول لاهوتياً ولا منطقياً.

إن البتولية حالة خاصة لا يجب إعلاؤها على الزواج. وحديث السيد المسيح مع الغني عن الكمال في ترك كل شيء واتباع الرب، لم يقصد منه التبتل بل عدم الاعتماد على أي شيء إلا الله وحده، وأن يبيع القلب من الداخل أي ارتباطات خارجة عن علاقته بالله أو معطلة له. وإلا قلنا أن المتزوجين هم ضعاف المؤمنين، كما كانوا يُسمَّون في القرن الرابع «أهل العالم» بالمقارنة بالرهبان أهل الدير والبرية حتى أُعتُبِر «**أهل العالم**» «**مؤمنين من الدرجة الثانية**» (كتاب The Body & Society by Peter Brown). أيضاً تعليم التكوين وبركة الله للإنسان لكي يتناسل «اثمروا واكثروا واملأوا الأرض» (تك ١: ٢٨) جاء قبل قصة السقوط. وهذا يرد على رأي من قال أن الخطية الأصلية

١ كلمة «شاعر» في اللغة اليونانية واللاتينية تعني «مُبْدِع» أو «صانع»، ومنها كلمة بالإنجليزي «Poet» التي تعني «شاعر».

هي ممارسة الجنس. **فالعلاقة الجنسية لم تحدث كشر لابد منه بعد السقوط، بل سنَّها الله وصنع أعضاءها ووظائفها و «لها جمال أفضل» من بقية الأعضاء** كما علم بولس الرسول لتصحيح مفاهيم الأمم الذين كانوا يظنون أنها قبيحة!! (١كو ١٢: ٢٣).

الخلق ونظرية التطور:

يقول لنا العلماء بناء على إستعمال طريقة:

"radioactive dating methods for example Carbon 14-dating"

أن الحياة على هذا الكوكب عمرها حوالي ٢ – ٣ مليارات من السنين! وعمر كوكبنا نفسه حوالي ٤,٥ مليارات من السنين. أما الإنسان فهو حديث السن جداً يبلغ عمره حوالي ٣ – ٤ مليون سنة فقط! والإنسان الحديث (Homo Sapiens)، قد وجدت له عدة حفريات تؤكد أنه يبلغ من العمر حوالي مائة ألف سنة. وهذه كلها أرقام صغيرة إذا قورنت بعمر الكون والذي يقدر بحوالي ١٦ ملياراً من السنين.

أما من يؤمنون بحرفية (تك ١ – ٣) فالكون بالنسبة لهم (وهم يسمَّون في الغرب Creationists)، كله قد خُلق منذ أقل من ثمانية آلاف سنة في مدة ١٤٤ ساعة فقط (ستة أيام)!! وهم يرفضون المعطيات العلمية، مُدَّعين أن العلماء يهدفون إلى محاربة الإيمان، رغم أن كثيراً من العلماء يؤمنون بوجود الخالق ولكنهم أيضاً يحترمون صحة الإكتشاف العلمي. فهل هناك من تعارض بين الكتاب المقدس والعلم! خاصة فيما يختص بنشوء الحياة وظهور الوعي والإدراك، بظهور الإنسان؟

المشكلة ليست بين الكتاب المقدس والعلم، ولا بين الإيمان والفكر التحليلي المستنير. يقول فرانسس بيكون، إن الله قد أعطانا كتابين لا يشوبهما أي خطأ:

الأول: «**الكون المادي**»، وتفسيره «**العلم**» Science.

والثاني: «**الكتاب المقدس**»، وتفسيره «**العقيدة اللاهوتية**» Theology.

وإن كان الكتابان معصومين من الخطأ، إلا أن تفسيريهما، لأنهما (أي التفسيرين) عمل بشري، قد يقبلان الخطأ. من هنا يبدو سبب الخلاف الظاهري بين آراء العلماء

واللاهوتيين، خاصة وأن اللاهوتيين في الكثير من الأحيان (مثل ما حدث مع جاليليو في القرن ١٧)، يظنون أن آراءهم العلمية لها نفس الصحة مثل آرائهم اللاهوتية في العقيدة، أو أن الرأي اللاهوتي هو نفسه الرأي العلمي.

إن أردنا حل هذه المشكلة نهائياً، علينا أن نعي أن **العلم** ليس إختراعاً بشرياً، بل هو إكتشاف الحق الذي في الكون، وهو يشرح لنا في نهاية الأمر: كيف خلق الله (How?). أي أنه يشرح لنا **الكيفية الحرفية**: "The Method" للخلق. ولكن ليس في مقدرة العلم أن يصف لنا الخالق، فهو لا يُرى ولا يُحتوى بوسائل الإستقصاء العلمية. أما **الكتاب المقدس والعقيدة اللاهوتية** التي تفسره، فهم يدرسان: **لماذا خَلقَ الله** (Why?) ومن هو الله. أي أنهما يشرحان لنا معنى الوجود "The Meaning"، وسببه وصانعه، إن أدركنا هذا الفارق بين الكيفية والمعنى (Meaning & Method)، تلاشت المشكلة نهائياً. فالعلم له أن يسبر غور الكون والمادة إلى أقصاه بدون أي حدود. ألم يعطنا الله سلطاناً على الخليقة؟ (تك ١: ٢٨) بل وأن نأكل من جميع ثمارها بحرية، ومن ضمنها الدراسة العلمية كنشاط وثمرة فكرية (تك ٢: ١٦)، على شرط أن نرعاها ونحرسها (تك ٢: ١٥)؟ لذلك فأنا لا أرى أي مشكلة لو إكتشفنا بالعلم، الحل لأصعب ثلاثة أسئلة يطرحها العلم والفكر:

١ – كيف بدأت **الخليقة**؟ أي تحول العدم إلى وجود!

٢ – كيف ظهرت **الحياة**؟ أي تحول المادة الغير عضوية إلى مادة عضوية (D.N.A.)!

٣ – كيف ظهر **الوعي** عند الإنسان؟ أي ظهور كائن عاقل من المملكة الحيوانية!

يظُن الكثيرون أن إكتشاف الكيفية (Method or How) هنا، سيلغي الحاجة إلى الإيمان بالله! ولكن هذا خوف بدون أساس. وذلك لأن السؤال الأعمق سيزال باقياً بدون إجابة، وهو «لماذا؟» (Why?)! لماذا حدثت هذه الخطوات الثلاثة في التاريخ؟ ماذا أو من يعطيها «المعنى» (Meaning) لوجودها وحدوثها؟ هذا سؤال ميتافيزيقي فلسفي ليس للعلم علاقة به، فهو خارج نطاق العلم التحليلي كلية. إجابة هذا السؤال الأخير هي دور ورسالة الكتاب المقدس وتفسيره. إلا أن الملحدين يظنون أن إجابة «الكيف» هي هي إجابة «لماذا»، أو على الأقل تغني

عنها. وللأسف هناك الكثير من المؤمنين من يظنون أن هذا الوهم حقيقة، لذلك يعملون جاهدين (بدافع الخوف) لمحاربة الإكتشافات العلمية على أنها عدو للإيمان، ومن عمل الشيطان لتضليل الإنسان!!

عندما علم جاليليو أن الأرض ليست مركز الكون فلكياً، خافت الكنيسة الغربية وحرمته، لأنها كانت تُعلِّم أن الأرض هي مركز الكون وأهم ما فيه! المشكلة هنا هي أن الكنيسة خلطت بين مركز الأرض في قلب الله والإنسان وبين مركزها الفلكي! الكنيسة هنا أرادت الدفاع عن العقيدة اللاهوتية برفض الحق العلمي. السبب واضح، وهو أنها لم تفصل بين «الكيفية العلمية»، و «المعنى اللاهوتي» كما شرحت؛ لم تفصل بين «كيف» و «لماذا».

يقول القديس باسيليوس الكبير (Reason & Faith P. 261):

«قد نقول أن الأرض مستقرة على نفسها، أو نقول أنها محمولة على المياه؛ ولكن يجب أن نظل أمناء للإيمان الديني الصحيح، ونعي أن كل شيء هو قائم بقوة الخالق.. الحقائق العظمى لا تهزنا أبداً عندما نكتشف بعضاً من نظامها البديع».

ومن هنا نفهم أن فكر الآباء كان في عمقه يتوقع ويدعو إلى التمييز بين إحتمال التغيير في المعطيات العلمية، التي تدرس الـــ «كيف»، وبين رسوخ الإيمان بالله الذي يجيب على «لماذا»، بدون أي تخوف من العلم واكتشافاته.

إلا أننا لازلنا نتخذ موقف الكنيسة الغربية من جاليليو، في موقفنا من نظرية التطور والتي بدأها (Charles Darwin) عندما نشر كتابه الشهير:

The Origin of Species - 1859. وبالرغم من وجود اعتراضات ونقد قيِّم لآراء داروين، بل وإصلاحات وتعديلات على نظريته، إلا أن الجل الأعظم من العلماء (والكثير منهم يؤمن بالله)، يعتقدون في صحتها ويقبلون ما يسمى (Neo-Darwinism)، كما يؤكد كتاب: Reason & Faith P. 318.

علَّم داروين، وكل من يعتقد في هذه النظرية، أن الحياة على كوكبنا قد نمت تماماً كما تنمو الشجرة من جذع واحد ثم يبدأ في التفرع المتوالي لأعلى، بحيث

أن قمم الأفرع فقط هي التي تبقى موجودة في أي وقت من الزمن. فإذا حفرنا في الأرض عند طبقة معينة، نجد فيها بقايا حفريات كائنات تلك الحقبة التاريخة فقط. ما شرحه داروين إذا، هو «الكيفية» التي خرجت بها الكائنات من بعضها البعض بالتوالد إلى حيز الوجود.

ولكنه لم يستطع (ولن يستطع أحد)، أن يجيب على سؤال «لماذا؟»، علمياً. لماذا إختار هذا الكون المادي هذا الخط التصاعدي من اللاشيء إلى المادة المعقدة، إلى الحياة، ومنها قفز قفزته الرائعة إلى الإنسان الواعي؟ لماذا لم يسلك خطاً آخراً؟ النظام الذي يشير إليه الخط البياني لإرتقاء الكائنات وصعودها نحو هدف رائع، يستدعي البحث عن سبب وغاية نهائية؛ هذا التطور البديع والمحير، لابد له من قيادة ورعاية وخطة أولية، وإلا فإننا ننسب إلى المادة عقلاً وفكراً وحكمة أعلى من الإنسان.. وهذا هو الوثنية عينها!! لذلك كتب الراهب الچيولوچي وأحد أعظم مفكري القرن العشرين، تياردي شاردين، في كتابه Man's place in nature، أن الله هو «ألِف وياء التطور»، الذي بدأه من العدم إلى الوجود ومنه إلى الإنسان، الذي لم يكتمل بعد، وهو لا يزال يقود مسيرة التطور ويتعهده حتى تحقيق الغاية العظمى وهي إتحاد الخليقة بالخالق (على شبه إتحاد اللاهوت بالناسوت في الابن المتجسد) في الأبدية.. ياء التطور. لذلك قد يصح القول، **أننا لازلنا في اليوم السادس للخليقة**، حيث أن الحالة الفردوسية للإنسان (صورة الله كشبهه على مثاله) لم تكتمل بعد.. وبما أن الآب لا يزال يعمل هو والابن والروح القدس (يو ٥: ١٧)، فاليوم السابع، يوم الراحة الحقيقي، هو في عمق معناه نبوءة عن راحة ملكوت الله النهائية، يوم يستريح الله من كل ما عمله (تك ٢: ٢)، ويحقق وحدته بالخليقة التي هي موضع لذته وعنايته.

عندما نقرأ: «وجَبَلَ الرب الإله الإنسان من تراب، ونفخ في أنفه نسمة حياة، فصار آدم نفساً حية» (تك ٢: ٧)، **لا يجب أن نفسر هذا على أنه عبارة علمية، تشرح الكيفية التي خرج بها الإنسان للوجود.** بل ما يريد الله شرحه لنا: أن الله هو الذي خَلَقَ، وهو علة وجودنا، وقد خلقنا من مادة الكون إلى جانب عنصر

غير مادي، «نسمة الحياة»، (أو النعمة بحسب تعليم أثناسيوس الرسولي أو الروح القدس بحسب تعليم كيرلس الاسكندري)، التي جعلت الإنسان «نفساً حية» بصورة تختلف عن بقية الخلائق. وكما علم المتنيح الأنبا بيمين – أسقف ملوي – في عظة مسجلة عن خلق الإنسان (في مكتبة كنيسة مارمرقس – لندن – برقم P49، وعنوانها معرفة الله من خلال العالم)، علَّم وقال، سواء خُلق الإنسان في لحظة أو في ملايين السنين بالتطور من كائنات عليا، فهذا لا يغير شيئاً في رسالة الكتاب المقدس، وهو ممكن جداً. وهو بذلك يؤكد أن أرثوذكسية إيمانه لا تعارض الإكتشاف العلمي، كما في قول القديس باسيليوس السابق.

إن تعليم نظرية التطور يمكن تشبيهه بأن الخالق قد وضع «برنامجاً»، كما يضع العالِمُ برنامج الكمبيوتر، وبناء على هذا النظام نما الكون متفتقاً ومظهراً لنا الخلائق الحية بالتوالد بعضها من بعض، بصورة تلقائية. دور الله هنا، هو المصمم والمهندس والراعي والمتابع لسلامة ترجمة هذا البرنامج وتحقيقه. ولكنه ليس مثل الفخاري الذي يحتاج (لقصورِهِ)، أن يتدخل في كل مرحلة مرة أخرى، ليسد الثغرات والفقاعات التي قد تظهر في «الطينة» التي يشكلها. لذلك فالله لم يحتاج أن يصنع كل كائن بصورة مباشرة منفردة في التاريخ، ولكن أبدع النظام وقوانينه، بحيث يخرج من المادة الحية كل غنى المملكة النباتية والحيوانية، بصورة هادئة، بالتوالد وليس بالمفاجأة اللحظية. هذه الخطة تشبه تماماً نمو الجنين في بطن أمه: فهو يبدأ بخلية واحدة بها كمبيوتر صغير (١/١٠ ميللي متر) مكون من ٤٦ كروموزوما، ولكنه يحتوي على سر شكل وتكوين الإنسان وهو مائة عام!! هذا يحدث بدون تدخل آخر من الله، الذي وضع هذا النظام منذ البدء! ونحن نعرف أن هذا الجنين يشبه في كل مرحلة أجنَّة جميع الفقريات الأخرى، ولكنه لا ينحرف، بل يختار طريقه كقائد سيارة السباق بين أخطار وعوائق الأدغال والجبال بكل مهارة!

هكذا يشهد فهمنا العلمي للتطور عن عظمة الخالق وقدرته بصورة أعظم بكثير من تفسير الخلق اللحظي المباشر الذي يعتمد على حرفية تفسير إصحاحات التكوين

ومعتمداً على آراء علمية عفا عليها الزمن، ومدافعاً عن نفسه بإسم الإيمان المستقيم.

وهذه بعض أقوال آباء الأرثوذكسية العظام، الذين علموا أن إصحاحات التكوين الأولى هي أساساً رمزية وقد ألهم الله كاتبها أن يقدمها لنا في هذا القالب ليشرح لنا أموراً لها هذا الشبه التاريخي. لكن بسبب فهمنا البشري البسيط والقاصر سمح الله بهذه الرمزية:

يقول العَّلامة الأسكندري أوريجانس:

(Reason & Faith - Forster & Marston. P. 206-231)

«كيف يمكن لإنسان ذكي، أتساءل، أن يقبل معقولية أن اليوم الأول والثاني والثالث كانوا أياماً بدون شمس ولا قمر ولا نجوم، ولا حتى سماء في اليوم الأول؟!!

ومَن مِن السخف بالدرجة أن يصدق أن الله مثل الفلاح يزرع فردوساً شرق عدن... أو... عندما يقول أن الله يتمشى في المساء. لا أشك أن أحداً يمكنه أن يخطئ فهم الرمزية في التعبير، لكي يشرح لنا أسراراً لها هذا الشبه التاريخي».

«في اللغة العبرية آدم تعني الإنسان، وفي الأجزاء التي يبدو فيها أن آدم شخص، يتكلم موسى عن الإنسان في عمومه من جهة طبيعته.. **الله لا يعني شخصاً منفرداً بل الجنس البشري كله**».

ويقول القديس أغسطينوس: (Reason & Faith - P. 227)

«كما تحمل الأمهات بالصغار، هكذا الكون حامل بأسباب الأشياء التي تولد».

ولا أعتقد أن أغسطينوس كان سيواجه مشكلة في قبول نظرية التطور إن كان فكره بهذا العمق!

أما القديس باسيليوس فقال: (Reason & Faith - P. 205)

«سواء قلت يوماً واحداً أو قلت الأبدية كلها فأنت تعني نفس الفكرة» – أي بالنسبة إلى الله وأيام الخليقة.

ويقول القديس ذهبي الفم عن ضلع آدم: (Reason & Faith - P. 205)

«لا تأخذوا الكلمات بحسب الفهم البشري، ولكن فسروا عمق معناها من خلال الفهم الإنساني المحدود. كما ترون، إن لم يستعمل هذه العبارات فكيف كان من الممكن أن نفهم نحن هذه الأسرار التي تفوق الوصف؟»

(٢) السقوط (The Fall):

يقول كوستي بندلي[٢] في كتاب «كيف نفهم اليوم قصة آدم وحواء» إن الحالة الفردوسية هي في الحقيقة ترمز إلى إشتياق داخلي للكمال، وتحقيق هدف الخليقة أي ملكوت الله، **وهي ليست حالة تاريخية كانت وضاعت في الماضي، إنما هي أمامنا كحالة مستقبلية**، كان على الإنسان، لو عاش حسب النعمة المعطاه له و لم يفقدها، أن يحققها؛ ولكنه فشل في الحياة بحسب هذه النعمة. وقد كتب مكسيموس المعترف (انظر كتاب The Mystical Theology of the Eastern Church-. Lossky P. 109) «كان على الإنسان أن يوحد في نفسه كل الخليقة.. ثم يعطيه الله حالة التألُّه وبهذا تعطى حالة التألُّه هذه للخليقة كلها.. فينال الإنسان بالنعمة ما يملك الله بالطبيعة... ولكن بما أن آدم قد فشل في هذه المهمة، جاء المسيح آدم الثاني لكي يرينا ما كان ينبغي أن يحدث أولاً».

لذلك لا يجب فهم أن الإنسان كان بالطبيعة في حالة مختلفة عن طبيعته الآن بصورة جذرية، ولكنه كان يحمل نعمة تحفظه لو حفظها. وبما أنه قد أراد التألُّه من خلال ذاته بمشورة الشرير، فقد النعمة، التي كانت ستحفظه من الفساد ويتأله بها من خلال الطاعة للنظام الكوني الذي وصفه مكسيموس المعترف وآخرون (أنظر أيضاً Orthodox Theology-V. Lossky).

لذلك **فالخطية الأصلية** وإن رمز لها بأكل ثمرة هي أساساً (سواء كانت القصة رمزية أو حتى حرفية) رغبة الإنسان أن يتأله بعيداً عن الله: «تصيران مثل الله عارفين الخير والشر» (تك ٣: ٥). **فتألُّه الإنسان** (deification) **كان هو هدف**

٢ معلم حركة الشبيبة الأرثوذكسية بلبنان وهو من أعمق كُتَّاب العربية وقد قدمه لنا المتنيح الأنبا بيمين.

الخليقة كلها كما علم الآباء الأولون و لم يكن إلا اشتياقاً في قلب الإنسان. لذلك فإغراء التأله من خلال الذات كان قوياً ولا يزال في كل إنسان. وهذا هو ما رُمِزَ إليه بأن الشجرة كانت «شهية للنظر» (تك ٣: ٦). ويظهر أيضاً تحايل الشرير في أنه يستعمل جزءاً من الحقيقة، ويضيف إليه الكذب، وليس الإغراء كذباً كله. لقد أخطأ آدم النموذج، فلم يعلم أن التأله حقيقة لا يُمنح إلا من الإله نفسه، من خلال التشبه «بأخلاق الله»، كما قال أحد اللاهوتيين. لم يفهم آدم أن حياته وتألُّهه كانا خطة الله التي تتحقق من خلال الحب والشركة على شبه الثالوث. لذلك، عندما أراد أن يستقل بذاته منفرداً عن مصدر الحياة والألوهية، **فقد النعمة وعاد إلى حالته القابلة للموت** بدون النعمة كما يعلِّم أثناسيوس الرسولي: (تجسد الكلمة On the Incarnation P. 29, 30).

إن خروج الإنسان من دائرة الحب والشركة والحياة – هذا السقوط – نتج عنه دخوله إلى دائرة العدم والموت. لقد قرر الإنسان بنفسه أن يشرب السم، وأن ينزع نفسه وهو الغصن من الكرمة الحقيقية (إبن الله الكلمة)، الذي بغيره لم يكن شيء مما كان ولا تستمر له حياة. إن عقوبة الإنسان تمت وتتم عند قراره بشرب السم. لذلك كُتِبَ أن آدم وحواء أصبحا «عريانين»! العري هنا هو حالة فقدان النعمة. هذا ليس عرياً جسمياً: فهناك قديسون قد عاشوا هكذا و لم يخجلوا، إنما هذا عري من النعمة، وتبعه تغرُّب مؤلم عن الله، رُمِزَ إليه باختباء الإنسان «خلف الأشجار» (تك ٣: ٨)، أي التلهي في المادة التي فُقدت منها النعمة (لُعنت). ومضى الإنسان يحاول كما يحاول الكثيرون في تأليف حجج لينكر على نفسه حالته المتغربة، وهذه هي «أوراق الشجر» التي حاكا منها مآزر (تك ٣: ٧). ولكنها لا تستر أمام الضمير الذي يخاطب الخاطئ عندما يهدأ إلى نفسه ويعي حاله في التأمل الروحي. هذا ما رُمِزَ إليه بنداء الله لآدم حين تمشى الله في الفردوس (in the cool of the day) (تك ٣: ٨).

كتب لويس إفلي (كيف نفهم اليوم قصة آدم وحواء): «إن الله لا يقتصُّ من أحد، الله لا يقتل أحداً، إنما الإنسان يقتصُّ من نفسه ويميت نفسه». نعم إن الله

يُخيِّر الإنسان بين الحياة والموت، والإنسان بحريته قد إختار الموت. ولكنه دائماً يعكس إنفعالاته ومعاناته، ناسباً إياها إلى الله نفسه كقاض مُرعب. لذلك فكاتب سفر التكوين ينسب إلى الله عقوبة الإنسان ومعاناته! كما لو كانت انتقاماً من الله لكرامته من هذا المخلوق الذي أهانه! ولكن حاشا.

نحن نصلي في القداس: «**أنا اختطفت لي قضية الموت...**» ولكن أنت «حوَّلت لي العقوبة خلاصاً». فكما يكتب الإنسان عن الله – بوحي منه قطعاً – «ندم الرب على الشر» (يونان ٣: ١٠)، أو «حزن في قلبه» (تك ٦: ٦) لأنه صنع الإنسان؛ كتب أيضاً عاكساً معاناته على أنها انتقامٌ من الله!! **ولكن الله لا يندم ولا يصنع شراً ولا ينتقم من الإنسان!** فمن هو الإنسان لكي ينتقم منه الله؟! وهل ينتقم الأب من إبنه؟! إن الله لا يجرَّب بسبب شر الإنسان وهو لا يجرب أحداً (يعقوب ١: ١٣) **أي أن شر الإنسان لا يثيره للنقمة**. وقد قال أيضاً لأيوب عن نفسه: «إن أخطأت فماذا فعلت به، وإن كثرت معاصيك فماذا عملت له، إن كنت باراً فماذا أعطيته أو ماذا يأخذ من يدك، لرجل مثلك شرُّك ولابن آدم برُّك» (أيوب ٣٥: ٦ – ٨).

إن نتيجة الخطية – أي العودة إلى العدم إلى التراب بالموت – كانت نتيجة تلقائية بحسب الناموس الكوني الذي وضعه الله أن «أجرة الخطية موت». ولكن ليس الله هو العشماوي منفذ الحكم، بل الإنسان هو عشماوي نفسه وهو يقتل نفسه بخطيئته: «لا يقل أحد إذا جُرب إني أجرب من الله (أي أعاقب منه)، لأن الله غير مجرَّبٍ بالشرور وهو لا يجرب أحداً. ولكن كل واحد يجرب إذا انجذب وإنخدع من شهوته. ثم الشهوة إذا حبلت تلد خطية، والخطية إذا كملت تنتج موتاً. لا تضلوا يا أخوتي الأحباء. كل عطية صالحة وموهبة تامة هي من فوق نازلة من عند أبي الأنوار الذي ليس عنده تغيير ولا ظل دوران» (يع ١: ١٣ – ١٧). هذا يعني أن الله – الذي هو حب وعطاء كله – لا ينتج شراً ولا موتاً. بل الشر والموت ليس نتاج عمل يديه اللتين تخلقان فقط ما هو جيد. أما الشر فهو العدم وعدم الكمال والاتجاه نحو الظلمة خروجاً من دائرة النور. هكذا علم

أثناسيوس والآباء أن الشر ليس له جوهر. كما أن الظلمة والقبح هما إنعدام النور والجمال هكذا الشر هو انعدام الوجود والهروب من النور إلى الظلمة الخارجية. إنه حركة سلبية، ولذلك هو النقيض للخلق والحياة.. وهذا هو هدف الشيطان: إن لم ينجح في تدمير خليقة الله فهو يسعى جاهداً لتشويهها بالكذب ليحولها بعيداً عن مسارها نحو الوحدة مع الله والتأله. هذه هي مشكلة الشر. والشر لا يخلق شيئاً لأن الله هو الخالق الوحيد. لذلك فالمناداة بشرِّ المادة، كما علم الغنوسيون والمانويون، هو شَرَك بالله لأنهم يجعلون الشر ذا جوهر وذا فعل خلاق في حين أنه العدم نفسه.

إذا رفض الإنسان التأله بالنعمة، ورفض وبدد نعمة الحياة التي كانت له بصورة **كامنة** (مثل نعمة المعمودية الآن)، وكانت تقتضي أن يتعاون مع الله ليجمع الخليقة إلى حضن الآب، سقط الإنسان ولا يزال متخبطاً، إلى أن جاء إبن الله ليعيد لنا النعمة ذاتها بل وبلا رجعة ولا ندامة هذه المرة. لذلك فالحديث عن وراثة الخطية لا يُفهم كما علّم أغسطينوس، بأننا نرث ذنب آدم. فالله رفض هذا المبدأ: «لا يقولون بعد الآباء أكلوا الحصرم وأسنان الأبناء ضرست، بل كل واحد يموت بذنبه، كل إنسان يأكل الحصرم تضرس أسنانه» (إرميا ٣١: ٢٩ – ٣٠). ليس ذنبه، لأن الخطية مثل نعمة المعمودية – مع الفارق – لا تورث. ما ورثناه عن آدم هو الطبيعة البشرية بدون نعمة الله، التي يمكن أن تحفظها من الفساد. هذه هي طبيعة التراب التي عاد إليها الإنسان إذ رفض نعمة التأله كإبن لله في الطاعة. لذلك فالإنسان بدون نعمة الروح القدس يسمى Sarks = Flesh، لأنه مجرد لحم فقط كما تعني الكلمة حرفياً، ومآله الفساد والحرمان الأبدي من الله، أي الموت الروحي في الظلمة الخارجية. والإنسان بنعمة الله يسمى Pnevma = Spirit، أي «روح». **وهذا يشمل جسمه المادي أيضاً**. ولذلك نسمي الصلاة بالسجود والأصوام، وأي مجهود في سبيل الكرازة «عمل روحي» وليس «أعمال جسدية» مع أنها معمولة بالجسم المادي مع روح الإنسان. وهذا الفهم أيضاً يسهِّل لنا قبول ظهور الإنسان في الطبيعة بالتطور من الناحية الجسمية. لأن

«التراب» الذي صُنع منه آدم يمكن جداً فهمه على أنه المخلوق الحيواني الذي لم تكن فيه نعمة الوعي والروح، و «نفخها» الله فيه ليدرك ويدخل في حوار مع الخالق الذي خلق الإنسان على مثاله كشبهه. هذا الفهم أيضاً يُمَكِنَّا من إدراك أن **الطبيعة «الحسنة» بحسب (تك ١)، لم تكن طبيعة معجزية لا يموت فيها الحيوان والإنسان.** بل كانت هكذا: يموت فيها الحيوان ويمكن للإنسان «عدم الفساد» لو احتفظ بالنعمة.

إذا رفضنا هذا التفسير – وهو يتفق جداً مع تعليم أثناسيوس والآباء – وأردنا التعليم بأن قبل خطيئة الإنسان لم يكن هناك من موت جسمي نهائياً فسوف ندخل في متاهات لاهوتية لا حصر لها. فهناك مثلاً قانون في الطبيعة إسمه Second Law of Thermodynamics يقول بأن كل شيء قابل للإنحلال. والمعروف أن المادة إذا تحولت لطاقة تتبدد مع الوقت وهي تتحول من طاقة إلى أخرى. فهل خلق الله هذا القانون بعد السقوط؟! هل كانت الحيوانات كلها نباتية؟! نحن لا نعرف أسوداً بدون أنياب ومخالب في حفريات الأرض. وإذا لم يكن هناك مرض أو موت، فهل خلق الله الميكروبات بعد السقوط وهل كان الإنسان والحيوان بدون أجهزة مناعة ضد المرض؟! ولماذا كان على آدم أن يخشى الموت إذا لم يكن يحدث أمامه كل يوم للحيوان؟! انعدام الخبرة يلغي قيمة التحذير «موتاً تموت»! وهل لم تكن هناك براكين ولا زلازل؟! هل كانت الطبيعة يوماً ما هادئة بلا زوابع وأعاصير؟ أم هل كان الحيوان والإنسان منيعاً ضد الموت من الكوارث الطبيعية؟! إن كانت الحية شخصية حرفية لا رمزاً، فهذا يقتضي أن قبل السقوط كانت هناك حية واحدة، حكيمة تتكلم ولها أطراف، وكانت في صداقة مع الإنسان ثم تحولت إلى ألد أعدائه من الحيوانات، ولا تأكل إلا التراب!! هذا كله غير مقبول بكافة المقاييس.

إذا أخذنا (تك ١ – ٣) حرفياً، فكيف تفسر أن السيد المسيح هو شجرة الحياة كما علم بعض الآباء؟ وكيف تكون الشجرة نفسها في وسط أورشليم

السمائية (رؤ ٢: ٧) وذكرت كرمز في أمثال ٣: ١٨ و ١١: ٣٠ و ١٣: ١٢ و ١٥: ٤؟ وإذا كنا نقبل أن شجرة الحياة رمز والأيام الستة رمز، وأكل الثمرة رمز لتأله الإنسان بعيداً عن الله، كما علم جيل الآباء، وأن نسل المرأة الذي يسحق رأس الحية هو السيد المسيح، وأن التراب ممكن كرمز «للإنسان الأول» قبل نفخ نسمة الحياة – أي النعمة – فيه؛ فكيف ولماذا نصرُّ أن أجزاء هذه القصة حرفية مع أن سياق الحديث كله شعري ورمزي؟!!

إن الرمزية لا تعني الكذب ولا تقلل من شأن الحقيقة، فالسيد المسيح نفسه استعملها في أوصاف الملكوت، بل وشخصه هو نفسه!!

فالملكوت ليس «حبة خردل» ولا «شبكة» ولا «عرس لرجل غني» ولا «شجرة» تتآوى فيها الطيور، بل هو وجود روحي في حضرة الله. مع ذلك إستعار الرب هذه الأمثلة ليحدث بها ذهن الإنسان دخولاً إلى قلبه البسيط. وأيضاً قال عن نفسه أنه «حجر الزاوية» و «باب الخراف» بل و «الحمل المذبوح قبل إنشاء العالم»، و..... الخ.

(٣) الفداء والخلاص Redemption & Salvation:

بعد أن قتل الإنسان نفسه بفشله أن يحيا في الشركة مع الله بالنعمة التي كانت له، أراد الله أن يجددنا ويرفعنا إلى رتبتنا الأولى – كما نصلي في القداس. أراد أن يحول لنا العقوبة خلاصاً. كذلك جاء ليفتدينا، أي يعيدنا إلى الحياة (أي معرفة الآب والابن بالروح القدس – يو ١٧) ويعيد الحياة إلينا مرة ثانية.

وبعبارات أثناسيوس الرسولي، يعيد لنا «النعمة» التي بها نُعطَى سلطاناً أن نكون أبناء الله (يو ١: ١٢)، بدلاً من العودة إلى التراب و «الفساد». الخطوة الأولى، إذا، هي إخراج السجين من سجن الموت. أما كمال الخلاص فهو في العودة إلى الشركة مع الآب كما كتب بطرس الرسول في جسارة مذهلة: «أن نصبح شركاء الطبيعة الإلهية». ولكي يخرجنا البطل من السجن كان عليه **أن يدخله ليحل قيودنا ويدمر هذا السجن، لا لكي يبقى فيه ليقتص الآب منه بدلاً منا كما قد يُفهم**، إذا علمنا

أن الكفارة هي في أن يقتص من واحد عوض الآخر.

وقد ترجمت كلمة «كفارة» في نسخة (The Good New Bible) الكاثوليكية: "The means by which sins are forgiven" وذلك لشرح وتوضيح معنى كلمة «كفَّارة» والتي كانت تترجم: "Atonement or Propitiation"

إن **الكفارة التي قدمها المسيح هي في رفع الموت** (عقوبة الخطية) عنا إذ **أعطانا حياته** أي «دمه». **لأن كلمة «دم» لا تعني الموت أو «أخذ الحياة»** بل تعني «**الحياة المعطاه**» (**كما في التناول**) **لنا لنحيا بها**. إن موت الذبيحة هو الوجه السلبي من الكفارة في العهد القديم، ذلك الذي لم يرضَ به الآب فهو: «بمحرقات وذبائح للخطية لم تُسّر.. إنك ذبيحة وقرباناً ومحرقات وذبائح للخطية لم تُرِدْ ولا سُررتَ بها... هأنذا أجيء لأفعل مشيئتك يا الله... بهذه المشيئة نحن مقدسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحدة» (عب ١٠: ٥ – ٩). والله لم يُسرّ بهذا الوجه السلبي، لأنه ليس بساعٍ وراء العقوبة بأي حال من الأحوال بل هو يُسرُّ بأن الخاطئ يرجع ويحيا بالحياةً المعطاه له. ولكن لأن الذبيحة كانت حيوانية كان موتها دائماً.

فأي مسرة أسألكم في رؤية الذبح وإسالة الدماء التي تصعب رؤيتها إلا من إله سادٍ قاسٍ لا يسكت إلا إذا انتقم من عدوه؟! هل هذا هو الآب السماوي؟! حاشا إن القراءة السريعة لذبائح اللاويين قد يفهم منها هذا الفهم الخاطئ. ولكن الصورة تتجلى في ذبيحة السيد المسيح. إن الآب قد «سُرَّ أن يسحقه بالحزن» (إش ٥٣: ١٠) ليس لأنه قد نال مراده وإقتص لعدالته، كما يوحى بذلك ميمر العبد المملوك، بل مسرته كانت لرؤيته لخلاصنا لا لآلام إبنه الحبيب الذي به يُسَرّ. لقد سُرَّ الآب لأنه فرح مع فرح الإبن الذي يشرحه بولس الرسول قائلاً: «من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب مستهيناً بالخزي» (عب ١٠: ٢). هذه هي مشيئة الآب: حياتنا الأفضل (يو ١٠: ١٠)، وليس القصاص.

إن كفَّارة الرب عنا لا يجب فهمها من جانب الموت السلبي ولا القصاص

القانوني، فهذا ليس الدافع وراء ذبيحة الرب على الصليب، بل الدافع هو أن يُدْخِل الحياة لجسد بشريتنا (Life Transfusion) ليطهره من الموت ويرفعه من العدم والفساد – أي الموت – إلى الحياة والتأله مرة ثانية. إنه عمل الطبيب المسعف، عمل من ينجي الغريق، وليس عمل البديل القانوني للقصاص. هذا تشويه مريع لصورة الله وعدالته. لقد علق قداسة البابا شنوده على ميمر العبد المملوك في كتاب سنوات مع أسئلة الناس (رقم ٤) وأبدى عدم إرتياحه للتضاد الظاهر بين عدل الله ورحمته. فالله ليس فيه تضاد ولا كانت عنده مشكلة بسبب خطية الإنسان. إنما المشكلة في الإنسان، وليست بين الرحمة والعدل الإلهي، ولا هي بين الآب والابن إطلاقاً؛ هذا فهم بشري قانوني قائم على فهم الدين والدينونة بصورة إنسانية ساقطة.

إن موت الرب «عنَّا» أو «لأجلِنا»، كان ضرورة حتمية ليدخل إلينا داخل سجن الموت. حباً فينا ذاق الآلام، وبذله الآب وأخلى الإبن ذاته. لقد شاركنا موتنا، أي عقوبة خطيتنا، حتى يستطيع أن يوصل لنا حياته ويحقنها فينا. بهذا فقط استطاع أن يسترضي الآب.

لقد تجسد الرب ليس بسبب الخطية فقط، بل بسبب ترتيبه (تدبيره) الأزلي أنه سوف يقدم نفسه للاتحاد الدائم بالخليقة من خلال تأليه الإنسان ممثِّل هذه الخليقة. وحتى لو لم يخطئ الإنسان، كان اتحاد الله بالخليقة (وهو ما تم بتجسد الكلمة)، سيتم بصورة أو بأخرى لا نعلمها (پول اڤدوكيموف: المرأة وخلاص العالم ص ٢٣). وذلك كما قلنا لأن الله لا تلزمه الضرورة ولا يهزه شر الإنسان ولا يجربه (يع ١: ١٣). لقد دخل اللاهوت الأزلي إلى البشرية المخلوقة ليجددها (في كل مراحلها)، ويغذيها بحياته وينعشها بقوته وبهاء مجده، **لا لكي ينحدر هو إلى موتها وترابيتها**. كان ينبغي أن يموت الرب مؤقتاً جداً، لكي يدوس الموت بالموت ويدخل إلى هذا السجن من بابه **ليدمره للأبد لا لكي يُسجَنَ فيه بدلاً منا!**

لذلك فنحن نعيّد لخلاصنا في **كل مرحلة من مراحل حياة الرب**، أي البشرية الجديدة (آدم الثاني) بداية من البشارة وإلى الصعود وحلول الروح القدس. ولا

نعيد للصليب وحده. هذا هو الفهم الأرثوذكسي الذي يهتم بتجديد البشرية والكون كله في كل قداس إلهي ترفع فيه ثمار الكون من الخبز والخمر حتى يستعلن لنا الابن المتجسد على كل مذبح بدون تكرار للذبيحة، حيث أنها فوق الزمن «الحمل المذبوح قبل إنشاء العالم»!! وللأبد في وسط عرش الله!!

إن عدالة الله كانت تستحق وتستدعي أن يُخلِّص ويُنَجِّي مَنْ خَلَقهم من عبودية العدو، فهذه شيمة الملك القوي؛ **لا أن يَقْتصَّ لينتقم من الإنسان على تعدي الوصية!** إن هذا التصور هو من ضعف الإنسان الذي قال عنه ڤولتير: «لقد خلق الله الإنسان على صورته أما الإنسان فردَّ له المثل»! أي تخيل الله على شاكلة الإنسان!

ويقول أثناسيوس الرسولي، أن الملك القوي لا يهادن عدوه بل يذهب ويهزمه ويحرر شعبه الذي كان قد أسره العدو. أليس هذا هو عدل الله الذي يخلِّص (مز ٣١: ١) و (مز ١٤٣: ١١) و (مز ٩٩: ٤) و (مز ٣١: ٥).

عندما كتب أوريجانس، أن الإبن قد قدم نفسه فدية للشيطان ليحلنا من الأسر، رد عليه القديس غريغوريوس اللاهوتي بالرفض! لأن الملك لا يهادن المجرم ويسلمه نفسه فدية. وقال غريغوريوس: «يجب أن نفحص الآن السؤال والعقيدة التي طالما نَعبُر عليها في صمت، ولكني أعتقد أنها تستحق الدراسة العميقة. لمن قُدم ذلك الدم الذي سفك لأجلنا؟ بل ولماذا سفك؟!... إن قلنا: للشيطان، فهذا أمر فظيع، هل يأخذ اللص فدية، ليست فقط من الله، بل إن الفدية هي الله ذاته! وهل يطلب هذا الثمن أجرة لإستبداده حتى يطلق سراحنا؟!

أما إذا كان الثمن قد دفع للآب، فأنا أسأل أولاً: كيف؟ لأن الآب لم يمسكنا كرهينة. لماذا إذاً سُرَّ الآب بدم إبنه الوحيد، وهو الذي لم يقبل إسحق حين قدمه إبراهيم ذبيحة محرقة كاملة، بل بدّل الذبيحة البشرية بكبش؟.

أليس الأمر واضحاً، **أن الآب قد قبل الذبيحة ليس لأنه طلبها، أو كان في إحتياج إليها، ولكن لأجل تدبيره: لأن الإنسان لابد أن يقدس بإنسانية الله،**

والله نفسه يجب أن يخلصنا بأن يغلب المستبد بقوته هو، وأن يردنا إليه بواسطة الإبن الذي يفعل هذا كله لمجد الله الذي أطاعه (الابن) في كل شيء... ما قد تبقى من الحديث سنعبره في صمت مقدس... لقد إحتجنا لإله متجسد، **إله يميت الموت حتى ما نحيا نحن...**»

(The Mystical Theology of the Eastern Church, p. 152)

إن الإنسان هو الذي فقد حياته وبدد نعمة الله، **فصار مديوناً لله في نفسه**. أي أن الدائن هو الله، والمدين هو الإنسان. ولكن **الله يريد دفع ما قد تبدد (حياة الإنسان) للإنسان نفسه**. لأن الله ليس في حاجة لحياة أخرى تُقدَّم له وهو الحياة ذاتها! لذلك فقد يصح مجازياً القول بأن **الدين الذي ردَّه الرب بذبيحته قد ردَّه فينا ولنا، وبهذا سُرَّ الآب وفرح**. وبهذا أصبح عدله راضياً إذ رآنا – في المسيح حامل بشريتنا – قد غلبنا الموت الذي تملك علينا.

إن الله حب كله، وهو أمين وعادل لأنه لا يتغير. إن الرب في معاملته للإنسان هو هو أمس واليوم وغداً. وهو نفسه وبوجه واحد سيعلن نفسه في الزمن في المجيء الثاني. إلا أن الإنسان سيراه بصورتين على النقيض من بعضهما البعض: فمن أحبوا النور يُقبلون إلى النور والقداسة والجمال وأما من أبغضوا النور فسيقولون للصخور والجبال أسقطي علينا وغطينا من وجه الجالس على العرش. (يو ٣: ١٩ – ٢١ و رؤ ٦: ١٦). وبمعنى آخر عقوبة الخطية ودينونة الله لها، ستكون من خلال إعلان نوره وقداسته ومحبته!! فمن يتناغم معه سينجذب نحوه، أما من سيخجل من هذا النور والحب المخجل والقداسة التي تفضح الشر سيجري بعيداً. هكذا يجب أن يُفهَم عدل الله ورحمته معاً في آن واحد، وبدون أن يتغير هو من محب إلى غضوب وقاسٍ. لكن انعكاس حبه هو الذي يتغير في عين الإنسان، بحسب المحبة الكامنة والقداسة التي تربت في حياة هذا الإنسان، أو قبح شره وتوحشه (Monstrosity).

إن الله هو واضع الناموس الأزلي، أن «أجرة الخطية موت». وهو أيضاً الديان

العادل بمقتضى هذا القانون. ولكن **معاملات الله لا يصح أبداً فهمها على شبه معاملات البشر.**

فالقانون والعدل الإنساني يبدأ بالمحاكمة لإظهار جرم المذنب، لأننا أساساً نجهل ما قد حدث! وهدف العقوبة بعد الحكم هو النقمة والقصاص من المذنب لري عطش المجني عليه للإنتقام ورد الكرامة التي أهدرت – وليس هو حقيقة للإصلاح كما يدعي!! أيضاً لا القاضي ولا محامي الدفاع مهتمان بإنسانية المجرم بل كل ما يهدفون إليه هو القصاص العادل أو الربح!

أما الله فليس كذلك إطلاقاً. وإن كنا كثيراً ما نصفه بهذه الصورة، لأنها الصورة الوحيدة التي نعرفها للعدالة.. بل وهكذا قد فهم كتّاب العهد القديم العدالة، كما فهمها التلاميذ عندما طلبوا من الله أن ينزل ناراً لتحرق من لم يقبلوه!! إن الله حقاً «نار آكلة» كما يراه الأشرار، ولكنه حضن أبوي دافئ كما يختبره أبناؤه، وهو في ذلك لا يغير وجهه، بل الاختلاف يتوقف على الإنسان المواجه لله: إن كان يحيا ببر الروح القدس أم بوسخ الشر القبيح الذي يفتضح بالنور الإلهي. لذلك يصح القول بأن **الله يدين الشر بكونه «المرجع» للقداسة،** (Reference) الذي يقاس عليه كل من يقف أمامه، وليس بالدخول في المحاكمة حسب النظام البشري الذي يترجى الإنتقام من المجرم لرد الكرامة المفقودة (Prosecution).

إن شر الإنسان لا يمكن أن يجرح كرامة الله، ولا يهينه كما قال عن نفسه (أيوب ٣٥: ٦ – ٨) فكيف للإنسان أن يمس كرامة الله، حتى لو فعل الإنسان كل ما في وسعه من شر!!؟ ولو حتى أردنا مطابقة عدل الله ودينونته للإنسان بعدل البشر الناقص والمتعطش للدماء، فلن نستطيع! لأن الله الذي هو السلطة التشريعية والقضائية، هو نفسه أيضاً المحامي والمدافع عن الخاطئ (الپاراكليت)! والإنسان الخاطئ هو المجرم والمجني عليه في آن واحد، حتى وإن كان الشيطان هو القوة المحركة للشر. لذلك عندما كتب أثناسيوس الرسولي عن الفداء والكفارة لم يعلِّم (كميمر العبد المملوك): أن الخطية كانت إهانة لله. بل علَّم أنها إساءة للإنسان، الذي فقد وبدد نعمة الحياة بنفسه بغواية الشرير. وهذا لم ينشئ مشكلة في

شخص الله، بل أنشأ مشكلة الموت في شخص الإنسان وحده. لذلك يُفهَم الدافع وراء تدبير الفداء على أنه رغبة الله أن: «يردنا إلى رتبتنا الأولى» و «يحول لنا العقوبة خلاصاً» بأن يصنع لنا وفينا عملية «**نقل الحياة**»، "Life transfusion"، كما نعطي نقل الدم لمن قد نزف ما فيه من حياة. وأما تنفيذ عدالة الله في حكم «موتاً تموت»، أي أن «أجرة الخطية موت»، فهذا قد تم ويتم لحظة السقوط في الخطية على أية حال، ولا يحتاج أبداً من الله لتدخل آخر. فالخاطئ يقوم بهذا العقاب العادل بنفسه عندما يخطئ بدون تدخل آخر خارجاً عنه! لذلك فقصة الخطية الأصلية توضح أن آدم قد تعرى من النعمة بمجرد الأكل، وهذا هو الموت الروحي. إن لقاء الله معه عندما ناداه «آدم أين أنت» (تك ٣: ٩)، لم يكن طلباً في محاكمة آدم واثبات جريمته استعداداً لعقابه، بل كان نداءً لمن مات وتعرى وتغرب، لعله يرجع ويحيا لأن في هذا فرح الله والإنسان.

أما إعلان نتيجة الخطية من حيث لعنة الأرض وخروج الإنسان للألم خارج الفردوس، فقد عرضه لنا الكاتب عاكساً اختبار التغرب على الله، كما لو كان الله هو المتسبب في العقوبة. لأن هذا حال الإنسان الساقط، أن **يعكس ويسقط بؤسه على الله**. بل وعلى كل من حوله، محاولاً الهروب من مرارة الحقيقة: أن الإنسان هو حقيقة عشماوي نفسه! لذلك يكتب الإنسان عن رحمة الله وإزالة معاناته في العهد القديم أن «الله قد ندم على الشر» الذي كان مزمعاً أن يعمله... وهل يعقل هذا؟! يجب فهم موقف الإنسان الظالم هذا، تجاه الله، جيداً حتى لا نسئ فهم الله نفسه وموقفه منا.

إن الله بريء من هذا الظلم الذي ينسب العقوبة إليه، كمريد ومنفذ عقوبة الخاطئ، إنما هو أسلوبنا البشري القاصر في التعبير الذي قد يظهره هكذا. لذلك يعاتب الله شعب إسرائيل في إشعياء (٥٠: ١) موضحاً لهم أنه لم يُطلِّقهم ويطردهم عنه، بل هم الذين تركوه بسبب خطاياهم:

«هكذا قال الرب، أين كتاب طلاق أمكم التي طلقتها أو مَن مِن غرمائي الذي بعته إياكم، هوذا من أجل آثامكم قد بُعتْم ومن أجل ذنوبكم طُلِّقت أمكم»

For your iniquities you have sold yourselves - New King James" Version". وأيضاً في إرميا (٢: ١٣): «لأن شعبي عمل شرين: تركوني أنا ينبوع المياه الحية، لينقروا لأنفسهم آباراً، آباراً مشققة لا تضبط ماء». ولذلك هلكوا عطشاً بخطيئتهم!. أيضاً الإبن الضال كان يتألم متشرداً في كورة الخنازير عقاباً على خطيته، و لم يكن أبوه هو سبب عقوبته ولا راغباً فيها. كذلك الغصن الذي لا يثبت في الكرمة ويقطع نفسه، يميت نفسه. ولكنه قد يصف هذا بأنه «غضب» الكرمة، ولعنتها ودينونتها – ظلماً وتجنِّياً منه عليها! إنه مثل السمكة التي إختارت بحريتها الخروج من الماء ومثل شارب السم: يهلك «ويموت في خطيئته» بنفسه، كما قال الرب (يو ٨: ٢٤). هكذا نفهم تعبير «يمكث عليه غضب الله»: على أنه الإحساس الذي تولده الخطية في داخل الإنسان الخاطئ، وليس في داخل الله ذاته؛ الذي ليس فيه تغيير ولا ظل دوران بسبب الخطية.

إن قارئ أقوال آباء الأرثوذكسية في القرون الأولى (الآباء الشرقيين Greek Fathers) لا يشعر بأي تركيز على مشكلة العقوبة والقصاص في شرح الفداء والخلاص. بل التركيز كله على رغبة الله في تأليه الإنسان والاتحاد معه ورده إلى رتبته الأولى، والحياة التي بددها الإنسان. أما كثرة التركيز على الموت والعقوبة والقصاص والدينونة الرهيبة مع شرحها بحسب الخبرة البشرية المشوهة – كما ذكرت – فيبدو أنه وليد العصور الوسطى في الكنيسة الغربية، عندما شرح اللاهوتيون قصة الخلاص على أساس ومحور «**القانون والعقوبة**»، وليس على أساس ومحور «**النعمة والحب**»، كما في القرون الأولى. وهذا لا يحتاج لدراسة واسعة للتأكد منه. تكفي قراءة صلوات القداسات التي في الخولاجي المقدس خاصة القداس الغريغوري الذي يترنم بالحب ولا يذكر للقصاص والنقمة أي ذكر!! ولعل هذا ما دفع الكنيسة الغربية لإستعمال محاكم التفتيش وصكوك الغفران وحتى عقيدة المطهر! إذ أن الله في نظرهم لن يستريح له بال إلا إذا أتم عقوبة الخاطئ وأذله حتى آخر نسمة بل وبعدها أيضاً في المطهر (Purgatory)! وقد كتب كوستي بندلي في كتابه الشهير «إله الإلحاد المعاصر» (منشورات النور

– لبنان ص ٩٦):

«إن فكرة تكفير الخطايا حجبت عن الكثيرين الغلبة التي جاء المسيح ليمنحها لنا، والتأليه الذي نادى به الآباء منذ كتب إيريناوس عبارته: لقد صار الإله إنساناً لكي يصير الإنسان إلهاً. هذا الإنحراف الذي كثيراً ما شوه صور المسيحيين لعلاقة الله بالإنسان قد حدا بهم – ولا يزال – إلى اتخاذ مواقف فكرية مؤسفة لا تليق بالله ولا بالإنسان. منها ما دعاه مونييه بالسادية اللاهوتية وقد وصفها بأنها إرادة إذلال الوضع البشري».

إن هذا الاتجاه الفكري خاصة في الغرب يشكل القاعدة الأساسية التي نما الإلحاد المعاصر عليها وترعرع، منادياً بحرية الإنسان وكرامته في مواجهة إله سادي صوَّره المسيحيون – ولو عن غير قصد – كما لو كان إما يريد القصاص لكرامته دائماً، كما علمت الكنيسة الغربية، أو إرغام الإنسان على حبه قسراً إن أراد الحياة! لذلك نادى نيتشه الفيلسوف الملحد بأن الله قد مات.. ليتحرر الإنسان: NIETZSCHE: «God is dead».

إلا أن الله الذي أعلن عن نفسه بالكمال في إبنه، الذي هو «أيقونة الآب ورسم جوهره»، فهو لم يأتي ليُهلك بل ليُخلِّص ما قد أهلكه الإنسان بنفسه وبشرِّه... الرب يسوع المسيح مخلصنا ليس فيه نقمة ولا رعب ولا قصاص بل هو نور وحب وجمال كله.. فإن تناغم رنين حبنا معه إنجذبنا إليه، وإن تقوقعنا وانعزلنا عن النور والحق والمحبة، فسنصرخ للجبال والصخور أن تغطينا من وجهه متى ظهر في مجيئه الثاني... أما هو، فهو أمين لحبه ورقته ولا يتوحش ولا يغضب كغضب البشر، كما يدّعي عليه الملحدون. بل إن توحُّش الخاطئ هو سبب رعبه وسبب شعوره بغضب الله، وقبح خطيئته وتغرُّبه عن الله إلى الأبد هو النار الأبدية التي يجري إليها من يخاف النور والقداسة، التي بها يعاين الأبرار الله إلهنا. إن الله لم يخلق الموت ولا جهنم، التي «أُعدت» لإبليس وملائكته! بل يبدو أن صمت الكتاب عن ماهية العذاب الأبدي – من جهة بدايته وسببه – هو

أنه في عمق معناه نتيجة للخروج من النور. وهو مثل الشر ليس له كيان ولا جوهر. فكما أن الظلمة ليست بموجودة، بل هي مجرد انعدام النور، وكما أن القبح ليس إلا انعدام الجمال، وكما أن الموت ليس إلا انعدام الحياة... كذلك **جهنم هي انعدام رؤية الله وبدون أي رجاء في العودة من الظلمة إلى النور.. للأبد**.. جهنم ليست أساساً، وجوداً آخراً، بل إنعدام الوجود والحياة في الوحدة مع الثالوث القدوس.

(٤) الكنيسة والأسرار المقدسة:

وإذ تبدأ قصة الخلاص بالخلق والتأكيد على أن خليقة الله كلها حسنة، وأن الإنسان بكل ما فيه حسن جداً من جهة طبيعته الأصلية، يكون الفصل الختامي فيها أيضاً هو تأكيد أن ما كان «**حسن وحسن جداً**» (تك ١: ١٩، ٣١)، أصبح بعد تجسد الرب الإبن الكلمة وحلوله فيه: «**مقدس ومقدس جداً!**» فالقصة كلها مبنية على محبة الله العجيبة للخليقة كلها التي كان لها تدبير التأله بالنعمة قبل إنشاء العالم. ثم إذ فشل الإنسان في أن يجمع الخليقة كلها في نفسه ويقدمها للآب (أي أصبح في حالة السقوط واللعنة بعد أن فقدت النعمة منه ومن الخليقة) كما قال مكسيموس المعترف، جاء الإبن واتحد بالخليقة: جاعلاً لاهوته واحداً مع ناسوته بغير إمتزاج ولا اختلاط ولا تغيير ولا إفتراق ولا حتى إلى لحظة أو طرفة عين... **زواج أبدي بلا ندامة بين الله والإنسان والكون كله** (ممثلاً في الجسد البشري الذي أخذه من والدة الإله). هكذا تؤكد الكنيسة وبكل قوتها، لأن في هذا الإدراك والإيمان خلاصنا كله. فكيف تتحقق السعادة الأبدية إن كنا لا نتحد نحن أيضاً بالله على نموذج وشبه إبنه المتجسد؟ إن كان هذا غير ممكن فنحن أشقى جميع الناس. لذلك تصدت الكنيسة للهرطقات لأنها كلها كانت في مضمونها تنص على إستحالة إتحاد الله بالخليقة إتحاداً حقيقياً، تحتفظ فيه كل من الطبيعتين بكامل صفاتها للأبد، كإتحاد الحديد المحمي بالنار التي تنيره بقوتها.

وإذ صنع الإبن المتجسد هذا الفداء وصالحنا مع الآب، ارتضى الآب السماوي أن يقبل باكورتنا في السماء في شخص الرب الذي **أصعدنا في جسده** وأجلسنا

معه في السماويات عن يمينه. وإذ قال إنه لا يتركنا يتامى، أرسل لنا روحه القدوس ليحل فينا، ويعطينا استحقاق أن نكون أبناء الله – وهذا أحد معاني التألُّه بالنعمة – ليكون لنا التمتع بعربون الملكوت بالفعل ويحقق فينا بالتبني ما قد تحقق في باكورة الخليقة الممجدة – أي الطبيعة البشرية التي أخذها الرب في نفسه كممثل لنا في حضن الآب السماوي.

لذلك بحلول الروح القدس تم تدبير الخلاص وأصبح ممكناً أن يروي عطش الخليقة كلها التي «تئن منتظرة الخلاص» من البُطل – أي الفساد – (Futility) الذي حل فيها حين فقدت منها النعمة وأصبحت بالتالي في حالة اللعنة مع الإنسان (رو ٨: ٢٠ – ٢٢).

وبهذا الحلول لم تعد الخليقة مجرد **إنسان ومادة**، بل **أصبحت كنيسة وأسراراً إلهية!!** أي أن الإنسان أصبح عائلة الله وبها أُخٌ بكرٌ بين أخوة كثيرين لأب واحد. وأصبحت مادة الكون من مجرد خليقة فانية إلى مجال لحلول الروح القدس يحول خبزها وخمرها إلى مجد الإبن المتجسد ذاته بصورة **جسده ودمه** الأقدسين في القداس الإلهي، حين تطلب منه الكنيسة **بسلطان كهنوت المسيح نفسه**، الذي أعطاه لها، لكي تربط وتوحد اللاهوت بالمادة البسيطة وبالإنسان وليد الروح القدس، لنوال النعمة التي أعادها الإبن بتجسده للخليقة التي حقنها بحياته (Life transfusion). وبهذا السلطان نفسه تحل الإنسان، إذا اتسخ كيانه بالخطية، من رباطات ظلم الشرير المهلك.

إن **الأسرار الكنسية** في جملتها وعمق معناها، تعيشها وتعلنها الكنيسة الأرثوذكسية على أنها **الكون كله ممَّجداً** بحلول الله فيه، وتحويله إلى شريك معنا في التجديد والتجلي. إذ أن الله من خلالها يطبع فينا صورة إبنه المتجسد.

هذا يبدأ بالمعمودية بالماء التي بها نستلم الروح القدس، لنموت في موت المسيح ونولد الميلاد الجديد، لنصبح آدماً جديداً فيه «نسمة الحياة» التي رفضها الإنسان قديماً وتغرب عن الله. فالمعمودية ليست لمحو ذنب آدم – إذ أننا لا نرثه – بل لتجديد الطبيعة المائتة، حيث قد ورثنا طبيعة الإنسان الخالية من النعمة، كما رأينا في تعليم أثناسيوس الرسولي (تجسد الكلمة). فبحصولنا على الحياة الجديدة،

في هذا الميلاد من الماء والروح، يبيد فينا سلطان الموت الذي ورثناه في الطبيعة المحرومة من النعمة – التي رفضها الإنسان بكامل إرادته. لذلك يجب أن يعلن المتقدم للمعمودية (أو إشبينه) رفض الموت وقبول الحياة بالنعمة، التي تعطيها، بكامل حريته أيضاً. وهذه النعمة ليست قسراً، بل هي قوة كامنة تعمل فيمن يعمل معها وبها بحرية، وتنطفئ إذا لم يشأ الإنسان الحياة بها. هذه النعمة هي عمل الروح القدس فينا، والذي تثبته وتؤكده الكنيسة **بمسحة زيت الميرون** في سر التثبيت. وعمل الروح هذا لا يفارق الإنسان إلى الأبد ولكن قد يرفضه الإنسان بالرغم من تبكيت الروح المستمر للأبد! لذلك إن أخطأ الإنسان – أي انتكس بمرض الخطية بإرادته – يدعوه الروح الحال فيه لسر التوبة إن أراد. فإن تاب يقوى فيه روح التبني. وإن لم يَتُبْ وصمم بكامل إرادته أن يموت متغرباً عن الله، فلن يستطيع التوبة بعد، إذ مضى زمان التوبة، ولا يستطيع الروح القدس إجبار إنسان على التوبة قسراً دون حريته.

هذه هي خطيئة التجديف على الروح القدس، أي التصميم على عدم التوبة والعودة من التغرب من الموت للحياة حتى يلفظ الإنسان أنفاسه، وهو مُصرٌّ على رفض دعوة الروح له بالرجوع وتغيير الذهن، أي التوبة (باليونانية: metanoia أي فكر جديد). لذلك وبسبب احترام الله هذا لحرية الإنسان لا يمكنه غفران هذه الخطية.. فالله ليس السبب، بل هي حرية الإنسان التي بها يختار الموت أو الحياة إن أراد. هكذا أيضاً يظهر بر الله واحترامه للإنسان ولو للأبد.

فكما رأينا رتب الله الأسرار المقدسة ليؤكد لنا أن الكون المادي هو أداة توصيل نعمة خلاصنا أيضاً، وليس هو خليقة نجسة بعد. ليس هذا في هذه الحياة فقط، بل وسيتجلى الكون في القيامة أيضاً حيث يصبح السماء الجديدة والأرض الجديدة التي رآها يوحنا (رؤ ٢١: ١). ويُعلِّم بذلك المتنيح الأنبا بيمين قائلاً (في كتابه الرؤية الأرثوذكسية نحو العالم ص ١٦):

«وكما يشير تجلي المسيح إلى قيامة الأجساد في اليوم الأخير، فإنه يشير أيضاً إلى التحول الذي سيتناول الكون كله، ذلك لأنه على جبل طابور لم يتجلَّ وجه

المسيح فقط بل سطعت ثيابه أيضاً، إشارة **أن المادة سوف تتجلى أيضاً مع تجلي الإنسان**... وسوف تنال الخليقة المادية أيضاً بعضاً مما ناله كاهنها وسيدها... فكما كان التشتت والاضطراب من خلاله، سيكون التجلي والتجدد معه أيضاً».

وهو بذلك أيضاً يردد كلمات معلمنا بولس الرسول: «إن انتظار الخليقة يتوقع استعلان أبناء الله، إذ أُخضعت الخليقة للبُطل، ليس طوعاً بل من أجل الذي أخضعها على الرجاء. لأن الخليقة نفسها أيضاً ستُعتق من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله، فإننا نعلم أن كل الخليقة تئن وتتمخض معاً إلى الآن. وليس هكذا فقط، بل نحن الذين لنا باكورة الروح نحن أنفسنا أيضاً نئن في أنفسنا متوقعين التبني فداء أجسادنا» (رو ٨: ١٩ – ٢٣). وإذا تساءلت: كيف هذا، وبطرس الرسول قد قال إن في يوم الرب ستزول السموات وستذوب العناصر محترقة (٢بط ٣: ١٠)؟ أقول لك تذكَّر أيضاً أننا في رقادنا بالجسد ننحل ونذوب، ولكن هذه الأجساد عينها هي التي ستقوم في المجد. فأجسادنا وكذلك مادة الكون بعد أن حل فيها روح الله وتجسد فيها الإبن الكلمة، أُلغى منها – بصورة كامنة منتظرة استعلان المجد – كل سلطان لهذا البُطل (Futility أي فراغ المعنى والقيمة). فهي إن انحلت بالذوبان، إلا أنها فقط ترقد نائمة كما تنحل البذرة عند زراعتها مؤقتاً، حتى تستطيع النمو نباتاً جديداً مجيداً (١كو ١٥: ٤٢). هكذا الحال بالنسبة للسماء الجديدة والأرض الجديدة التي صانعها وبارئها الله.

لهذا السبب لا تنظر الكنيسة للماديات على أنها فانيات وترابيات باطلة المعنى، كما نظر إليها الإنسان في العهد القديم (باطل الأباطيل). بل الكنيسة تقدس بالشكر والصلاة كل شيء وتصلي من أجل المياه والأنهار والأمطار بل وتتغنى طالبة «مزاجاً حسناً للهواء!!» وتصلي من أجل كل شجرة مثمرة ونبات الحقل والبهائم وكل خليقة الله المقدسة. وهي إن كانت تهتم بخلاص الإنسان فهي تصلي من أجل بركة غلاتنا ومخازننا ومتاجرنا؛ ومن أجل سياسة العالم، وحكمة الحكام، واقتصاد المجتمع، وشفاء المرض (الغلاء والتضخم الاقتصادي والأوبئة) والنجاة من الحروب (سيف الأعداء). باختصار تضرب الكنيسة كل فكر غنوسي مانوي يحاول أن يدخل

إليها، ليوهم أبناءها بنسك أفلاطوني، ويبث فيهم احتقار الحياة وأنشطتها لصالح النسك غير المسيحي، الذي طالما حارب – ولا يزال – كنيسة الله ليشق خليقة الله الحسنة ويوهمنا بأنها لازالت تحت اللعنة. لذلك حرمت الكنيسة في القرن الرابع في مجمع غنغرا كل من حرم الزواج باسم تفضيل البتولية ونجاسة العمل الجنسي، الذي خلقه الله نفسه. وحرمت كل مَنْ نجّس أي طعام، لأنه عطية وخليقة الله الطاهرة، مؤكدة أن «كل شيء طاهر للطاهرين» (تيطس ١: ١٥).

إن المادة والجسد – بكل أعضائه ووظائفها – والإنسان بكل أنشطته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفنية والرياضية... مجالات مقدسة يعمل فيها الله إن كنا ندعوه. وليس من فانيات في هذه الحياة إلا الشر والعمل الأناني فقط. بل كل عمل وفكر يكون مقتضاه المنفعة والخير للإنسان أو الحيوان أو النبات أو حتى البيئة غير الحية، هو عمل مقدس مُسرٌّ لله، ويخدم جسد المسيح بمعناه الواسع، حيث يحمل في ناسوته الكون كله. فالله يُسَرُّ بالطبيب في حجرة العمليات تماماً كما يسر بالكاهن وهو يرفع ذبيحة الافخارستيا على المذبح، إن كان الدافع حب الله والإنسان والكون والخير. فالقداسة ليست في نوع العمل فقط، بل في تحقيق الوصيتين العُظمَيين – محبة الله والإنسان من كل القلب. وخدمة الخليقة باسم المحبة هي الرحمة التي قد تكون مُسِرَّة لله أكثر من الذبيحة. ولكن بسبب أن تراث الكنيسة جُلّه قد كتبه نساك زاهدون – وقد تأثر بعضهم بالنسك الغير مسيحي الذي يحتقر العالم الخيِّر – فقد يبدو لنا من بعض الكتابات أن النشاط الوحيد المُسرَّ لله هو العبادة! أو ليس العمل وتعب المحبة هو العبادة في روعتها؟! فلن يدخل ملكوت السموات كل من قال يا رب يا رب بل من أشبع الجائع (كموظف الحكومة الذي يحرك أوراق هذا الجائع) ومن زار المريض (أي قام بعمل في مستشفى لعلاج المرضى) واهتم بالمسجون (أي دافع عنه في ساحات القضاء وأظهر حقوقه وأنقذه من الظلم) ومن آوى الغريب والضائع (أي ساهم في تأمين معاشه ومسكنه)... الخ. إننا كثيراً ما نتخيل أن أعمال الخير لابد وأن تعطى في يد المعدمين وصندوق الكنيسة والخدمة القروية، وننسى أن وظائفنا هي حقيقة مجالات البركة لنا ولأخوتنا البشر. إننا بذلك

قد نكرس الفقر والاحتياج ولو بصورة غير مباشرة، ونقلل من شأن أنشطة الحياة الحديثة التي هي مجالات الخدمة بمعناها الواسع.

إن ظن المسيحي أن الخدمة هي ما يجري داخل حوائط الكنيسة أو الوعظ خارجها فقط، فقد استقال من دعوته كمسيحي في الحياة، وهو لا يكرز بسنة الرب المقبولة وحلِّ قيود الظلم ورفع القيود عن الفكر وحرية الإنسان. هذا النموذج المسيحي مع الأسف موجود بوفرة، ويشكل أحد أسباب انتشار الإلحاد في العالم. لقد صنعت الكنيسة في روسيا من كارل ماركس نبياً من أنبياء الإلحاد، لأنها شجعت ظلم القياصرة باسم الصبر على الشقاء وترجي ملكوت السموات! ودفع المسيحيون الذي صوروا الله على شاكلتهم – همُّه تقييد فكر وحرية الإنسان باسم النظام والطاعة الذليلة – دفعوا عباقرة أمثال برتراند راسل وچان پول سارتر لإنكار الله باسم حرية الإنسان وانطلاقه وتقدير فكره وانجازاته... مع أن الله هو مصدر وحامي هذه الحرية وانطلاقة الفكر!! ألم يقل الرب أنه قد جاء ليعطينا الحرية والحياة الأفضل والغلبة على الشر والظلم والموت آخر أعدائنا؟!

إن العمل عند المسيحي هو شركة في تدبير الثالوث، الذي خلق ولا يزال يعمل ويُجمِّل الكون، ويكمل نضوج الإنسان. يخطئ من يظن أن العمل كان عقوبة للخطية. فالإنسان في الفردوس **كان من واجبه أن يفلِّح الأرض ويحرسها قبل السقوط** (تك ٢: ١٥). أما نتيجة السقوط فلم تكن العمل، بل فقدان بهجة العمل وقلة الثمر، بعد أن فقدت البركة من الإنسان الذي رفض نعمة الله في نفسه وفي الكون، الذي خلق لكي يكون كاهناً له (يفلحه ويحرسه ويُسبِّح نيابة عنه).

وإلى جانب دور الكنيسة في العالم من عمل وكرازة وتقديس الكون وأنشطة الحياة كلها، هناك أيضاً حياتها السرائرية مع بعضها البعض ومع عريسها ومخلِّصها. أو بمعنى آخر حياتها كعروس وأمٍّ في الداخل، إلى جانب حياتها العاملة في الخارج. هذا ما نسميه **العبادة وشركة القديسين**. فالكنيسة بالنسبة للكون كله هي عمود الحق وقاعدته أي مُلْهِمَة الحق والخير والعدالة والنور للعالم، وهي أيضاً في الداخل لحم المسيح وعظامه الحية على الأرض، وموضوع لذته ومسرته وعنايته للأبد. لذا

سماها «عروسه المزينة» ليعلمنا قداسة الزواج والجمال في علاقة الرجل والمرأة! فالإنسان في عهد النعمة ليس كما كان يظن داود النبي «دودة» في الأرض بل أصبح في عين الله أعظم من الملائكة، و «شريك الطبيعة الإلهية»! وكما تحولت المادة المقدسة إلى شريك في التجلي والتجديد ومجال لتوصيل النعمة إلى الإنسان، كذلك تعلمنا الكنيسة أن الإنسان أيضاً يحيا في شركة القديسين وله دور في خلاص أخوته بل ومسئولية سيعطي عنها حساباً إن هو أهملها!! فخادم الكنيسة (الأسقف والكاهن) تعلمه الكنيسة أن «من يديك يطلب دمها»، وكل منا «حارس لأخيه» بدلاً من قايين الذي استقال من مسئوليته قديماً. من هذا المنطلق تفهم الكنيسة وتعلِّم أهمية **القديسين والشفاعة**. لأنه حيث أننا جسد واحد نفرح معاً ونتألم معاً، فإن رقد أحد منا ودخل إلى الرؤية الطوباوية (beatific vision) في كنيسة المنتصرين، فهو أو هي لا تنفصل عن بقية الكنيسة، إنما يواصل صلاته معها ومن أجلها، إذ قد تكمل في البر والإيمان. وبهذا تصبح صلاته أكثر اقتداراً في فعلها وأثرها. فإلهنا إله أحياء وليس إله أموات. بل والكنيسة المجاهدة تصلي من أجل فرح قديسيها المنتقلين أيضاً!!

إن اختلاف الكنائس البروتستانتية مع الكنائس الرسولية يرجع للتفسيرات و الآراء المختلفة لمعنى وحدة الكنيسة المنتصرة مع الكنيسة المجاهدة، و دور المادة المقدسة في خلاصنا. هذا ليس إختلافا في العقيدة المطلقة (قانون الإيمان) بل إختلاف في التفسيرات و الآراء النسبية الغير مطلقة. فالمسيحي البروتستانتي يتساءل: لماذا نحتاج لوساطة البشر الأحياء (الكهنوت) أو المنتقلين (شفاعة القديسين) أو لوساطة المادة (الأسرار المقدسة والجهاد الإنساني) لكي يوصل لنا الروح القدس عمله؟ أليس هو بقادر أن يتعامل معنا مباشرة وبدون وساطة؟ والإجابة هنا تحتاج لدراسة تاريخ الكنيسة وخبرة الأجيال الأولى الحية، لأنها أقرب ما يمكن لكنيسة الرسل وهي بالتالي أصدق شاهد على ما استلمته الكنيسة من الرب مباشرة. فكما رأينا عندما أراد الرب أن يخلصنا أخذ جسداً وجعله واحداً مع لاهوته.. أي استعمل مادة الكون ليصنع الخلاص!! وعندما قابل

شاول الطرسوسي، لم يعمده بنفسه و لم يبرأه من العمى، بل أرسله لحنانيا – أي الكنيسة – ليسلمه هذه النعمة بنفس سلطان كهنوت المسيح الذي سلمه مع مفاتيح الملكوت للكنيسة التي هي يداه ورجلاه على الأرض. لذلك فهو لم يدبر خلاصنا بعيداً عنا وعن الخليقة، بل من خلال التجسد، ومن خلال شركة البشر في توصيل الرسالة ونعمة الروح القدس بالأسرار المقدسة، إلى جانب الكرازة بالكلمة وإنجيل الفرح. **آه لو أدركنا معاً هذا العمق، وطهارة المادة والإنسان وعظمة اختبار الشركة معاً ومع الله والكون.** أليس هذا هو ما صلى من أجله الرب في صلاته الأخيرة، أن نكون جميعاً (البشر والكون) واحداً فيه كما أنه هو والآب والروح القدس واحد؟ وعندئذ نصير جميعنا واحداً معه في أنشودة أبدية، تتفجر منها السعادة ومعرفة سر الله بلا نهاية (يو ١٧).

كما رأينا، فإن بذرة انشقاق الكنيسة والهرطقات كانت في الفهم الخاطئ لطبيعة المادة والإنسان، وبالتالي علاقة الله بهما. لذلك لن تتحد الكنائس الرسولية (أرثوذكسية وكاثوليكية) مع الكنائس البروتستانتية إلا عندما نقلع جذور هذه الإختلافات التفسيرية نهائياً أي نعي قداسة الخليقة، وكونها كلها مستأهلة أن تكون وسيطة لوحدة الله مع كل عناصرها. عندئذ فقط قد يقبل الجميع معنى الكهنوت والأسرار ودور القديسين وشركة السمائيين مع الأرضيين. لقد حافظت الكنيسة على العقيدة في نقائها في **الكنائس الأرثوذكسية**، وحافظت على رسالتها نحو العالم ومعاناته في نشاط **الكنيسة الكاثوليكية**، خاصة في القرون الأخيرة. وها هي **الكنائس البروتستانتية** تكشف وتعلن لنا جميعاً عن الفرح والبهجة التي لنا في شخص المخلِّص، والتي كادت تختفي مع محاكم التفتيش وتفسير رسالة الإنجيل على أساس القانون والعقوبة، أو مع تعاليم النسك الأفلاطوني التي انتشرت في الشرق. **فهل يا ترى سنتقابل معاً قريباً في شركة المؤمنين (الافخارستيا) على مذبح واحد؟ وهل ستتعلم كل من الثلاث كنائس ما في الآخرين من جمال ونعمة حتى نتحد؟ أم سيمضي الزمن وكل منا يعظِّم ما عنده من اختبار مكتفياً بذاته وحده ومنكراً الحق الذي عند الآخر أيضاً؟**

إن الكنيسة تعاني من مرض الإنشقاق والتشتت مثل العالم. والعالم يقول لها «أيها الطبيب إشف نفسك» أولاً. ويبدو أن العالم قد عرف سر القوة والسعادة في الوحدة، وهو يسعى إليها بخطى واسعة! فهل ستسبقه الكنيسة لتكون نوراً يرى به العالم نور الإيمان؟ نشكر الله على وحدة الكنائس الأرثوذكسية التي تمت جزئياً عام ١٩٨٩ في مؤتمر جنييف. ونحن ننتظر رفع الحرومات وعودة الشركة الكاملة قريباً جداً. وسوف يذكر التاريخ أيضاً جهاد قداسة البابا شنوده الثالث في كتابة الوثيقة التي وقعتها الكنيسة القبطية الأرثوذكسية مع كنيسة روما الكاثوليكية عام ١٩٧٩ عن الاتفاق الجوهري في إدراكنا لطبيعة السيد المسيح (Christological dogma) وهي خطوة للأمام.

خاتمـــة

هكذا بالفهم المستنير لقداسة الخليقة وعلاقة المحبة العجيبة التي دبرت وحدة الله والإنسان والكون ندرك نعمة الخلق ومشكلة سقوط الإنسان في فشله أن يجمع الخليقة بالحب وطاعة الشركة في حضن الآب. ونفهم لماذا وكيف قام الإبن بصنع الخلاص لنا وللخليقة. وكيف أن الروح القدس يكمل ويجمل هذا العمل طابعاً فينا صورة الإبن لنصير على «شبهه» أو كما في موضع آخر «مثله»، و«شركاء الطبيعة الإلهية»، كما كتب بطرس الرسول بكل جسارة.

فنحن الآن بعد أن تبنانا الإبن الكلمة المتجسد، في لحمه ودمه نسكن في حضن الثالوث بجسدنا وكوننا المادي برمته وللأبد!! أما رحلتنا الآن خلال الزمن فيبهجها الله بنعمته الساكنة فينا محولاً كل أنشطتنا المادية والبيولوجية والاجتماعية والفكرية إلى مجالات لمجد اسمه العظيم القدوس لحين مجيئه، حين يعلن مجده الذي يعطيه لنا عندما يفجر الزمن في الأبدية. حقاً كما قال القديس ايريناوس ومن بعده كل آباء الكنيسة الأرثوذكسية «لقد صار الله إنساناً لكي يصير الإنسان إلهاً فيه».

هذا هو الإيمان الأرثوذكسي الذي به نحيا والرجاء الذي عليه نرقد في أرضه الطيبة حتى يقيمنا لنرث المجد معه في حضن أبيه وأبينا للأبد.

آمـــين

المراجـــع

١- الكتاب المقدس - جمعية الكتاب المقدس الشرق الأدنى.
٢- الخولاجي المقدس - مكتبة المحبة.
٣- الدسقولية (تعاليم الرسل) إعداد وتقديم د. وليم سليمان قلاده - طبعة أولى ١٩٧٩ وتعليق قداسة البابا شنوده عليها في الطبعة الثانية ١٩٨٩ - الناشر - دار الثقافة.
٤- سنوات مع أسئلة الناس - الكتاب الرابع - لقداسة البابا شنوده الثالث.

5 - **The Rudder** (of the Orthodox Catholic Church) the compilation of the Holy Canons.
Publisher: The Orthodox Christian Education Society, Illinois, 60613.
6 - **Faith of the Early Fathers** Vol. 1.
Publisher: The liturgical press - Minnesota.
7 - **Original Sin According to St. Paul**.
by Rev. J. S. Romanides - St. Vladimir's Seminary Quarterly - Vol. IV 1956. New York.
8 - **On the Incarnation by St. Athanasius**..
Introduction by: C.S. Lewis. تجسد الكلمة
Publisher: Mowbray - London & Oxford.
9 - **Orthodox Theology** - by Vladimir Lossky
Publisher: St. Vladimir Seminary. New York.
10 -**The Mystical Theology of the Eastern Church**
by Vladimir Lossky.
Publisher: James Clarke & Col. Ltd., Cambridge.
11 -**The Early Church. by Henry Chadwick**
Publisher: Penguin books - London.
12 - **Reason & Faith. by Forster & Marston**

Publisher: Monarch Publications, Eastbourne Essex. U.K.
13 - **The Meaning of Theology** (essay in Greek Patristics) by Father George Dragas.
Publisher: Darlington Carmel - U.K.

14 - **Women in the Early Church.** by Elizabeth Clark
Publisher: The liturgical press. Minnesota.
15 - **The Sacrament of Love.** by Paul Evdokimov.
Publisher: St. Vladimir's Seminary. New York.
16 - **The Body and Society.** by Peter Brown.
Publisher: Faber and Faber - London.

١٧- كيف نفهم اليوم قصة آدم وحواء - كوستي بندلي.
منشورات النور - لبنان.
١٨- الجسد والعفة والحب - چورچ خضر، مطران الروم الأرثوذكس
منشورات النور - لبنان.
١٩- إله الإلحاد المعاصر - كوستي بندلي
منشورات النور - لبنان.
٢٠- مدخل إلى العقيدة المسيحية - كوستي بندلي
منشورات النور - لبنان.
٢١- السبل إلى الله (الله والتطور) - كوستي بندلي
منشورات النور - لبنان.
٢٢- المسيحية والجسد - المتنيح الأنبا بيمين أسقف ملوي - مطرانية ملوي.
٢٣- الرؤية الأرثوذكسية نحو العالم - المتنيح الأنبا بيمين أسقف ملوي - مطرانية ملوي.
٢٤- الروحانية الأرثوذكسية - المتنيح الأنبا بيمين أسقف ملوي - مطرانية ملوي.
٢٥- الجنس والزواج - د. عادل حليم تقديم نيافة الأنبا موسى أسقف الشباب.
٢٦- ومرة أخرى المرأة - إيريس حبيب المصري - مكتبة المحبة.
٢٧- المرأة وخلاص العالم - پول افدوكيموف (مترجم) مكتبة المحبة.
٢٨- الجنس ومعناه الإنساني - كوستي بندلي.

(المقالة االثانية)

المعنى العملي للمحبة والمساواة
بين أقانيم الثالوث القدوس
في
(الكنيسة والأسرة)

المعنى العملي للمحبة والمساواة
بين
أقانيم الثالوث القدوس

علمنا المتنيح نيافة الأنبا بيمين أسقف ملوي الراحل: «أريد أن يكون فيكم الفكر الثالوثي أي الفهم الحي والمُعاش للثالوث القدوس. فالله ليس هو أقنوم الابن «الرب يسوع المسيح» وحده ولكنه ثالوث في تساو ووحدة بالحب في جوهر وطبيعة ومشيئة واحدة». وقال ڤيلاديمير لوسكي اللاهوتي الأرثوذكسي الروسي المعاصر ما معناه «إما الثالوث أو لا شيء!»، أي بدون فهمنا لمعنى المساواة والمحبة التي في الثالوث القدوس لا نستطيع إدراك المحبة والتساوي بيننا في علاقاتنا في الكنيسة والأسرة بل والحياة مع العالم الذي يترجى ويشتهي هذه المحبة والمساواة. أليس هذا هو الدافع وراء كل الثورات، والكفاح الإنساني، واحترام حقوق الإنسان، وقيام هيئة الأمم المتحدة وغيرها من الأنظمة التي تعكس عطش الإنسان للمحبة والمساواة والاحترام الكامل بين البشر؟!

المحبة والحرية:

إحتار اللاهوتيون في إجابة سؤال «ما هو جوهر الله – أي طبيعته – بالضبط؟» وأقرب إجابة أعلنها لنا الله نفسه على لسان يوحنا الحبيب أن «الله محبة». ولعل هذا هو السبب أن أهم ما أعلنه السيد المسيح عن علاقته بالآب هو الحب الذي يجعلهما واحداً، وأنه إذ أراد أن يسكب فينا أغلى ما أعطاه له الآب قال: «أنا أعطيتهم المجد (ذاته) الذي أعطيتني... وأنت أحببتَهم (تماماً) كما أحببتني» (يو ١٧: ٢٢ – ٢٣).

فالإنسان في عمق جوهره هو فيض من حب الثالوث القدوس! على شبهه كمثاله. إن الله لا يحتاج لآخر خارجه لتكتمل سعادته. فهو قبل البدء – كما علمنا المتنيح الأنبا بيمين مردداً تعليم الآباء الأولين – فيه المحب والمحبوب وروح المحبة وهو مستقر ومستريح في ذاته لا يحتاج لآخر. لكنه من فيض الحب أراد

أن يخلقنا لنشاركه هذا المجد. وهذه المحبة لا تُفهَم أيضاً بدون الحرية. فسارتر – الملحد الوجودي – أخطأ فهم محبة الله التي رآها في المسيحيين الناقصين في المحبة. فرأي أن الله إذا كان يجبرنا على المحبة فهو إله سادي وظالم لأنه لا يترك لنا الفرصة لرفض هذه المحبة!! وهذا مسيحياً صحيح وسليم!! إلا أن الله، في الإعلان المسيحي، لا يُلزمنا ولا يُجبرنا على حبُه بل أعطانا الحرية التي بها نقبله أو نرفضه... «نحييه أو نميته بالصلب» كما كتب كوستي بندلي في كتاب إله الإلحاد المعاصر. فالله إلهنا ليس إله عبيد بل إله أحرار ولذا سمانا أحباء (يو ١٥: ١٥). وأعلن لنا سرَّه لأننا لسنا عبيداً يخفي عنهم السيد ما هو مزمع أن يعمله.

إن محبة الله هذه جعلته يدخل نفسه في «مخاطرة الخليقة!» أي أن يقبل بأن يخلق آخر أمامه له كامل الحرية أن يرفض أو لا يريد أن يتعامل معه إلى الأبد إن شاء هذا الآخر!! (ف. لوسكي).. إن هذا الرفض – وللأبد – هو أعمق معنى لفهم «الخطية» و «إختبار جهنم» الأبدي أي البعد عن الله بالاختيار الكامل من الإنسان وبحريته.

لقد عبر غريغوريوس اللاهوتي في القداس عن هذه المعاني التي نصليها:

«لأجل الصلاح وحده خلقتني وكونتني ووضعتني في فردوس النعيم... وأخضعت كل شيء تحت قدمي... لم تدعني معوَزاً شيئاً من أعمال كرامتك... (ولكني) أنا إختطفت لي قضية الموت (بإرادتي)»!!

(القداس الغريغوري).

إن نظرة حب واحدة من إنسان حر لا تساويها سجدات عبيد الأرض كلهم، ولو حتى للأبد، في نظر الله. فأي قيمة لسجود عبيد مجبرين وأي قيمة في أداء فرائض ملزمة إذا قورنت بنداء حب ولو لثانية واحدة في الزمن؟ لذلك لا يحتاج الله لعبادتنا بل نحن الذين نشتهي الوقوف أمامه بفرح لكي يسكب علينا حبه ومجده:

«لست أنت المحتاج إلى عبوديتي (أي عبادتي وتكريسي لك) بل أنا المحتاج إلى ربوبيتك (أي أبوتك ورعايتك لي)» (القداس).

إن كانت هذه هي محبة الله التي ندركها من هيام الإبن حباً في الآب في صلاته (يو ١٧)، ومسرة الآب حباً في إبنه الوحيد الذي لنغمات حبه نسمع، ونطرب ونهتز سجوداً وتسبيحاً.. إن كانت هذه المحبة هي نفسها والمجد المعطى معها هي هبة الإبن لنا (يو ١٧: ٢٢ – ٢٣)، التي يأخذ الروح القدس منها ويعطينا (يو ١٦: ١٥)، فكم ينبغي أن نحب نحن بعضنا البعض. كم نحن مدينون لبعضنا بمشابهة أبينا السماوي «الكامل» والمُعلَن لنا في شخص المسيح صورته ورسم جوهره والذي يشهد عنه روحه القدوس الساكن فينا كلما ذكرنا إسمه القدوس؟

المساواة والخضوع كمثل الثالوث

يعلمنا الكتاب أن الإبن الكلمة «يخضع» لمشيئة الآب (مز ٤٠: ٨ و لو ٢٢: ٤٢ و ١كو ١٥: ٢٨)، ولكنه مع ذلك هو والآب واحد في المساواة والمحبة والطبيعة والكرامة والقدرة... كيف؟ كيف يتساوى الخاضع لمن يخضع له؟ هذا هو سر علاقة أقانيم الله.. هذا هو سر الطاعة الذي يصعب علينا أن نفهمه إذا قسناه بمقاييسنا الناقصة كبشر! لأن كلاً منا له ذاته الخاصة (Ego) ولسنا في وحدة كاملة، لذلك لا يمكننا أن نفهم جمال وكمال الخضوع (أي الطاعة) مع المساواة، فإن تساوى إثنان يصعب الخضوع.. وإن خضع أحد تختفي المساواة. ما هو إذن السر الذي يجعل الخضوع والمساواة يتكاملان معاً؟!

الإجابة هي: «**المحبة**».. الحب الكامل هو الدافع الوحيد الذي يجعل المحب يعطي – لا مشيئته الخاصة فقط بل – حياته كلها بدون قيد ولا شرط وبفرح ولذة لمحبوبه، ولا يكون هنا إحساس بالدونية أو النقص بأي صورة بل على العكس.. فمن يزيد في عطائه، فهو أكبر في حبه وأعظم في بذله!!

لذلك فعمل الخلاص والتجسد لم يُنْقِص الله شيئاً، كما يتصور من يرون أن الله منزَّه عن الخليقة والإنسان وأن حلوله فيهم إنقاص لجلاله!

فالآب أحبنا وبذل حياة ابنه – ساكباً إياها فينا – بدلاً من الموت الذي دخلناه بأرجلنا وشربناه بكامل إرادتنا إذ إخترنا التأله بعيداً عنه.

والإبن أحبنا حتى أنه تنازل وأخذ طبيعتنا في اتحاد كامل مع لاهوته لا ينفصل لحظة واحدة ولا طرفة عين للأبد (بلا إختلاط ولا إمتزاج ولا تغيير). حتى الموت، لم يفصلهما، بل بالقيامة أكد أننا لازلنا فيه بكامل طبيعتنا الممجدة التي فيه كباكورة لنا.

والروح القدس أحبنا فأحيانا بحياة الله وأعطانا سلطاناً أن نصير أبناء الله بالنعمة (يو ١: ١٢)، فأصبحنا شركاء الطبيعة الإلهية (٢بط ١: ٤)! من هذا لا نفهم فقط أن أقانيم الثالوث في خضوع وطاعة مع بعضهم البعض بل قد يصح – إن سامحني القارئ على هذه الجسارة – أن يقال **أن الله قد أخضع نفسه لإحتياج الإنسان** (حباً ورحمة لا قسراً) حينما قبل أن يقدم لنا الخلاص وهو غير محتاج لنا بالكلية!! أليس هذا هو ما يلمح له الله المحب للنفس البشرية في قوله: «حوِّلي عني عينيك لأنهما قد غلبتاني» (نشيد ٦: ٥)؟

يقول كتاب إله الإلحاد المعاصر مدافعاً عن حب الله ورقته: إن المحب دائماً يفتقر إلى محبوبه لأن بدونه لا تكتمل السعادة. إذن فالله المحب لانهائياً، فقير لانهائياً بحبه لنا!! الله اختار أن يفقر ذاته حباً فينا!! أليس هذا معنى البذل وإخلاء الذات (في ٢: ٧)؟!

إن هذا هو إعلان الله لنا في روعته عن محبته لنا وطاعته لإحتياجنا – إن صح التعبير – وطاعة أقانيمه لمشيئة حبه فينا نحن الخليقة الضعيفة التي سكب فيها «كل ملء اللاهوت» (كو ٢: ٩) في شخص المسيح كباكورة لنا (رو ٨: ٢٩). هذا كله بالرغم من مساواة أقانيمه!!!

كيف نطبق هذه المعاني في حياتنا اليومية وتصبح لنا خبزاً يومياً في الكنيسة والعائلة؟!

تعلمنا الدسقولية – تعاليم الآباء الرسل – في باب عن السلطان الكنسي: «ليكن الشماس (وعضو الشعب ضمناً) بالنسبة للأسقف (أو الكاهن) كالإبن بالنسبة للآب، ملكاً ونبياً».. «ولا يقول غير الإكليروس إنني خروف ولست براعٍ (أي ليس لي عمل ودور هام في الكنيسة). لأن خرافي هي خليقة عاقلة». ويردِّد آباء الكنيسة هذا المعنى عبر التاريخ كما يوضحه اللاهوتي الروسي المعاصر پول إڤدوكيموف في كتاب «سر الحب» بأن الإختلاف بين شخص الإكليروس

والعلماني في الكنيسة هو اختلاف وظيفي فقط. فليس هناك إختلاف في الكرامة ولا الطبيعة ولا الكيان. ذلك لأنهما على مثال الآب والإبن.. متساوون في كل شيء، وواحد في كل شيء، ما عدا الصفات الأقنومية – أي التميز الوظيفي بينهم، هذا هو الفارق الوحيد بحسب إيماننا الأرثوذكسي. ذلك الذي يأخذ الثالوث القدوس كنموذج لعلاقة الأسقف بشعبه. لذلك أيضاً لا يختار الأسقفَ أسقفٌ آخر، بل يختاره شعبه ويُجلِّسه في حضور «أساقفة» آخرين، علامة الشركة والمساواة في الخدمة الرسولية. لقد رفضت الكنيسة تعليم الأريوسيين لأنهم رأوا أن الآب أعظم من الابن، وفي هذا الإنحراف الغاء للمساواة في الكنيسة بين الإكليروس والشعب وهو لا يوافق نموذج الآب والابن كما في تعاليم الرسل الأطهار.

أما بالنسبة للأسرة وعلاقة الزوج بزوجته فيقول بولس الرسول «ليست المرأة من دون الرجل ولا الرجل من دون المرأة» (١كو ١١: ١١).

ويضيف أن يحب الرجل إمرأته **كما** أحب المسيح الكنيسة باذلاً نفسه لأجلها (أف ٥: ٢٥) وبذلك يصبح الرجل «رأس المرأة **كما** أن المسيح رأس الكنيسة». وعندئذ فقط يمكن القول أن المرأة تخضع لرجلها **كما** تخضع الكنيسة للمسيح (أف ٥: ٢٤).

أما رئاسة المسيح على الكنيسة فهي رئاسة تختلف اختلافاً جذرياً عن الرئاسة عند البشر. لأن رؤساء هذا العالم يسودونهم.. «أما أنتم فلا يكون فيكم هكذا.. بل من أراد أن يكون رئيساً فليكن خادماً للكل..» (مت ٢٠: ٢٦ – ٢٧).

وإن كانت الكنيسة تعلمنا أن علاقة الأسقف بالشعب هي على مثال علاقة السيد المسيح بالكنيسة، وعلاقة المسيح بالكنيسة هي نموذج علاقة الزوج بالزوجة، يصح أن يقال أن علاقة الزوج بزوجته هي أيضاً على مثال علاقة الآب بالإبن. وقد أكد القديس يوحنا ذهبي الفم هذا عندما علم بأن الزوج وزوجته وروح المحبة التي تجمعهما (سواء أنجبا أم لا) هم **أيقونة للثالوث القدوس!**

مجموع هذا الكلام وخلاصته، أن الخضوع والرئاسة في الأسرة لا يمكن فهمها مسيحياً بدون التطابق مع مفهوم الخضوع والأبوة التي في الثالوث القدوس! فالله وحده بأقانيمه وحبه هو الذي فيه كمال المساواة مع كمال الخضوع والطاعة

بلا أي نقص، وذلك لكمال الحب المطلق الذي يحول هذه العلاقة إلى سيمفونية شجية، تتميز فيها الأنغام ولكنها تنسجم بالتمام، فتصبح وحدة لا يمكن فهمها إذا فصلنا نغماتها بعضها عن بعض أو نظرنا إلى إحديها على أنها أعظم أو أقل في الأهمية!!

أيضاً رئاسة السيد المسيح على الكنيسة لم يأخذها أبداً بسلطان ألوهيته وقدرته على الإخضاع.. حاشا!! فهذا الفهم مهين لكرامة المحبة والحرية ويلغي قيمة الكنيسة وبالتالي كرامة رأسها أي المسيح نفسه!

لقد إقتنى الربَّ رئاسته على العروس المجيدة (المزينة بتبررات القديسين للأبد) حينما إقتناها بدمه، أي ببذل نفسه بالكامل ليخطب ودَّها أبداً! «إفتحي لي يا حبيبتي يا حمامتي.. لأن رأسي إمتلأ... من ندى الليل» (نشيد ٥: ٢).. والكنيسة إذ تحس بهذا الحب الجارف والحياة المبذولة بلا ندامة من أجلها ترفعه وتسميه «ربنا وإلهنا ومخلصنا وملكنا كلنا ربنا يسوع المسيح الذي له المجد الدائم إلى الأبد... آمين» فهو لم يطلب هذا بل قدمته الكنيسة طوعاً. ولكي تجيب نداء حبه، بذلت أيضاً حياتها حتى الدم خضوعاً لحبه وشهادة لغرامها به!!

الرئاسة إذن هنا هي **التقدم في البذل** (To be **a head** is to be **ahead**) وليست التسلط كما يفهمها الإنسان بعيداً عن رسالة الإنجيل المفرحة.

والخضوع هنا هو **تقبل وتقدير واحترام البذل** المعطى من الزوج لزوجته. فليس بين المسيح والكنيسة من سيد وعبد بل محب ومحبوب لذلك فهو يعطينا الحب (ذاته) والمجد (ذاته) الذي يعطيه له الآب (يو ١٧: ٢٢ – ٢٣) وليس مجد شبيه ولا حب شبيه – أنظر الترجمات الانجليزية فهي أوضح من العربية (Good News Bible).

نرى إذن أنه **إذا انعدم الحب من الرجل فهو ليس برأس لأسرته، فقد إستقال، ولذلك تثور ضده المرأة** – بسبب المساواة الموجودة فعلاً – ولا تستطيع أن تخضع لأن الخضوع بدون حب مذلة ومهانة. وإن كان الخضوع هو تقبُّل الحب ومبادلته بالحب، فماذا يقدم الرجل غير المحب لزوجته حتى تستطيع أن تتقبل منه؟!

إن مشكلة «العالم» البعيد عن الله (وحتى بعض المؤمنين قليلي المحبة) أنهم لم

يفهموا مغزى كلمة «كما» في قول بولس الرسول عن الرئاسة والخضوع «كما» المسيح والكنيسة في علاقتهم!

ولم يفهموا معنى الحب والمساواة التي في الثالوث، لذلك فهم يعانون من ثورات «حرية المرأة»!! إن المرأة لا تبحث عن الحرية خارج الأسرة أيها الرجال بل داخلها! إنها حقيقة تبحث عن الحب الزوجي من رجلها والبذل الذي يستطيع أن يفجر فيها طاقات العطاء وقبول الحب بالحب - أي الخضوع بالمعنى الإنجيلي السليم - عندئذ فقط تتوج رجلها رأساً بإرادتها الحرة كما الكنيسة للمسيح، فالرجل ليس رأساً بذكورته بل كهبة حب من زوجته إن بذل نفسه على مثال المسيح.

إن مفاهيمنا للأسف قد تدنست كثيراً بمفاهيم «العالم» البعيد عن الله، لذلك لن نفهم معنى الرئاسة والخضوع إن لم نَعُدْ إلى حضن الآب.. هناك وهناك فقط.. نفهم كمال الحب والمساواة والخضوع للوحدة ومن أجل السعادة الواحدة وليس للتسلط سواء في الكنيسة أو الأسرة.

الآن نفهم لماذا لخص فيلاديمير لوسكي قول السيد المسيح أن الحياة الأبدية هي أن نعرف الثالوث القدوس فيما معناه، «إما الثالوث أو.. لا شيء!!»

الله والإنسان والكون المادي

الجزء الثاني

المقالات السبعة

المقالة الأولى

الفارق بين
المطلق (الغير متغير) والنسبي (القابل للتغيير)
في تعاليم الكنيسة

قبل أي حديث أو مناظرة أو مناقشة يجب الإتفاق على التعاريف. أي يجب أن نتفق على تعريف كل إصطلاح وعبارة نتعامل بها لكي نتأكد أننا نتكلم ذات اللغة، ليس في إسم اللغة بل في **المفهوم والمضمون** الخاص لكل كلمة وعبارة ومن ثم كل فكرة يدور الحوار حولها. إنعدام الإتفاق على التعريفات هو السبب الجوهري جدا لخلافات اللاهوتيين والكنائس في التفسيرات والإنشقاقات على مر الزمن. وإنني أرى أن بادىء ذي **بدء يجب أن نتفق على ما هو مطلق (غير متغير) وما هو نسبي (قابل للتغيير) في كل ما ندركه من تعاليم تسلمناها عبر القرون من الأجيال السابقة في الكنيسة.** تعودنا تقويا أن نقدس كل ما نتعلمه في الكنيسة، وهذا جيد. ولكن ليس كل ما نعتبره مقدس لإرتباطه بالكنيسة هو مطلق. المطلق هو ما نقبله ولا نحتاج أن نراجعه أو نغيره مثل العقيدة (الدوجما) الملخصة في قانون الإيمان، إلى جانب أقوال الرب يسوع المسيح. والمتغير هو كل ما هو قابل للتغيير مثل التفسيرات والطقوس والقوانين الكنسية والآراء الشخصية، على أن يكون التغيير بإتفاق الكنيسة كلها معا.

الله وحده هو المطلق الوحيد، بالمعنى الكامل الأوحد:

والمطلق في التعاليم والمبادىء **هو مالا يختلف عليه البشر مع إختلاف الزمان والمكان والمعتقد،** لأنه النور الداخلي الذي يعكس بصمة صفات الله في الإنسان،

أي صورته ومثاله. **ولا يحتاج إدراك المطلقات الخيرة بالعقل البشري لا لكتاب ولا لنبي**، لكي يشتاق إليه الإنسان بالفطرة: فلا أعتقد أن هناك إنسان في أي زمان أو مكان أو معتقد يعترض على أن المحبة والرحمة والمغفرة ومساعدة المحتاج والضعيف والعدالة والحرية والمساواة بين البشر، والبناء والعلم والعمل على تقدم الإنسان وإحترام حريته وحقوقه وكرامته ... هي كلها خير مرغوب، بل كلها بديهيات خلقنا بها ونحتاجها ونحب أن يقدمها الآخرون لنا. أما الظلم والكذب وأذية الآخرين وإستغلالهم والسرقة والقتل وإغتصاب ما ليس لي والخيانة لأي إنسان أو عهد، فهذه يتفق عليها الكل بالفطرة أنها أمور كريهة ونسميها شر.

والحق أيضا يقال أن هذه الأمور، التي ندعوها خيرا أو شرا، لم يعرفها البشر منذ أيام موسى النبي فقط، بل هي مفاهيم فطرية زرعها الله كناموسه الأول والطبيعي في ضمير كل بشر. هي الناموس الذي عاش به الآباء الأولين بدون الحاجة إلى نبي أو كتاب، كما تذكر دسقولية الآباء الرسل. بل وأريد أن أضيف أن إلهام الروح القدس ووحيه للبشر لابد وأنه بدأ مع ظهور الإنسان والضمير على الأرض، لأن الثالوث القدوس لم يكن بلا عمل منذ الأزل وإلى الأبد. وأتجرأ وأقول أن إلهام ووحي الروح القدس هو جوهريا رسالته لنا من خلال خبرة وضمير ''**كل بشر**'' **مهما إختلفت عقيدته**، من خلال الخبرة الإنسانية المعاشة، وهذا الإختبار هو ما دفع الأنبياء للتعليم أو الكتابة. ولو رفض القارىء تعبير ''**كل بشر**'' الذي ذكرته، حاصرا عمل الروح القدس في المسيحي فقط، أذكره أنه لو كان لأي إنسان، ملحدا كان أو مؤمنا، مصدرا موحيا للخير وملهما بالمحبة غير الروح القدس، لكنا إذن نؤمن بوجود أكثر من جوهر للخير، خارج الله الروح القدوس ذاته ... وهذا هو الشرك بعينه، حاشا. بل وتعلمنا الكنيسة أن الإختبار الإنساني الطبيعي الفطري لله، بالروح والعقل هو أهم مصدر للتقليد الكنسي، وهو المصدر الأوّلي لما دونه التلاميذ والرسل والأنبياء قديما في الكتاب المقدس. **فالتقليد الرسولي الإختباري لحياة المسيح في وسطنا، وحياتنا معا، هو الذي كتب الكتاب المقدس وليس العكس**. يبدو أنه قد صَدَقَ من قال: ''لا

يوجد شيء يسمى نصا صريحا وكاملا بذاته أبدا ... ولكن كل نص هو جوهريا المادة الخام التي تسبق النص، هو ما نسميه **'ما قبل النص'** ...

Pretext when lived becomes a **living text**

النص الحقيقي هو النص المعاش المختبر والممتحن بإختبار الإنسان الحي فقط''.

ولذلك تعلمنا الكنيسة أنه عند وضع **قانون الإيمان** كانت هناك إختلافات بل هرطقات بسبب إحتمالات التفسير المختلفة لنصوص الكتاب المقدس الواحدة، بل وأقوال الرب يسوع المسيح نفسه. وكان الهراطقة يستعملون المنطق البشري وحده لتحليل وتفسير النصوص والحوار، بعيدا عن إختبار كنيسة القديسين الإنساني الحي لخلاص الرب. فكانوا يرفعون من شأن النص الظاهري الخام، يرفعونه على إختبار الكنيسة للمعنى المعاش.

ولكن الكنيسة قبلت فقط ما قد إستقر في وجدان شعبها من إختبار إنساني، لرفض تفسيرات الهراطقة. بمعنى أن النص الذي لا يتفق مع المحبة والرحمة الإلهية كما تختبرها الكنيسة الحية، أو النص الذي يُنقص من إدراكنا الكامل عن **وحدة الله وطبيعته مع الإنسان وطبيعته**، في وحدة كاملة، **في المسيح أولا ثم فينا بالروح القدس** (بغير إختلاط ولا إمتزاج ولا تغيير ولا إفتراق لحظة واحدة ولا طرفة عين) هو نص يحتاج للمراجعة وإعادة تفسيره في ضوء نصوص أخرى، وإخضاع هذا التفسير لإختبار الكنيسة المعاش، وليس لحروف وكلمات النص ذاته.

وذلك لأن ''**إتحاد" الطبيعة الإلهية بالطبيعة البشرية**، في المسيح ثم فينا بالروح القدس الساكن والمتحد بنا، (و ليس فقط موت المسيح على الصليب) هو جوهريا الذي حقق **الفداء والخلاص والكفارة**، من فنائية الوجود الإنساني. **وهذا الإتحاد هو الذي "كفّر عن"، أي "طهّر"طبيعتنا من نجاسة الموت الروحي الأبدي، عندما زرع فينا، بالتجسد، بذرة الحياة الأبدية**، والتي هي صفة إلهية لله وحده فقط. ولكن الله وهبنا، **بإتحاد** طبيعته الحية بطبيعتنا المائتة، هذه الحياة الكاملة الأبدية بدلا من موتنا. فحلت الحياة الأبدية مكان الموت الأبدي، وحل

النور مكان الظلمة، والخلود مكان الفنائية وبطلان معنى الوجود: ''و **الموت** الذي دخل إلى العالم بجسد إبليس **هدمته بالظهور (التجسد) المحيي** الذي لإبنك الوحيد – القداس''، وليس بموت الصليب وحده. **هذا هو معنى الفداء والخلاص والكفارة في فكر آباء الكنيسة الشرقيين: هدم الموت بالتجسد الإلهي أساسا، والصليب والقيامة، اللذان هما "ختم مصداقية" الفداء الذي تم بالتجسد.** هذا كله يفهم كعمل واحد كامل متكامل لا ينقسم ولا يتجزأ. وليس تعريف الفداء والخلاص والكفارة كما في فكر القرون الوسطى الغربي، هو "**إتمام عقوبة الموت في المسيح، بدلا من إتمامها في الإنسان – أي عقوبة بدل عقوبة**". والآن يتبع هذا الفكر الآبائي الشرقي الأرثوذكسي كل آباء الكنيسة الكاثوليكية، والكثير من معلمي الكنائس البروتستانتية.

نرى إذن أن النصوص المكتوبة كلها هي حقيقة تأتي في درجة ثانوية لما يختبره الإنسان في مجموعه، لقبول أفضل التفسيرات للحق، لأننا لا يمكننا إدراك الحق في كماله المطلق على أية حال. فقانون الإيمان هو أفضل صيغة للتعبير عمّا أدركناه من الحق عن الله ومصيرنا الأبدي. وقد وضعته الكنيسة لكي توضح لنا ما أدركناه من الحق وترفض ما يتعارض مع هذا الحق. **ولكن الرفض السلبي لما لا يتفق مع الحق كما في** (بغير إختلاط ولا إمتزاج ولا تغيير ولا إفتراق لحظة واحدة ولا طرفة عين)، **ليس مساويا لـــــ "تحديد وحصر" الحق في عبارات وصيغ مهما عظمت.** لأن رفض ما لا يتفق مع الحق ممكن، ولو بصورة نسبية غير مطلقة، أما تحديد وحصر الحق في إدراك كامل، أو صيغة جامعة شاملة بلغة بشرية فهو مستحيل.

نعلم أيضا أن إدراك ما هو خير أو شر هو إدراك في واقعه يتم **بالإختبار "الطبيعي" وليس بالإختبار المعجزي.** ونحن نعلم أن القليل جدا مما كتب لنا في الكتاب المقدس هو ما سلم للكتّاب بصورة رؤيا أو إعلان فائق للطبيعة. ونعلم أن الجل الأعظم من تعاليم الأنبياء نعتبرها كلمة الله، أساسا وجوهريا، لأن الخبرة البشرية قد صدّقت على هذه التعاليم أنها تتفق مع الخير أو الشر الذي أدركه الإنسان منذ البدء،

في الضمير، قبل أي نبي أو كتاب. ودسقولية الآباء الرسل تؤكد أن الله قد رسم فطريا ونحت في قلوبنا وعقولنا "**الناموس الطبيعي الأول**" (للتمييز بين الخير والشر والمحبة والبغضة) والذي مؤخرا أعلنه الله مرة ثانية بالوصايا العشرة، **لمجرد التذكرة لا أكثر، بصورة مكتوبة** لموسى والأنبياء. ثم مؤخرا ثبّت هذا الناموس الطبيعي الأول وأعلنه واضحا، من خلال الكلمة المتجسد بحياته وتعاليمه، بعد أن حررنا من **رباطات وكتافات** الناموس الموسوي، التي هي تعاليم النجاسات والطهارات والذبائح والعنف وأسر سبايا الحرب ورجم الخطاة ... إلخ كما يلي:

ما جئت لأنقض بل لأكمل:

نحن نعلم أن الرب عندما قال "**ما جئت لأنقض بل لأكمل**" أنه أيضا رفض عنف الناموس، وحررنا من عبودية ما أسمته دسقولية الآباء الرسل "**أثقال – رباطات – أو كتافات الناموس**"، والتي شرحتها الدسقولية في الفصل ال٣٣، كما قدمها لنا المستشار د. وليم سليمان قلادة، وأقتبس منها هذه الفقرة الرائعة جدا:

"فلأجل قساوة قلوبهم (شعب إسرائيل) **ربطهم بهذا: الذبيحة والتطهير والإمتناع (لا تمس ولا تذق ولا تستعمل أو تجس)** [راجع كولوسي ٢ عدد ٢١-٢٢، فهي تؤكد أن هذه الرباطات كلها: وصايا وتعاليم **الناس** وليس الله!] ... فأما أنتم أيها المؤمنون الذين آمنوا بإله واحد ... فقد **حلكم منها وجعلكم أحرارا من العبودية من هذه الرباطات** ... لأن المسيح إبن الله لما جاء حقق الناموس وكمله، وحمل الأثقال [رباطات أو كتافات الناموس] التي كانت عليهم و**بطلها بالكمال، والناموس الطبيعي ثبته** [الذي عاش به الآباء بدون وصية مكتوبة قبل موسى] وجعل سلطان الناس حرا."

(صفحة ٧٢٧ من الطبعة الأولى عام ١٩٧٩). مابين الأقواس المربعة [ ] هو إدخال من كاتب هذا الكتاب.

النظام الأخلاقي عند الكثير من الحضارات القديمة:

و نحن نعلم أن **النظام الأخلاقي عند الكثير من الحضارات القديمة، خاصة قدماء المصريين، كان لا يقل في جماله وروعتة عن ناموس موسى، بل كان أرقى في بعض تعاليمه.** وقصة كذب إبراهيم أبو الآباء عندما قال لأبيمالك، ملك الفسطينيين، أن سارة هي أخته وليست إمرأته، ثم ''جاء الله إلى أبيمالك في حلم الليل، وقال له: ها أنت ميت من أجل المرأة التي أخذتها فإنها متزوجة ببعل. و لم يكن أبيمالك قد إقترب إليها. فقال يا سيد أأُمّة بارة تقتل؟'' ...، فاعترف إبراهيم بكذبه، وبكّت أبيمالك إبراهيم على كذبه: ''و قال له: ماذا فعلت بنا وبماذا أخطأتُ إليك حتى جلبت عليّ وعلى مملكتي خطية عظيمة'' (تكوين ٢٠ عدد ٢-٩). فكان أبيمالك أتقى من إبراهيم كما يشهد الكتاب المقدس. ثم حدثت نفس القصة ثانية بين إسحق وأبيمالك ذاته، حين قال إسحق عن رفقة زوجته الجميلة أنها أخته لئلا يقتلوه ليأخذوها. ولكن أبيمالك ''أشرف من الكوة، ونظر وإذا إسحق يلاعب رفقة إمرأته. فدعا أبيمالك إسحق وقال له: إنما هي إمرأتك، فكيف قلت هي أختي؟ ... فقال أبيمالك: ما هذا الذي صنعت بنا؟ لولا قليل لأضطجع أحد الشعب مع إمرأتك فجلبت علينا ذنبا.'' (تكوين ٢٦ عدد ٨-١٠).

و عند قدماء المصريين، كما عند حضارات أخرى **قبل ناموس موسى،** كانوا يُجرّمون الكذب والزنا والقتل (بدون سبب قانوني) والسرقة وعدم مساعدة المحتاج وإكرام الضعيف، وإحترام الإله والقانون (= الوصايا العشرة). بل كان المصري القديم يؤمن بأنه سوف يُحاسب بعد مماته ويُلقى في العذاب لو كان قد إمتنع يوما عن ري نبات عطشان، وليس فقط أذية البشر!!! وكان المصري القديم يذبح الذبيحة بسكينه تحت إبط (تحت كتف) الذبيحة لتترف ببطء، وليس من الرقبة، لكي يخفف عنها الألم والرعب المصاحب لقطع الرقبة. و لم يكن هذا حال العبرانيين في ناموس موسى. وقبل أن يقتل المصري القديم ذبيحته كان

يخاطبها في أذنها طالبا الصفح والمغفرة لأنه مضطر لقتلها ليأكل هو وأهل بيته لكي لا يموتوا!!! هكذا كانت رقة المشاعر وحنان المصري القديم، وبدون ناموس موسى!!!

تعاليم الرب يسوع (الله الكلمة) وحدها، نسجد لها كتعليم وإعلان إلهي مطلق:

و هذه التعاليم يجب أن نتفهمها **في سياق النص الكتابي في مجمله، والسياق الحضاري الثقافي المحيط بها يوم قيلت** ، من جهة **المبادىء الجوهرية المطلقة** ، التي ذكرتها، والتي تحملها العبارات الإنجيلية في مجملها، وليس من جهة الحروف والكلمات، سواء في الأصول اليونانية للبشارات الأربعة أو الترجمات المختلفة لذات النص الأصلي. فالله يحدثنا بفكر ومعنى وفهم عقلي وقلبي، وليس بنصوص مصمتة، **لأن الحرف يقتل** المعاني، والروح الذي للتعليم هو الذي يُحي الحرف للفهم المستنير. ولذلك لا يجب أن نستعمل التعبير الغير إنجيلي أنه "لا إجتهاد مع صراحة النص". هذا مبدأ غير مسيحي. فليس من نص بلغة بشرية يسمى نصا صريحا أو مصمتا مقفولا وله معنى واحد، إلا لو كان المفسر يظن أنه هو وحده الذي يعلم فكر الله بلغة إلهية يقينية!!! وهذا مستحيل. أي نص مكتوب يحتمل أكثر من معنى. وتلك المعاني يمكن إستنتاج بعضها فقط ، وأيضا **بعد مراجعة الإختلافات بين حرفية النصوص** في البشارات الأربعة للقول الواحد والمتكرر، والمقارنة مع كل النصوص المتعلقة بذات الموضوع في الكتاب بكليته.

و ذلك لأن كُتّاب الكتاب المقدس، الموحى لهم، قد كتبوا ونقلوا لنا ما شاهدوه وسمعوه **بعدها بعشرات السنين**، و لم يكونوا يفرغون شرائط فيديو مسجلة بحرفيتها، أو ينسخون ما يقال أمامهم في ذات اللحظة. وأيضا الوحي لا يعصم الكاتب من القصور الحضاري والثقافي، الذي يؤثر بالقطع على إختيار الكلمات التي تعبر عما فهمه وما سمعه قبلها بعشرات السنين. وقد يعترض البعض على هذا الرأي بحجة أن

وحي الروح القدس يعصم الكاتب والنبي من كل خطأ. ولهؤلاء أقول:
يؤكد لنا د.موريس تاواضروس، أستاذ اللاهوت بالكلية الإكليريكية للكنيسة القبطية الأرثوذكسية، في الجزء الأول من كتابه علم اللاهوت العقيدي (مكتبة أسقفية الشباب بالأنبا رويس) صفحة ٨٤: ''**أن الوحي لا يلغي شخصية الكاتب، وأن الكاتب يكتب متأثرا بثقافته وبيئته**، هو ما نلاحظه من إختلاف الأسلوب بين كتب الكتاب المقدس المختلفة، وكذلك **عدم إلتزام الكاتب بالحرفية** فيما يكتب''. ويذكر لنا د. موريس تاوضروس مباشرة، أن في عماد السيد المسيح قال الكتاب في (لو ٣ عدد ٢٢) أن الصوت الذي سمعوه قال ''أنت إبني الحبيب بك سررت''، ولكن ذكر القديس متى هذه العبارة ذاتها بعد العماد بصورة مختلفة حرفيا، في مت ٣ عدد ١٧: ''هذا هو إبني الحبيب الذي به سررت''. وكمثال آخر عن عدم الإلتزام بالحرفية، العبارة التي كتبت على صليب الرب عن كونه ملك اليهود قد ذكرت في الأناجيل الأربعة بأربعة صيغ مختلفة من جهة الكلمات، ولكن المعنى هو الغير متغير: ففي مت ٢٧ عدد٣٧: ''هذا هو يسوع ملك اليهود''. وفي مر ١٥ عدد ٢٦: ''ملك اليهود''. وفي لو ٢٨ عدد ٣٨: ''هذا هو ملك اليهود''. وفي يو ١٩ عدد ١٩: ''يسوع الناصري ملك اليهود''.

ولنا أيضا فيما قال الرب يسوع المسيح نفسه مثال على أن النص إذا أخذ بغير إدراك وتجميع سياق كل ما قيل عن الموضوع الذي يناقشه النص فقد نفقد معناه، بل قد نتوه في هرطقات بغير قصد. فالرب قال ''**أنا والآب واحد**''، فأخذها سابيليوس وقدم بدعته أن أقانيم الثالوث القدوس هم شخص واحد وأقنوم واحد، ولكنه متعدد ومختلف الظهورات. وقال الرب أيضا في موضع آخر: ''**أبي أعظم مني**''، فأخذها آريوس وعلّم أن الآب أعظم في اللاهوت من الإبن !!!

فيجب أن نعلم أن **أي نص مهما كانت قدسيته هو مقدم لنا بلغة بشرية حمّالة أوجه**، ويمكن أن يكون لها عدة تفسيرات لأنها ليست لغة إلهية مطلقة، حتى وإن

كان الرب يسوع هو قائلها، لأنه لم يُرد أن يحدثنا بلغة السماء التي لن نفهمها. ولذا قد قال بنفسه: ''إن كنت قلت لكم الأرضيات [بلغة الأرض] ولستم تؤمنون، فكيف تؤمنون إن قلت لكم السمويات [بلغة السماء]؟'' (يو ٣ عدد ١٢). فالله إذن لا يكلمنا بلغة إلهية مطلقة لا تحتاج لشرح، ولكنه يكلمنا بلغة بشرية قابلة للتفسير والتأويل، وتحتاج لتجميع عناصر ومفردات المواضيع والقراءة في سياق النص الكتابي (الإنجيلى) في كليته وإجماله، والسياق الحضاري والثقافي ليوم قيل أي نص، بغير إجتزاء.

وهذه اللغة أيضا تُنقل لنا من خلال بشر محدودين غير كاملين، حتى وإن كانت، من جهة المضمون والرسالة العامة، ''**موحى بها وملهمة بالروح القدس**'' (٢ تيموثاؤس ٣ عدد١٦ و٢ بطرس ١ عدد ٢١). فحديث الله لنا من خلال البشر يشبه الإرسال التليفزيوني الجيد جدا (الوحي المقدس) ولكنه يصلنا من خلال أجهزة عرض قاصرة (البشر الأنبياء والرسل)، لذا فهذه الأجهزة حقيقة مختلفة في النقاء واللون والوضوح، مع أنها بلا شك تنقل لنا إرسالا إلهيا كاملا ومطلقا في أصله السمائي. لذلك أيضا لم تأت تفسيرات آباء الكنيسة على مر العصور بمعنى واحد فريد ومطلق لأي من كلمات الرب نفسه. و لم تتفق الكنائس على طقس واحد لأي من العبادات، لأن هذه الطقوس كلها، بلا إستثناء، هي متغيرات تقوية نسبية وليست مطلقات.

قانون الإيمان:

لذلك إحتاجت الكنيسة أن تصيغ ''جوهر العقيدة المسيحية'' من جهة **ما نؤمن به أنه مطلق** في ''**قانون الإيمان**'' (الأمانة) والذي بإختصار شديد يؤكد لنا **موضوعي العقيدة:**

أولا:الثالوث القدوس،إعلانه عن ذاته، وعلاقاته وعمله في الخليقة:

أن الله أعلن عن نفسه، من خلال كلمات الرب يسوع المسيح (كلمة الله) ذاتها، أنه **إله واحد في ثلاث أقانيم**، أي الآب والإبن والروح قدس، والثلاث أقانيم هم واحد في الجوهر، وليس في الأقانيم. ويجب أن ندرك بكل وضوح أننا **لا نستطيع أن نعدَّ حسابيا في الله**، لأنه ليس فيه عدد ولا تعداد، كما قال القديس باسيليوس الكبير (هو المالانهاية المطلقة). وإن كنا نعلم أن الله أعلن عن أقانيمه أنهم ثلاث، فهذا الإعلان الرقمي هو فقط ليعين ضعف أفهامنا، وليقرب لأذهاننا البشرية كيف أن كل من الأقانيم له تميزه وفرادته. والعد الحسابي الرياضي جائز فقط لما هو مخلوق ومحدود، لأن ما يمكن عدّه يمكن حدّه وتحديده وحصره، وتكون له بداية ونهاية أيضا. ولكن ليس في الله مادة ولا زمان ولا مكان ولا أجزاء للعد الحسابي. ولو كان مفهوم ''الموحدين بالله'' أن الله شخص واحد أحد صمد، مصمت **عدديا**، لكان هذا تحديدا لله الغير محدود والغير معدود، ولكان الإنسان من حقه أن يدّعي أنه قد أدرك جوهر وكنه الخالق ذاته!!! فإن أعلن الله عن نفسه أن في جوهره الواحد، ثلاث أقانيم فهذا لا يختلف عن لو أنه قد أعلن أن فيه مائة أو ألف أو مالانهاية من الأقانيم (لو جاز القول، فقط لتوضيح أننا لا نعد في الله حسابيا) **فهذا لا يعني الشرك أو تعدد الآلهة، لأن جوهر ألوهيته يبقى واحدا وليس أكثر.**

مَثَلُ الشمس – كيف أن الله واحد وهو أيضا ثلاث أقانيم؟

و قد إستعمل الآباء ''**مَثَلَ الشمس**'' للشرح والتقريب لفهمنا عن: كيف أن الله واحد وهو أيضا ثلاث أقانيم؟ فالشمس هي **نجم مضيء** في الفضاء. ولكن لها **شعاع النور** و**شعاع الحرارة** الدافئة اللذان يصلانا أيضا، بل هما يحملا ويعلنا لنا جوهر الشمس الواحد الذي يشترك فيه النجم والنور والحرارة. ولكننا ندرك جميعنا بلا عناء فكري أن النجم والنور والحرارة هم ثلاثة كيانات متميزة، ولكنهم في ذات الإدراك العقلي شمس واحدة ولها جوهر واحد، وليس النجم

والنور والحرارة ثلاثة شموس. فنحن ننظر النجم في السماء لنقول ''هذه هي الشمس''. ونرى النور يملأ عيوننا فنقول ''هذا النور هو الشمس''. ونشعر بدفء الحرارة فنقول ''الشمس دافئة''. أي أننا نسمي النور الشمس، ونسمي كل من الحرارة والدفء الشمس أيضا. وليس النجم ونوره وحرارته كيانا واحدا بل ثلاثة كيانات (مثل الأقانيم)، كلٌّ متميز عن الآخر بلا إفتراق في الجوهر ولا زمن الكينونة (الوجود) ولا تعددية، لأنهم شمس وجوهر واحد، و لم يسبق أحدهم الآخر في الكينونة. فالنجم لم يكن أبدا بلا نوره أو بلا حرارته، وكذلك النور لم يكن بدون النجم والحرارة، والحرارة لم تكن بدون النجم أو النور.

و علاقة الأقانيم معا ومع الخليقة كلها عبر عنها القديس مكسيموس المعترف بأنها ''**حركة الحب الأزلي**''، ويعبر عنها الشعراء في ترنيمة (لورد أوف ذا دانص) التي أحبها جدا، أي ''**إله الرقصة الأبدية**''، على أن حركة المحبة الأزلية هذه بين الأقانيم والخليقة، هي فرحة ورقصة الثالوث مع الإنسان شبيه الثالوث وحبيبه، بل ومع الكون والخليقة كلها: مع كل دوران ورقص للمجرّات والكواكب وجزيئات الذرة، مع كل سعي وعدْوٍ للإنسان والحيوان لتحقيق إرساليته في الحياة وشبع يومه، مع كل تمتع بما أعطاه الله من حرية للعمل والإبداع والخلق مع الخالق، مع كل شروق وغروب، مع كل دمعة ألم أو فرح، مع كل أنّاتنا وكل ضحكاتنا ... هو يتحرك ويتفاعل ويتشارك ويرقص معنا. إن إلهنا ليس إله الفلاسفة الصامت الثابت بغير حركة ولا تفاعل لأفراحنا وآلامنا، بل هو حقا يتحرك ويرقص متفاعلا معنا. يرقص ويتفاعل مع خليقته، حبيبته كما يعبر الشاعر العبراني في نشيد الأناشيد. هو إله، حرك قلب داود وأوتار قيثارته معبرا عن فرحه بالخليقة (مزمور ١٠٤ عدد ٣١) ويرقص معها في سكر أبدي، ويَسْبَح معها في بحر محبته: في تجسد، في ميلاد، في شقاء، في تألم جلْدٍ، في موت بل في قيامة وفي صعود ... آخذا بيدها راقصا من المذود في بيت لحم للسباحة في نهر الأردن، ومن الوادي صاعدا لجبل طابور، ومن القبر طائرا إلى حضن مجد الآب ذاته.... إله الرقصة الأبدية!

و شركة محبة الثالوث بين الآب والإبن والروح القدس، لم تكن ممكنة لو أن الله واحد أحد مصمت عدديا. لأن **الحب يقتضي وجود المحب والمحبوب معا**، وإلا فمن ذا الذي كان يستقبل الحب من الآب منذ الأزل، قبل الخلق، إن كان الله أقنوما هو ''واحد أحد مصمت عدديا'' بلا محبوب يسكب عليه محبته، إن لم يكن الله ثالوثا أي عائلة حب؟؟؟!!! ومن هذا النموذج للمحبة ينبع كل الخير للخليقة، وكل تعليم إلهي عن كيف نحيا الحياة معا، وكيف، بل ولماذا، نؤمن بكل عقيدة مطلقة لنا. بدون المثال الإلهي الثالوثي للحب، ما كان الإنسان ليعرف الحب ولا الجمال ولا الشركة، بل فقط الفروض والعبودية لإله جبار متجبر، مقيت ماكر، كما يراه بعض البشر ويعبدونه خوفا وطمعا. وقد لخص فلاديمير لوسكي في كتابه ''**اللاهوت السري للكنيسة الشرقية**'' هذه المعاني بقوله:

"**إذا رفضنا إيماننا بالثالوث القدوس كأساس جوهري لكل الحق وكل الفكر الإنساني، فنحن إذن قد إلتزمنا بطريق نهايته العدم ذاته، ننتهي إلى اللاشيء، ننتهي إلى الدمار الكياني الكلي، وهذا هو الموت الروحي.**
بين الثالوث وجهنم لا يوجد خيار ثالث." (منشورات معهد سانت فلاديمير، بنيويوك، ص ٦٦).

وتؤكد الكنيسة على وحدانية الجوهر الإلهي، وذلك لأن الإبن مولود **من الآب** (ميلاد روحاني أزلي غير زمني – غير ميلاده الزمني بالجسد من العذراء القديسة مريم)، وأيضا الروح القدس ينبثق أزليا **من الآب** فقط (وليس من الآب والإبن). أي أن الآب بجوهر ألوهيته الواحد هو **المصدر الواحد** للأقنومين الآخرين (كما تشعل شعلتين من شعلة ثالثة، والشعلات الثلاثة هم **نار واحدة** بالرغم من تميّزهم – نور من نور – إله حق من إله حق). فكل ماهو للإبن وللروح القدس هو نابع ومعطى من الآب. ولذا الثلاث أقانيم هم جوهر واحد، أي إله واحد بسبب وحدانية الجوهر بالرغم من الإعلان عن ثالوثية الأقانيم. وهم واحد في الجوهر لكنهم متميزون عن بعضهم البعض في ''الوظيفة''، إن جاز التعبير للشرح البشري (= الصفة الأقنومية) ،

كما يشرح قانون الإيمان. فالآب ليس هو الإبن ولا الروح القدس في كيانه الأقنومي. والإبن ليس هو الآب ولا الروح القدس في كيانه الأقنومي. والروح القدس أيضا ليس هو الآب ولا الإبن في كيانه الأقنومي. وهم غير مخلوقين، وهم متساوون في الأزلية، أي أنهم لا بداية ولا نهاية لهم — هم كائنون خارج نظام الخليقة كلية.

وهذه الخليقة كلها تتلخص في ثلاث خلائق أو نظم: **المادة والزمن والمكان.** ولم يكن هناك أقنوم قبل أو بعد الآخر زمنيا، لأن ليس في الله زمن، ولا مادة ولا مكان. والثلاث أقانيم متساوون في المجد والقدرة والقوة والكرامة وفي كل الصفات ما عدا الصفات الأقنومية: أي أن الأبوة هي للآب وحده، والبنوة للإبن وحده، والإنبثاق للروح القدس وحده. وقانون الإيمان يعلن لنا سر الثالوث وعلاقتهم معا وعمل كل من الأقانيم بالخليقة: الآب الخالق **يشاء** الخلق. الإبن المخلّص يخلق، أي **يفعل** ويأتي بمشيئة الآب إلى الوجود. والروح القدس المُحيي **يتمم** ويزرع ويهب هذه المشيئة (التي أرادها الآب وفعلها الإبن) للخليقة كلها. وهكذا يشترك كل أقنوم مع الأقنومين الآخرين في **كل** أعمال الله: الخلق، العناية الإلهية، الفداء، تمجيد وتأليه الخليقة... إلخ. ولذا نصلي محدثين العذراء القديسة مريم: ''لأن الآب إختارك (المشيئة) والإبن تنازل وتجسد منك (فعل مشيئة التجسد) والروح القدس ظللك (أتم فعل الحبل والميلاد الإلهي من العذراء، وفي كل نفس بشرية تؤمن بالثالوث القدوس وخلاصه الموهوب لنا)''.

ثانيا: قيامة الأموات وحياة الدهر الآتي:

إننا نؤمن بقيامة الأموات كلهم (أبرار وغير أبرار) وأن للكل حياة أبدية في الدهر الآتي اللازمني، لأن عطية الله هي بلا ندامة، وإن كان مجد كل إنسان يختلف بحسب قول الرب في يوحنا ٣ عدد ١٩-٢٣: ''و هذه هي الدينونة: إن النور قد جاء إلى العالم وأحب الناس الظلمة أكثر من النور لأن أعمالهم كانت شريرة. لأن من يعمل السيئات يبغض النور و**لا يأتي** [الفاعل هنا هو الإنسان ذاته

بحريته] إلى النور لئلا توبخ أعماله. وأما من يفعل الحق **فيُقبل** [الفاعل مرة أخرى هنا هو الإنسان بحريته] إلى النور لكي تظهر أعماله أنها بالله معمولة.''

التعاليم النسبية (= الغير مطلقة) القابلة للتغير بالزمان والمكان في الكنيسة:

أما **كل تعليم بعد قانون الإيمان في الكنيسة** فهو إما إجتهاد بشري لتفسير العقيدة المطلقة المذكورة في قانون الإيمان، أو إرشادات ووعظ لشرح نصوص الكتاب المقدس، أو آراء وأجوبة لأسئلة تفرضها الظروف ومتغيرات الزمان، أو ترتيبات طقسية لنشارك بروح مشتركة في العبادة، أو نصائح سلوكية **قد يغلب فيها** في أكثر الأحيان أثر الحضارة والأعراف والثقافة الإجتماعية التي للمكان والزمان الذي تقدم فيه هذه النصائح، تغلب هذه الأمور في النصيحة على جوهر وصية الرب الإلهية في الكتاب المقدس ذاته أحيانا!!! **كل هذه التعاليم هي إجتهادات بشرية نسبية، غير مطلقة** وقطعا قابلة للتغير، لأنها قابلة للخطأ أو الصواب والتطوير، ويمكن الأخذ منها والرد عليها، بل يمكن قبولها أو رفضها مهما كانت لها صورة التقوى والجودة، وحتى لو دامت مقبولة لأجيال متعددة.

فقد يأتي زمان وندرك أن تفسيراتنا القديمة لم تكن مطلقة الصحة. وكمثال أذكر هنا أن الكنيسة لم ترفض وتقضي على نظام التجارة في البشر العبيد إلا منذ قرن أو إثنين على الأكثر!!! وأيضا كما سأذكر في مقالات أخرى لم تعترض الكنيسة على معاملة المرأة كإنسان من الدرجة الثانية إلا في القرن العشرين. بل ولا يزال البعض يعترض على مساواة المرأة **الكاملة** للرجل في كل الوظائف والخدمات الكنسية!!! هذه قطعا آراء سوف تختفي بتطور فكر الكنيسة ونظرتها للمرأة، لكي تقترب من فكر الكتاب المقدس (ليست المرأة دون الرجل) في القريب بمشيئة الرب. وذلك لأن المرأة خلقها الله ''معينا **نظير** الرجل'' (تكوين ٢ عدد ١٨) أي **مساوية** في المجد والكرامة والعقل وحرية الإرادة والطهارة والقداسة والقدرة على القيادة والتعليم

والإرشاد ... إلخ، وفي كل شيء مثل الرجل، ما عدا التميّز البيولوجي.

وكمثال آخر لتطور تفسيراتنا القديمة وتركها لما هو تفسير وفكر أفضل وأكثر منطقا وحقا: كان اليهودي قديما يتعلم أن الذكر الغير مختتن نجس (= كل ذكور البشر!)، والمرأة النازفة نجسة، والعبيد والمرأة هم أملاك للرجل، وأن أكل الحيوانات النجسة والربا **خطايا**. وهذه النظرة المستنجسة لخليقة الله في ناموس موسى لم تعد كذلك بعد أن ألغاها المسيح تماما كقول دسقولية الرسل، لأنه هو الرب واضع الناموس الأفضل ناموس المحبة وإحترام كل إنسان بلا تمييز وإحترام طهارة كل مخلوق. ولعل هذا الفهم القديم القاصر كان لإنعدام الوسائل الصحية في تربية المواشي وذبحها وطهيها لمنع إنتقال الأمراض من بعضها للإنسان، و''عدم فهم لرجال جهال''، كما تقول الدسقولية (الباب ٣٣). ونحن نعلم أن الله أعلن لبطرس الرسول أن كل ما خلقه الله هو طاهر، ولا يجب أن نصف أي من خلائق الله بالنجاسة، والنجاسة الآن نفهمها مجددا على أنها لا تنتج إلا من شرور القلب فقط. **والآن لا يُحسب غير المختتن ولا المرأة النازفة ولا أكل الخنزير أو الربا (فوائد أرصدة البنوك) أنها أمور لا أخلاقية، أي خطايا.**

فهل تغير الله أو فكره أو إرادته؟ أم تغيرت تعاليمه لنا من عهد لعهد، كما لو كان الله في تعاليمه تغيير وظل دوران، وهو ليس كذلك (يعقوب ١ عدد ١٧)؟ أم هل لنا أن نقبل بالمنطق الأغلب قبولا: أن بعض الوصايا في العهد القديم وناموس موسى، كما كتب عنها بولس لرسول أنها ''**وصايا وتعاليم الناس**'' (كولوسي ٢ عدد ٢١-٢٢)، وليس الله ذاته معطيها ومريدها، حتى وإن بدا هذا سطحيا في نص الناموس الموسوى؟ هل يمكننا أن نقبل أن يكون التفسير الأفضل والذي يتناسب مع تعليم الرب في العهد الجديد: ''**قيل للقدماء ... وأما أنا فأقول لكم ...**'' هو أن الله فقط قد ''**سمح**'' (و لم يأمر أو يشاء أو يدبر) بهذه التعاليم الموسوية البشرية، على مضض، لأسباب حضارية؟؟؟

هذا الرأي والتفسير الذي أقدمه (أن الله ''**سمح**'' فقط لموسى أن يقنن ما أسماه بولس الرسول ''وصايا وتعاليم الناس''، ولكن ''**لم يكن الله هو مصدر الأمر**''

ببيع البشر كعبيد ولا إستنجاس البشر أو أي من الخلائق) يتضح إحتمال صحته بقوة، في شرح الرب عن أمر الطلاق الذي هو ''**إذنُ للشعب من موسى**" **فقط**، وليس أنه كما هو مكتوب في الناموس (تثنية ٢٤ عدد ١) أنه أمر من الله: ''**موسى من أجل قساوة قلوبكم أذن لكم أن تطلقوا نسائكم، ولكن من البدء (في فكر وتدبير الله) لم يكن هكذا**'' (متى ١٩ عدد ٨). أي ليس هذا الطلاق في تدبير وإرادة الله، ولكنه سماح من موسى لأسباب قساوة القلب. فهل يمكننا قبول بعض تعاليم ناموس موسى على هذا المبدأ الإنجيلي الذي نطق به الرب نفسه وبولس الرسول أيضا؟؟؟ قال بولس الرسول: ''تفرض عليكم فرائض: **لاتمس ولا تذق ولا تجس** [و هذه الثلاثة تشكل كتلة كبيرة من ناموس موسى]، التي هي جميعها للفناء في الإستعمال، حسب **وصايا وتعاليم الناس**. التي لها حكاية حكمة بعبادة نافلة وتواضع وقهر الجسد ليس بقيمة ما من جهة إشباع البشرية'' (كولوسي ٢ عدد ٢٠-٢٣).

ولنا أيضا في الحوار الجاري في الكنيسة القبطية في مسألة **قوانين الأحوال الشخصية**، بخصوص تعريف وتفسير ما يعتبر "**علة الزنا**" في شأن الطلاق المقبول كنسيا والتصريح بالزواج الثاني، لنا نموذج يؤيد التفسير السابق (أي **سماح** الله فقط وليس **أمره**، بكل ما ورد في ناموس موسى ولا يتطابق مع تعليم المسيح الذي هو وحده كلمة الآب وإرادته الكاملة الصحيحة والمطلقة). تعريف ''علة الزنا'' يمكن **تحجيمه وتضييقه جدا أو التوسع فيه**، بما لا يعارض تعليم الرب في الكتاب المقدس، طبقا لرحمة المفسر وعلمه وسعة إدراكه لطبيعة البشر. فيمكن تضييق هذا التعريف بصورة متشددة للغاية في الفعل المادي فقط لعلاقة جنسية كاملة، يكون أحد طرفيها في إرتباط زوجي، بل ويكون هذا بشهود لذات الفعل! وقد يُقبل التعريف بتوسع بسيط، بإضافة ما هو زنا حكمي، أي متى وجدت أدلة مسجلة، كتابيا أو صوتيا أو بتواجد مكاني وزمني، أدلة تشير لوجود علاقة جنسية مع آخر خارج الرباط الزوجي. وقد يتسع التعريف اليوم بإدخال الإرتباط الجنسي من خلال الإنترنت بطرف ثالث، حتى بالرغم من عدم اللقاء

مكانيا. وقد تزيد دائرة التعريف لتشمل **كل الأوضاع الإجتماعية التي إن وجدت سوف تصبح في الغالب الأغلب علّة تقود إلى الزنا** لو تركنا الزوجين بالغصب والقهر القانوني بدون طلاق وزواج ثاني، مثل: الأذى البدني والنفسي المستمر من طرف للآخر، أو إستحالة العشرة لأسباب نفسية أو أمراض جسدية (خاصة مع صغر سن الزوجين)، أو المرض المعدي الخطر، أو السجن لعدة أعوام، أو المرض العقلي الغير محتمل شفاءه .... إلخ، من الأسباب التي نعلم أن وجودها غالبا ما سيقود إلى الزنا. فيصح تماما، بقليل من التفكير، وصف وقبول أي من هذه الأسباب والأحوال على أنها: ''**علة تسبب الزنا**'' أي ''**علة للزنا**'' أي ''**علة الزنا**''.

عاشت الكنائس الأرثوذكسية عشرين قرن تقبل التعريفات الأوسع لعلة الزنا، والسماح بالطلاق والزواج الثاني للطرفين قبل أن يسقط أحدهما في الزنا، رحمة بالزوجين وسمعة الأسرة والأبناء إن وجدوا، لأن الرب يريد رحمة لا ذبيحة، ولأن الناموس وُضع من أجل الإنسان وليس العكس، ووُضع لراحة وترتيب خير الإنسان. وُضع الناموس أو القانون كرحمة للإنسان، لا ليكون غصبا وقهرا وقسوة على الإنسان، الذي يعلم الله ضعفه ويقدر أسباب سقوطه، ويريد أن ينقذه من هذه التجارب التي تهلكه. **فالإنسان، بسلطان إبن الإنسان ذاته، هو رب الناموس وليس الناموس هو رب الإنسان**. ولكننا رأينا في الماضي القريب بعض غير المتزوجين، والذين لا يعرفون عن الزواج ومشاكله غير النظريات، من حاول إختصار تعريف ''علة الزنا'' في أضيق المعاني، ظانا أنه بذلك التشدد يقدم خدمة لله، ويُحرص حرصا مقدسا بالتشدد السلفي الأصولي جدا في تفسير وتضييق وتحجيم تعريف ''علة الزنا''. [كقول الرب: تأتي ساعة يظن فيها كل من يقتلكم (**يضيق عليكم**) أنه يقدم خدمة لله].

وكان هؤلاء على وشك أن يدفعوا بأبناء كثيرين للكنيسة إلى ترك المسيح، مقدمين بذلك أعظم خدمة لأعداء المسيح والكنيسة، بإفراغها من أبناء للكنيسة **ومفضلين بقاء الأبرار فقط لا الخطاة**، كما إعترف أحدهم علانية في الأحاديث التليفزيونية بذلك صراحة، مما جعل لميس الحديدي، المذيعة مديرة الحوار، أن تفغر

فاهّا تعجبا وذعرا غير مصدقة لما قيل لها، من أب عن بعض من أبناءه. فهل لأحد، بعد هذا المثل الواقعي، أن يدّعي أنه هو المفسر الوحيد الفريد العالِم بإرادة الله كلها وحده، معتمدا على إدراك ناقص في العلم الطبي والنفسي والزوجي والإجتماعي والإرشادي والمحبة لأبناء المسيح الخطاة ولطبيعة البشر وحكمة الرحمة الإلهية؟!

ليس لأي إجتهاد أو تفسير بشرى عصمة أو قدرة على إلزام المؤمنين بقبوله أو منعهم من رفضه:

وليست آراء وتفسيرات وقوانين البشر الوضعية، **ومنها الكنسية أيضا**، مسلّمات ومنزلّات إلهية، مهما عظمت قامة أو قداسة قائلها أو من رتبها من شخص أو أشخاص. **لقد إنتهى هذا الزمان، زمان التشدد الأبوي القهري، بغير رجعة في جميع المجتمعات المتحضرة عموما**، وفي مصر خاصة، بعد ثورة الخامس والعشرين من يناير. وفي هذا أذكر قول أخوتنا المسلمين: من إجتهد وأخطأ فله أجر، ومن إجتهد وأصاب فله أجران. بمعنى أن إجتهاد البشر في التفسير قابل للصواب كما أنه قابل للخطأ أيضا، وليس من إنسان معصوم من أي خطأ مهما علت قداسته أو رتبته أو علمه. وإذا أخطأ أحد يُرسل الرب، ولو بعد حين، من يصلح ويصحح الخطأ بإجتهاد أدق وإتساع قلب وأفق. أنا أعلم أن هناك من لا يوافقني في هذا الرأي لأنه إعتاد كما إعتاد البسطاء (و من لا يستريحون لإعمال الفكر التحليلى) على قبول كل تعليم من فم الإكليروس، على أنه تعليم منزّل. حتى وإن كان الكثير من معلمي الكنيسة مرشدين بالروح القدس، إلا أن قبول كل تعليم على هذا المبدأ بدون أن نمتحن الأرواح (١ يوحنا ٤ عدد ١) هو توجه خطير جدا، **لأنه يُلبس الإجتهاد البشري ثوب "العقيدة المطلقة"** بدلا من كونه تفسير أو رأي بشري متغير ونسبي. هذا توجه في غاية الخطورة ومدعاة للتخلف وإفساد العقيدة بكل صوره.

تعاليم الرب يسوع المسيح مبادىء مطلقة، ولكن تطبيقاتها هي تفسيرات وترتيب بشري نسبي غير مطلق وقابل للتغيير:

أمثلة:

- **الصلاة:**

الصلاة هي العلاقة والشعور الدائم الفرِح بالوجود في حضرة الرب. أما ما يرتب في طقس العبادة من إجتهادات تقويّة، مثل ما يكتب في الكتب الكنسية الطقسية (مثلا: الخولاجي المقدس، والأجبية، والإبصلمودية، وخدمات الأسرار الكنسية ... إلخ) من صلوات، سواء شخصية أو للخدمات الجماعية، من جهة الكلمات والألحان واللغة، والحركات الجسدية من سجود وقيام وركوع، والبخور والشموع والزيوت، وشكل الخبز ونوع الخمرالذي يقدس، والمشاعر التقوية المعبرة عن محبتنا لله .... فهذه كلها ليست مترلات مطلقة، ويمكن تبديلها أو زيادتها أو نقصانها حسب الإحتياج الزماني والمكاني، ولكن **بإتفاق الكنيسة معا**.

- **الصوم:**

الصوم هو ترتيب وتعليم **مطلق** من جهة **المبدأ الإنجيلي فقط وليس الطقس**. الصوم هو فترة يمتنع فيها الإنسان عن أمور محببة له، كالطعام، **طواعية وباختيار حر بلا فرض أو جبر أو إلزام كنسي**. الكنيسة ترتب مواسم وأوقاتا للصوم. هذا ترتيب جيد، ولكنه لو أصبح فرضا صار قهرا وليس ممارسة محبة حرة. والدليل على هذه الحرية، الواجب توافرها في أي ممارسة روحية حقيقية (و الصوم هنا مجرد مثل) هو أنه يجب أن يكون الإمتناع عن هذه الممارسة غير مصحوب بأي **عقوبة كنسية**، كحرمان غير الصائم من التناول من الإفخارستيا !

العقوبة الكنسية وضعت لأنها قد تردع وتمنع عن الخطية أحيانا، ولكنها لا تستعمل ولا تقنن لكي تمنع الإنسان عن ممارسة أو التمتع بأي شيء طاهر من

خلقة وتدبير الله (مثل الأكل أو العلاقة الجنسية في الزواج). أي **يمكن للقانون الكنسي أن يمنع فقط عمّا هو خطأ، ولكن لا يمكن ولا يصح أن يوضع قانون ليمنع عمّا هو طاهر** ورسمته يد الخالق لفرح الإنسان. فإن أراد الإنسان بناء على إستحسانه الشخصي أن يتخلى عن أمر طاهر مما وهبه الله له – مثل تخلى ناذر البتولية (أي الصوم الدائم للتفرغ للخدمة) عن الحياة الجنسية الطبيعية والطاهرة في الزواج – فهذا إستحسان شخصي حر، وإن لم يستطع إكمال نذره فالزواج قطعا أفضل له من التحرق كما يقول بولس الرسول (١كورينثوس ٧ عدد ٩). ولا يجب توقيع أي عقوبة على هذا الإنسان، كما نسمع من حين لآخر. لأن عقوبة مثل هذه، كما يوضح قول بولس الرسول، هي ضد تعليم الكتاب المقدس مباشرة.

فإذا لم يصُمْ الإنسان بكامل حريته أصبح الصوم إلزاما فارغا وجبرا وفرضا. وهنا تنتفي المحبة التي هي أم كل عبادة وممارسة تقوية. فهل من المنطق أن تكون هناك عقوبة لمن لا يصلي مثلا؟ العبادة والصلاة حب. التعبير عن الحب لو أصبح إلزاما وفرضا يصبح قهرا وكراهية ونفاقا لا يريده الرب ولا الإنسان. رغبة المؤمن في المشاركة مع بقية أعضاء الكنيسة، في أي ممارسة روحية أو عبادة يجب أن تكون مبنية على "**الإستحسان**" الشخصي الإرادي الحر فقط والنابع من المحبة، وليس على الفرض أو إتقاء لعقوبة!!!

في فترة الصوم يمتنع الصائم فيها عن الطعام أو أي شهية جيدة وهبها له الله، على قدر طاقته وبحسب إستحسانه. وهدف وغاية الصوم، ليس هو إسترضاء لله أو تقديم عبادة يطالبنا بها الله، أو تكفيرا عن ذنوب، بل هو " **تقوية وتدريب الإرادة**" على ضبط النفس حتى تصمد بقوة أفضل وقت التجربة، وقد شاركنا الرب يسوع في الصوم بنفسه بحسب طقسه الشخصي. أي يكون المفهوم هو: **لست أنت يا الله المحتاج والفارض لصومي، بل أنا المحتاج لتدريب وتقوية ضعف إرادتي**. ولكن أسلوب وطقس الصوم من جهة مدة الصوم، ونوع الطعام

وكميته، سواء الذي يؤكل أو الذي يمتنع عنه بحرية، هو ترتيب بشري نسبي غير مطلق، ولذا يمكن تغيير هذا الطقس وتطويعه بحسب قدرة الإنسان، أو بحسب **إتفاق الكنيسة** على الزيادة أو النقصان في هذا الطقس من جهة أنواع الطعام والمدة الزمنية والمواسم للأصوام المشتركة.

كتاب أصوامنا بين الماضي والحاضر:

أعتقد أن هذا الكتاب هو أوضح ما كُتب حديثا في الكنيسة القبطية عن هذا الموضوع. وقد قدم هذا البحث القس كيرلس كيرلس راعي كنيسة مار جرجس بخماروية، ونشر عام ١٩٨٢ بعد تقديم المتنيح الأنبا أثناسيوس مطران بني سويف للكتاب. وهو يشرح ويؤكد في صفحة ١٠١:

[التقليد الرسولي لهيبوليتس وهو يسبق أوريجانس (القرن ٢) يؤكد أن ''**أيام الصوم التي ثبتت هي الأربعاء والجمعة والأربعون المقدسة فقط**'']. وفي جدول مطول يوضح أن في القرون الـــ ١١ الأولى كانت الكنيسة القبطية تصوم الأربعين المقدسة مدة ستة أسابيع (لمدة خمسة قرون) ثم سبع أسابيع (قرن ٦-١١) وكانت تأكل الأطعمة النباتية فقط، من السادس للـــ ١١، وإن كانت نوعية الأطعمة حتى القرن الخامس غير معروفة. ولم يكن لأسبوع هرقل أي ذكر. وكان صوم الميلاد حتى القرن العاشر في كنيستنا يوم واحد. وعن صوم الرسل حتى القرن العاشر: رغم وروده بالدسقولية لمدة سبع أيام إلا أن أوريجانس وأثناسيوس الرسولي لم يوردوه. أما صوم نينوى فقد فرضه البابا مار إفرام السرياني على الكنيسة القبطية من القرن العاشر، مقابل صوم السريان لأسبوع هرقل مع الأقباط. وأما صوم العذراء فلم يوجد في الكنيسة القبطية قبل القرن ١٣.

طريقة صوم الكنيسة حتى القرن الخامس

(صفحة ٧٣ من كتاب أصوامنا بين الماضي والحاضر):

[يصف المؤرخ الكنسي سقراط (القرن ٤-٥) الكنيسة ونوعية الطعام في هذه الفترة فيقول عن الصوم الكبير: ''... يستطيع الإنسان أن يلحظ إختلاف

الأمر فيما يختص بأسلوب الإمتناع عن الطعام، كما هوالحال بالنسبة لعدد الأيام، فالبعض يمتنع تماما عن كل ما له حياة ... البعض الآخر يأكل السمك فقط دون الأحياء، والبعض الآخر يأكل السمك كما يأكل الطيور ... البعض يمتنع عن أكل البيض وجميع أنواع الفواكه، والبعض ياكل الخبز الجاف فقط، وآخرون لا يأكلون حتى هذا، بينما البعض الآخر بعد أن يصوموا حتى الساعة التاسعة من النهار **يأكلون أي نوع من الطعام بدون تمييز**، وبين الأمم المختلفة، توجد ممارسات مختلفة لأسباب لا تعد ولا تحصى. ولما كان لا يستطيع أحد أن يقدم وصية مكتوبة كحجة، فمن الواضح أن الرسل تركوا الأمر في هذا الشأن إلى **الحرية الفردية**، بهدف أن **يمارس كل إنسان الصوم دون ضغط أو إضطرار.**''] (Nicene and Post N. Fathers, Second Series, Vol. II, book 5: chapter 22).

عن الصوم والعلاقات الزوجية صفحة ١٩٥

بعد أن أكد أبونا كيرلس كيرلس قول دسقولية الرسل في الباب ٣٣ ''فالرجل والمرأة إذا عرفا بعضهما بعضا في الزواج، فلا يحرصا على الإستحمام الطقسي، بل ليصليا ولا يستحما **لأنهما طاهران**''، عاد وكتب: ''فلابد للمتناول أن يكون صائما تسع ساعات على الأقل مهتما بالطعام الباقي للحياة الأبدية''. ونحن نعلم أن هذا الطقس الإستعدادي لمقابلة الرب لم يأت ذكره إلا في العهد القديم وليس في الجديد، لا في تعليم الرب ذاته في البشارات الأربعة، ولا في بقية أسفار العهد الجديد. هذا الحرص والإمتناع الغير مفهوم مصدره، يبدو أن مصدره الوحيد هو **إستنجاس العلاقة الجنسية** في تلك الأزمنة (إما تهودا بحسب تثنية العهد القديم، والتي أبطلها المسيح كما تعلمنا دسقولية الرسل، أو إتباعا للتعليم الغنوسي — راجع المقالة الرابعة خاصة ما جاء في الدسقولية الرسولية).

حتى ولو حاول مروجو هذا الصوم الإجباري، والذي يُعاقب من لا يتبعه (إلا لسبب قهرى)، بحرمان مؤقت من التناول، إخفاء هذا ''**الإستنجاس**'' تحت عبارة أن العلاقة الزوجية هي ''**فطر**''، فهو يُعلّم ما لم يُعلمه العهد الجديد كله، خاصة ما صنعه الرب بشخصه يوم تأسيس هذا السر. أما في العهد القديم فكانت

العلاقة الزوجية تحسب نجاسة، بصورة صريحة، وكانوا في ناموس موسى مفروضا عليهم الإمتناع عنها ثلاثة أيام قبل لقاء الرب مع الشعب. ولا أعلم، ولم أقرأ أبدا، كيف يُحسب تدبير الجنس في الزواج، والذي دبره الله ذاته، نجاسة، أو فطرا يمنع من لقاء الرب والإتحاد به!!! وو اضح جدا أن **الرب يسوع المسيح وأسفار العهد الجديد لم تُلزم المتزوجين بصوم إستعدادي عن الطعام ولا عن العلاقة الزوجية قبل التناول.** ولو كان هذا الحرص، الغير إنجيلي، من إرادة الله لكان الرب يسوع قد أوصى تلاميذه به قبل أن يتناولوا من جسده ودمه، ولكنه لم يفعل. بل شكر وبارك وقسم وأعطى جسده ودمه لهم **بعد العشاء مباشرة** ... كما لو كان يعلم ما سوف يتم تغيره لاحقا للمزايدة على تعليمه الإلهى!

ثم يذكر لنا كتاب أصوامنا بين الماضي والحاضر(صفحة ١٩٦) ما هو أكثر تشددا، في إطالة مدة الإمتناع عن العلاقة الزوجية المقدسة قبل وبعد التناول في تاريخ الكنيسة، بصورة تكاد تتناسى طبيعة الزواج، وأن العفة فيه هي بالعطاء الجنسي الكامل تعبيرا عن الحب الزوجي، وليس بالإمتناع عن العلاقة الزوجية: " ليكن لكل واحد إمرأته ولكل واحدة رجلها. ليوف الرجل المرأة حقها الواجب وكذلك المرأة أيضا الرجل ... لا يسلب أحدكم الآخر إلا أن يكون على موافقة إلى حين." (١كورينثوس ٧ عدد ٢-٥)، أي ليس من حق أحد أو قانون أو مجمع أيا كان، أن يتدخل في علاقة الزوجين إلا **هما فقط، بإتفاق وإلى حين** يوافق الإثنان فقط عليه:

ويكمل الأب كيرلس كيرلس: "و يستحب أن يمتنعا عن بعضهما البعض ثلاثة أيام، قبل تناول القربان **كما أمر الله بني إسرائيل** [هذا هرطقة تهود لا غش فيها] ... والصوم يوم التناول ... ومن بعد فراغ ذلك اليوم الذي يتناولان فيه القربان الليلة الأخرى" ! أي **أصبح الفرض الغير إنجيلى: هو الإمتناع عن العلاقة الزوجية خمسة أيام لكل تقرب من الإفخارستيا!!!** فلماذا إذن يتزوج الكاهن الذي يرفع الذبيحة مرتين كل أسبوع؟! وأضف على هذا، فرض الإمتناع ثلثي السنة لكل المؤمنين بسبب بقية أصوام الكنيسة القبطية، إن كنت

تحسبها ''مفروضة''. هل يعقل هذا؟!!! هل يعقل أن هذه الفروض ترضي الله الذي خلق الجنس طاهرا في الزواج مثل كل نشاط يومي؟؟ ولماذا هذا المنع فقط من الجنس في الزواج، وليس المنع عن أمور طاهرة أخرى مما هي ''مستحبة''، إلا لأن هناك من تهودوا وعادوا لناموس موسى والتعليم الغنوسي المانوي في الكنيسة، وهذا ضد دسقولية الرسل، والمنطق السوي وطبيعة الإنسان، كما أرادها الله. وأيضا يبدو أن هذا المنع هو لأن بعض **الغير متزوجين** لا يفرق عند بعضهم تكثير كثرة أحمال البشر، ما دام الآمر لن يشارك في الأحمال الثقيلة، ويأمر تحت ستار خاطىء من التقوى والنسك والروحانية، التي هي هنا بلا أساس إنجيلي أو إلهي، يمكنه أن يزيد الإنسان تقوى.

ثم يذكر لنا الكتاب ما يؤكد تفسيري السابق أعلاه (أن بعض الغير متزوجين يُحمّلون المتزوجين أحمالا صعبة، ماداموا لن يشاركوا في حملها)، ويقول في صفحة ٢١٣:

[ثم جائت بعد ذلك ثاني **محاولة لتعديل الأصوام** في القرن العشرين، وقبل قرار الكنائس الشرقية (بأن تُراجع الكنائس الشرقية نظم الصوم عامة، وعدد أيام الصوم – عام ١٩٦٥) بعشرة سنوات، حين أراد المجمع المقدس القبطي في أيام المتنيح البابا يوساب الثاني أن يعدل الأصوام في الكنيسة القبطية، لأنها أكثر من أصوام أية كنيسة أرثوذكسية أخرى، وكما يقول أحد أعضاء المجمع المقدس المعتبرين والمشهود لهم: ''أن **الكل قد وافق على التعديل، ماعدا ثلاثة من الآباء الأساقفة**، وهؤلاء الثلاثة كانت لهم ظروفهم الصحية الخاصة التي تمنعهم عن الصوم. وقد أصر الثلاثة على أن تكون الأصوام كما هي متذرعين بالقول بأنه (كما تسلمنا الأصوام نسلمها)، وإنتصر الثلاثة حيث وافق الآخرون **خوفا من الإتهام بين الشعب** بتغيير عوائد الكنيسة، على الرغم من إقتناعهم جميعا بضرورة التعديل.'']

الصوم الإستعدادي الإلزامي لمدة تسع ساعات قبل التناول هو من **الترتيبات البشرية الواضحة جدا** أنها لا تتفق مع ما ورد في الكتاب المقدس من طقس رتبه الرب يسوع المسيح نفسه. واضح جدا في الإنجيل المقدس وصلاة القداس

في كنيستنا أن الرب قد أسس وصنع وقدم سر الشكر (الإفخارستيا) ''**بعد العشاء**''مباشرة مع التلاميذ، وليس قبله، وبدون أي صوم إلزامي أو إستعدادي، أو أي تعبير وتفسير آخر لهذا الصوم مما يستعمله المدافعين عن الطقوس ''**المفروضة**'' و''الملزمة'' في الكنيسة. هذا التعليم، عن الصوم الإستعدادي بصورة ضرورية (و إنعدامه يُحسب خطية بحسب فكر المتشددين!) أو لئلا يصبح المتناول ''**مجرما وغير مستحق** لجسد الرب ودمه''، كما يفسر ويطالب المتشددين، هذا التعليم ليس جوهريا ولا أصيلا في الكنيسة. وعلى أية الأحوال ليس من مخلوق ''**مستحق**'' التناول من الجسد والدم الأقدسين.

و حديث الرسول بولس عن من يصبح ''**مجرما**'' في جسد الرب (١ كورينثوس ١١ عدد ٢٧) **ليس هو لعدم الصوم ولا حتى الخطايا عموما**، ولكنه كان يتكلم عن موقف واحد محدد، وهو عن الغني الذي يأتي إلى الكنيسة للتناول، وأثناء الأكل في الكنيسة، قبل التناول، **كان الغني يأكل ويشرب والفقير يجوع**. وهذا معناه عدم المحبة والإكتراث بمشاعر القريب الفقير، ومن ثم يكون هذا الغني الفاقد للحس الأخوي وآلام أخوه الجائع لا يحترم معنى التناول، والذي هو جوهريا إتحادنا بالحب مع بعضنا البعض ومع الرب من خلال جسده ودمه. ونحن نعلم جميعنا أن الكنيسة لا تمنع المرضي والأطفال الصغار الغير صائمين عن التناول من الإفخارستيا. ولا تمنع الكنيسة الخطاة (المعترفين للرب والذين يجاهدون بالرغم من تكرار سقوطهم) من التناول، لأن الرب لم يضع أي **مانع للتناول** من جسده ودمه إلا الخصومة وإنعدام الصلح الكامل (متى كان قرار الصلح في مقدرة ويد المتقدم للتناول) مع كل إنسان. إذن نقص المحبة وتقدير فقر الأخ الفقير وجوعه، وإنعدام التعاطف معه ومع مشاعره، هذا هو سبب ''**إجرام**'' المتناول ''**بغير إستحقاق**'' لإنعدام أو نقص محبتة للقريب الفقير. هذا ما كان يقصده الرسول بولس بعدم الإستحقاق والإجرام في جسد الرب **وليس عدم الصوم**.

لذلك كتبت وأكرر أننا نحتاج أن نميز بين ما هو مطلق وما هو نسبي متغير. **الإستعداد الوحيد المطلق للتناول**، والذي تكلم عنه الرب بفمه الحلو هو

''**السلام والصلح الكامل مع كل إنسان**'' (متى ٥ عدد ٢٣-٢٤) أي الصوم عن الكراهية والعداوة، وليس الطعام. وهذا ضمنا يعني التوبة الدائمة عن أخطائنا تجاه الآخرين، والتوبة تعني ضمنا أيضا إعترافنا جميعا بالإيمان وبأننا خطاة مزمنين في الخطية، لكن نحيا حياة التوبة المجاهدة، التي حينا تنتصر وحينا تسقط. ليس لنا رجاء ولا إستحقاق للـ "**إتحاد" بالرب** إلا بالـ "**إتحاد**'' بالإنسان، كل إنسان، بالقلب النقي المحب. ولذا وجب السلام والصلح الكامل، وإلا لا يصح التقدم للتناول. فكيف ندّعي أننا نحب الله الذي لا نراه، ونحن لا نحب أخوتنا الذين نراهم؟ هذا كذب مقيت كما يؤكد يوحنا الحبيب (١ يوحنا ٤ عدد ٢٠). أما الصوم عن الطعام أو عدمه فلايجب أن يمنع من الإتحاد بالرب – بحسب إنجيل ربنا يسوع المسيح – إنما هو إستحسان شخصي لا فرض، أو قل هكذا يصح فهمه. هكذا يؤكد بولس الرسول أنه لا يجب أن ''يحكم عليكم أحد في أكل أو شرب أو من جهة عيد أو هلال أو سبت ... إذاً، إن كنتم قد متم مع المسيح عن أركان العالم، فلماذا تفرض عليكم فرائض ... التي هي جميعها ... **حسب وصايا وتعاليم الناس.**'' (كولوسي ٢ عدد ١٦-٢٢)

• مؤهلات من سوف يُرسم أسقفا:

كتب بولس الرسول لتيموثاؤس: ''فيجب أن يكون الأسقف بلا لوم، **بعل إمرأة واحدة**، صاحيا عاقلا محتشما ... يدبر بيته حسنا، له أولاد في خضوع بكل وقار. إنما إن كان أحد لا يعرف أن يدبر بيته فكيف يعتني بكنيسة الله. ... ويجب أن تكون له شهادة حسنة من الذين هم من خارج لئلا يسقط في تعيير وفخ إبليس.'' (١ تيموثاؤس ٣ عدد ٢-٧). إذاً يجب أن **يكون متزوجا، وربى أولاده حسنا، ومشهود له بأنه يدبر بيته حسنا**، بشهادة من هم من خارج الكنيسة قبل من هم من داخلها.

هل هذا التعليم مطلق أم نسبي؟ لو كان مطلقا ما كانت الكنيسة تستطيع أن تتجاوزه وترسم غير المتزوجين أساقفة. ولو قبلنا أن هذا التعليم الرسولي نسبي فلماذا لا ترسم الكنيسة إذاً من هم علمانيون أو كهنة متزوجون أو البتوليون سواء كانوا رهبانا أو علمانيين؟ **من الواضح جدا أن الكنيسة لسبب الإضطهادات فضلت أن تعتبر رأي القديس بولس إستشاريا** و لم تجد أي غضاضة من أن تضعه جانبا وترسم البتوليين. ولكن لماذا لا نوافق الآن على رسامة المتزوجين سواء كانوا كهنة أو علمانيين للأسقفية؟ أليس المتزوج في أيامنا هو من تنطبق عليه المؤهلات التي كتبها بولس الرسول؟ وهل كتب بولس الرسول هذه المؤهلات جزافا أم أنها لضرورات قد وضحها أيضا؟ سمعت أنه كان في تاريخ الكنيسة القبطية أساقفة متزوجين حتى القرن التاسع عشر، فلماذا لا ننظر في هذا الأمر مرة ثانية؟ مجرد إقتراح. أليس المتزوج المُجرَّب بمسؤليات الزواج وتربية الأبناء أقدر على أن يعين المتزوجين المجرّبين مثله؟!!

ثم نأتي لموضوع الزوجة الواحدة للأسقف أو الكاهن: أيام بولس الرسول في الإمبراطورية الرومانية كان يحق للرجل زوجة واحدة مع تعدد السراري والعشيقات. أيضا كانت عند اليهود عادة تعدد الزوجات (بل وملك اليمين من سبايا الحرب) أمرا طبيعيا، مثلما فعل الآباء الأولين، إبراهيم وأبناءه، والملك داوود والملك سليمان. ولا أعتقد أن إنضمام من كان له أكثر من زوجة من الوثنيين أو اليهود للكنيسة ممنوعا، ما دام هذا الوضع كان سابقا لإنضمامه للكنيسة. ولا أذكر أنني قرأت أن الكنيسة كانت تطالبه بطلاق من زدن عن واحدة. فهل كانت وصية بولس الرسول تعنى:

+ ألا يُرسم للأسقفية المؤمن الذي له أكثر من زوجة واحدة **وقت** إختيار الشعب شخصا للأسقفية؟ أم
+ هل كان الرسول يعني إمرأة واحدة في **الآن الواحد** لمن سوف يُرسم أسقفا، ولكن لم يمانع بولس الرسول في زواج هذا الأسقف مرة ثانية لو ماتت إمرأته، أو حتى رسامته لو كان قد ترمل سابقا ثم أصبح معه **زوجة ثانية واحدة** عند الرسامة ؟ أم

+ هل كان الرسول يقصد إمرأة واحدة **طيلة حياة** هذا الأسقف المتزوج، حتى لو ماتت إمرأته قبل أو بعد الرسامة، فيجب ألا يتزوج أو يكون قد تزوج مرة ثانية؟

قال بولس الرسول: أن المرأة ''إن مات زوجها فهي **حرة لكي تتزوج بمن تريد** في الرب فقط.'' (١ كورينثوس ٧ عدد ٣٩). وأعتقد أن هذا ينطبق على الرجل الذي ترمل أيضا. لكن الكنيسة الآن تمنع الكاهن المتزوج (بل والآرشدياكون وحتى الدياكون) والذي ترمل من أن يكون حرا يتزوج ثانية بمن يريد في الرب فقط!!! لماذا؟ هل الزواج الثاني غير مقدس؟ قطعا بولس الرسول لم يفكر هكذا في قوله عن زواج الأرملة بمن تريد في الرب، خاصة وأنه كان فريسيا يهوديا والزواج كان واجب ديني عند اليهود لكي لا يتوقف النسل الذي سيأتي منه المسيا. وأيضا بالأحرى زواج الفريسيين. لذلك يتساءل بعض الدارسيين إن كان بولس الرسول في ماضيه متزوجا ثم ترمل، لأنه من غير المألوف ألا يتزوج الفريسي – هذه تكهنات بدون أدلة لكنها تعكس التقاليد اليهودية أيام بولس الرسول.

الأثر الغنوسي وليد الفكر الأفلاطوني:

لماذا إذاً لم يستحسن بعض اليونانيين في القديم الزواج الثاني، حتى بعد الترمل، ومن ثم إنتشر هذا التعليم في الكنيسة عن عدم زواج الأسقف أو الكاهن المترمل، مع أن اليهود لم يكن عندهم هذا الرفض للزواج سواء بالتعدد أو بعد الترمل؟ السبب الوحيد الذي يمكننا إستنتاجه كرد على هذا السؤال هو: أن **الأثر الغنوسي وليد الفكر الأفلاطوني** كان متفشيا في أيام بولس الرسول في اليونان وما حولها (راجع المقالة الرابعة). وكان هذا الفكر الأفلاطوني والغنوسي **يستنجس المادة كلها عموما**، والجسد بإحتياجاته البيولوجية والنفسية خاصة، **وبالأخص جدا العلاقة الجنسية** حتى بين المتزوجين، ويستنجس أكل اللحم وشرب الخمر. باختصار شديد **كانوا يستنجسون كل ما له علاقة باللذة أو المتعة البيولوجية أو النفسية للإنسان** بكل ما عندهم من قوة ومنطق فاسد ملتوي

ينجس ما خلقه الله بيديه الطاهرتين. وكان هؤلاء الغنوسيين، وبعدهم المانويين (أتباع ماني الفارسى)، ينظرون إلى **هذه الأمور والمتع البيولوجية على أنها سبب هلاك الإنسان**. وأن الذي يسعى لخلاص نفسه يجب عليه إحتقار المادة والجسد وكل هذه الدوافع الجسدية، والجهاد ضدها حتى تنجو نفسه بعد الممات من العذاب. فالجسد يحارب الروح، والروح تحارب الجسد، وكل دوافعه البيولوجية والنفسية، حتى تنجو الروح في الآخرة. وواضح أن الفكر الغنوسي المانوي قد تفشى في بعض كتابات آباء الكنيسة، وفي نساك الصحاري المصرية، كما هو واضح في كتابات مثل بستان الرهبان ونظرته للجنس الإنساني والمرأة. وسوف نناقش هذا التاريخ موثقا في فصول أخرى من الكتاب (المقالة الرابعة).

و الدليل على صحة هذا التاريخ أن أهل كورينثوس في رسالة بولس الرسول الأولى لهم، كانوا في بداية الإصحاح السابع يسألونه **إن كان من الممكن أو الأفضل الإبتعاد كلية عن الجنس، حتى في الزواج**، أم لا؟! ويبدو أن هذا هو الإحتمال الأكبر لقراءة العدد الأول من هذا الإصحاح. وذلك لأن إجابة بولس الرسول على سؤالهم، من العدد الثاني وما بعده، هي إجابة تحاول جوهريا الرد برفض إقتراحهم، بأن يمتنع الرجل والمرأة المتزوجين عن العلاقة الجنسية المقدسة. ولكنه كان يحاول ألّا يواجههم بالنقد الصريح والمواجهة المباشرة، حتى يكسبهم. فكان يعظهم كأب خائف عليهم من الزنا والشيطان. ولكنه يؤكد لهم أنه، وإن كان يهوديا فريسيا يقدس الزواج جدا، ولكنه ليس رافضا للبتولية إن كانت "**كما أنا**" (عدد٧)، **أي للتفرغ للخدمة، للأسباب الآتية فقط وليس لتميّز البتولية بصورة مطلقة:**

+ "**لأن الوقت مقصَّر**" (عدد٢٩) ومجيء المسيح على الأبواب سريعا جدا، كما كانت الكنيسة تعتقد حينئذ، فيجب التركيز على الكرازة وبسرعة.
+ والسبب الآخر لقبول بولس الرسول للبتولية: "**لسبب الضيق والإضطهادات**" (عدد ٢٦-٢٨) لأن المضطهِدون كانوا يهددون المتزوج بتعذيب زوجته والعكس، أو تعذيب الأبناء.

و كان أهل كورينثوس يتحججون بأنهم محتاجون لخلوة روحية للصلاة والصوم،

فيترك أحدهم شريك حياته لمدد طويلة بحجة النسك، حتى لو لم يكن السلب والترك بموافقة الطرف الآخر. وكان هذا يقود أناس منهم للزنا. وهذا هو السؤال منهم وبداية جوابه من بولس الرسول:

[أما من جهة الأمور التي كتبتم لي عنها: "**فحسن للرجل أن لا يمس إمرأة.**" **ولكن** لسبب الزنا ليكن لكل واحد إمرأته ولكل واحدة رجلها. ليوف الرجل المرأة حقها الواجب وكذلك المرأة أيضا الرجل ... لا يسلب أحدكم الآخر إلا أن يكون على موافقة إلى حين، لكي تتفرغوا للصوم والصلاة، ثم تجتمعوا أيضا معا لكي لا يجربكم الشيطان ... ولكن **أقول هذا** [الإمتناع المؤقت بالتوافق]**على سبيل الإذن لا الأمر**(عدد ١-٦) ... **لأن التزوج أصلح من التحرق** (عدد٩).]

الترقيم بأقواس الإقتباس والكولون (العلامة الفاصلة المنقوطة بنقطتين)، والذي يرجح نسب السؤال في الـــعدد الأول من الإصحاح للكورينثوسيين في نسخات الكتاب المقدس الحديثة، لم يكن موجودا في الكتاب المقدس قبل خمسين عام. وبالرغم من هذا يُرجح الدارسون الذين يوافقون على الترقيم أن كلمة "**و لكن**" التي بدأ بها بولس الرسول رده في العدد الثاني، بصورة تستنكر نص عبارة الطلب المذكور في العدد الأول، ترجح جدا أن بولس الرسول يصعب أن يكون هو مقترح نص العدد الأول، ثم يتقدم وينصح بفكرة مضادة في العدد الثاني وبقية الإصحاح. والمعروف أيضا عن بولس الرسول أنه يقدس الزواج إلى أبعد مدى، وإلا فلماذا شبّه علاقة المسيح والكنيسة (أقدس علاقة في الوجود) بعلاقة الزوج وزوجته؟

الفارق بين معانى: العقيدة والتفسير والرأي والتعليم والطقس ...غير واضح عند كثيرين:

إذا لم نميز بدقة بين كل من هذه الكلمات المذكورة في أي حوار أو دراسة، وتعريف كل منها على حدة ، وبدلا من ذلك نضعها كلها في "**كوكتيل**" واحد إسمه "**تعليم الكنيسة**"، فنحن في خطر رهيب ككنيسة. **هذا الخلط بين ما هو "ثوابت مطلقة" أي "العقيدة" وما هو متغير ونسبي وغير ثابت أي "الرأي**

والتفسير والطقس" في كوكتيل واحد، هو أهم مصدر وسبب لكل صراع بين اللاهوتيين المختلفين في التفسير وليس العقيدة، وبين بعض الإكليروس المتسلطين والعلمانيين، على مدى القرون. فإذا إختلف علماني مع شخص من الإكليروس في الرأي، إتُهِمَ العلماني بأنه ينكر تعليم الكنيسة (أي رأي شخص الإكليروس حقيقة)، ويكون العلماني بذلك محسوبا من الهراطقة، الذين كانوا يحرقونهم أحياء (في العصور الوسطى في الغرب) للدفاع عما أسموه "تعليم الكنيسة"، وهو حقيقة رأي شخصي لبشر، يمكن مراجعته. وأحيانا يستعمل المدافعون، بغير وجه حق، عن رأي الإكليروس أيا كان، بالعبارة الغير إنجيلية والشهيرة جدا: "إبن الطاعة تحل عليه البركة" وهم يقصدون قطعا الطاعة العمياء – السمع والطاعة!!!

و لكن **إذا إستطعنا أن نفصل بين "العقيدة" و"الرأي والتفسير"، يمكننا الحوار العاقل والراقي بدون تكفير أو تخوين.** يدّعي البعض أن عبارة "من فم الكاهن تطلب الشريعة" هي أمر إلهي مطلق وليس له إستثناء، كما لو كان الكاهن معصوما من الخطأ في التفسير والتعليم بسبب المركز الوظيفي ولأنه من أهل الثقة، حتى لو لم يكن من أهل المعرفة والكفاءة. وعادة يعني مقتبس العبارة أن العلماني ليس له أي حق في إبداء رأي مخالف لأي من الإكليروس. بل ويتهم مروجو هذا الفهم الخاطىء، عن عصمة تعليم الإكليروس النسبية مقابل تعليم العلماني، أن **نقد الإكليروس هو خطية!!!** محرفين معنى قول الكتاب أن "رئيس شعبك لا تقل فيه سوء" (أعمال ٢٣ عدد ٥).

بل ويروج أيضا بعض أصحاب منطق "العصمة، ولو نسبيا، لفكر الإكليروس"، شعوريا أو لاشعوريا، أن هذه **العصمة تزداد كلما إرتفعت رتبة الإكليروس** صاحب التفسير أو الرأي. فالحق والصحة التفسيرية قد تسكن في رأي الشماس، حتى لو كان قليل العلم، أكثر من العلماني المتعلم. ورأي الكاهن قطعا أعلى في صحته من رأي الشماس. ونتدرج لأعلى، فيكون تباعا رأي الأسقف أصح من رأي أي كاهن. أما رأي رئيس الأساقفة فلا تعديل عليه، فهو

يمثل قمة إدراك الحق والصحيح من الرأي والتفسير، في عقول هؤلاء التابعين بغير تمييز. نسأل الرحمة والمغفرة لعُبّاد البشر.

قال لي أب كاهن متنيح، معلقا على مبدأ علو العصمة نسبيا مع علو الرتبة الكنسية: [يبدو أن البعض يظن أن للكاهن جرعة مضاعفة من الروح القدس ومواهبه بالمقارنة مع العلماني، وأن للأسقف جرعة مضاعفة مما للكاهن، أما رئيس الأساقفة .... . إنما الروح القدس هو هو في كل بشر مؤمن، وهو المالانهاية. ولذلك لا يمكن تقسيمه أو توزيعه بقدر أعلى أو أقل. هذا تماما كما نؤمن أن كل ذرة من الخبز المتحول لجسد الرب في الصينية على المذبح هي جسد المسيح كله، ونسميها "جوهرة" من جسد المسيح، **وفيها يحل كل ملء اللاهوت جسديا (ماديا) ولانهائيا.** فليس إذن لمتناول نصيب أكبر أو أقل من جسد الرب عن غيره، مهما كبر أو صغر حجم اللقمة التي يتناولها! هكذا يعطي الرب من روحه للجميع بلا ندامة أو تعيير أو تفضيل أو محاباة لمركز أو رتبة! كل مؤمن معتمد ومتناول من الإفخارستيا قد حل فيه وإتحد معه الثالوث القدوس بلا تجزئة ولا نقصان.]

و لكن من الواضح في موقف الرب ورده عندما لُطم من عبد رئيس الكهنة ظلما، أثناء محاكمته " **إن كنت قد تكلمت رديا فإشهد على الردي، وإن حسنا فلماذا تضربني؟**" (يوحنا ١٨ عدد ٢٣)، وأيضا موقف بولس الرسول أثناء رده القاسي "**سيضربك الله أيها الحائط المبيض**" على رئيس الكهنة عند محاكمته (أعمال ٢٣ عدد ٣)، أن **الدفاع النقدي ليس خطية لأنه ليس إفتراء بل إعلان حقيقة. أما قول السوء فهو الإفتراء بغير دليل** وليس النقد المؤدب أو إختلاف الرأي إفتراء، كما يحاول المدافعون عن الإكليروس المتشدد إيهامنا، لتشويه رأي أي علماني معارض أو منتقد بوجه حق وبدون إفتراء.

والقراءة الكاملة للمكتوب في سفر ملاخي النبي تقول أنه وإن كانت الشريعة

مفترضا أن تكون في فكر وفم الكاهن، إلا أنه لو حاد الكاهن عن الطريق (أي الفهم والتفسير المستنير)، فهو يُفسد ويقطع هذا العهد بين الله وسبط لاوى: ''لكون عهدي مع لاوي قال رب الجنود ... شريعة الحق كانت في فيه .... **ومن فمه يطلبون الشريعة .... أما أنتم فحدتم عن الطريق** وأعثرتم كثيرين بالشريعة. **أفسدتم عهد لاوي** قال رب الجنود. **فأنا أيضا صيرتكم محتقرين ودنيئين** عند كل الشعب كما أنكم لم تحفظوا طرقي بل **حابيتم في الشريعة.**'' (ملاخي إصحاح ٢ عدد ٤-٩).

وتقول الدسقولية الرسولية ذات الكلام للأسقف والعلمانى:

[فإحذروا أن تكونوا آخذين بالوجوه، ... لئلا تلقوا أحدا للحكم بغير حق، ولا تساعدوا الأشرار. لأن الويل لمن يقولون إن الشر خير والخير شر، والمر حلو والحلو مر، الذي يجعل النور ظلاما والظلام نورا. لأنكم إذا طرحتم آخرين للحكم بظلم، إعلموا **أنكم تجلبون القضية (الحكم الذي تحكمون به) من ذاتكم عليكم**، وكما تدينون تدانون.] (الدسقولية، الطبعة الثانية، تقديم د. وليم سليمان قلادة، ص ٤٩٢، الفصل ٨، ''من أجل أنه يجب على الأسقف أن يمتحن كل كلام بالبر والعدل.'')

وتؤكد السقولية أن **الكنيسة لا تعلم الطاعة العمياء للقادة**، بل تأمرنا بعدم إطاعة ''الراعي الشرير'' بل علينا التحقق من شره، مؤكدة أن الشعب يجب أن يهرب منه:

[فإذا كان الأسقف في عثرةأيضا (مخالفا أو خاطئا أو سبب عثرة) فبأي نوع (كيف سيكون بعد قادرا على أن) يفحص أو يسأل عن خطية شخص آخر. ... لأن خرافي وكباشي (خليقة عاقلة وليست غير عاقلة) – لكي لا يقول العلماني إني خروف ولست براع وليس لي عمل. لأن الخروف إذا لم يتبع الراعي الصالح، فهو يكون طعاما للذئاب ليهلكوه – فهكذا أيضا من يتبع الراعي الشرير، موته

ظاهر قدامه، وهو يهلك من قبله. لأجل هذا يجب علينا أن نهرب من الرعاة المهلكين.] (المرجع السابق، ص ٤٢٤ و٤٣٢، الفقرات ٩ و٣٠، الطبعة الثانية، تقديم د. وليم سليمان قلادة).

تعريفات هامة

• العقيـدة:

هي إيماننا الثابت الغير متغير، **بإعلان الله لنا عن طبيعة وعلاقة الله والإنسان والكون**، هي الدوجما كما لخصتها الكنيسة في **قانون الإيمان**. وقانون الإيمان يلخص لنا "**التقليد الكنسى**" المسكوني، أي الجامع لكل الكنائس. والتقليد الكنسي هو التسليم الرسولي عن حياة وتعاليم الرب المعاشة الحية، أي إختبار الكنيسة الجامعة الحي، لإعلان الله عن ذاته وعلاقته بالخليقة، كما علمنا وأرانا الرب يسوع المسيح إبن الله المتجسد بشخصه. والتقليد الكنسي العقيدي المسكوني (و الغير متغير) لا يشمل الترتيب الطقسي (حتى لو أسميناه تقليدا طقسيا) لأن الأخير متغير بالمكان والزمان والمناخ الحضاري الثقافي للكنيسة المكانية. ومن هذا التقليد العقيدي والإختبار الكنسي المعاش كتبت الكنيسة، بإلهام الروح القدس ووحيه: **الكتاب المقدس، الذي هو وليد وليس أبو التقليد الكنسي**.

و هنا أذكر القارىء أن **كلمة إكليروس لا تعني الكهنة فقط**. وذلك لأنها مأخوذة من "**إكليرونوميا**" ومعناها "**نصيب الرب**". ونصيب الرب هو كل عضو في جسد المسيح، بدون إستثناء. ولعل هذا ما نتحسسه في تقوى صلاة التحليل قبل القداس الإلهي، التي تؤكد فيها الكنيسة كل مرة، على لسان الكاهن أن: "**عبيدك خدام هذا اليوم**: القمامصة والقسوس والشمامسة والإكليروس و**كل الشعب** وضعفي، يكونوا محاللين من فم الثالوث الأقدس ... وو". ولذلك كما نعلم لا تصلي الكنيسة قداسا إلا في وجود ثلاث خدام للقداس على

الأقل: كاهن وشماس وعلماني. والعلماني الذي يمثل الشعب ويردد آمين لكل طلبة، بدونه لا تصلي الكنيسة قداسا. وإن كان يمكن لثلاثة كهنة صلاة القداس على أن يكون أحدهم ممثلا لكل الشعب.

• تفسير العقيدة (علم اللاهوت):

هو **إجتهاد بشري** لتفسير العقيدة. هو **إجتهاد ملهم لشرح العقيدة والكتاب المقدس**، ويختلف في عباراته ومجازاته بحسب إختلاف لغة العصر والثقافة والحضارة المكانية حيث يجتهد المفسر. التفسير، بخلاف العقيدة، **يقبل الإختلاف، بشرط عدم تعارض التفسير مع ثوابت العقيدة.**

• الـــرأى:

وهذا إجتهاد معطي الرأي لإجابة ما ليس له إجابة واضحة أو تفصيلية في الكتاب المقدس والعقيدة، والإختلاف في الرأي وارد جدا هنا، ومقبول بدرجة أوسع بكثير من التفسير، إلا لو كان صاحب الرأي يعتقد أنه هو العالم العليم بكل بواطن الأمور، والذي لا شريك له، وأنه وحده يمثل الكنيسة، أو بالأحرى هو الكنيسة ذاتها ورأيه هو هو ''تعليم الكنيسة'' ذاته، وهو رأي مطلق الصحة، وأن في رأيه هذا ''قبضة الحق'' البيّن، كما قال أحد المعلمين علنا في حديث تليفيزيونى! ومن أمثلة الرأى: ماذا يحدث للروح مباشرة بعد خروجها من الجسد؟ ما هو نوع الفرح الأبدي وعذابات جهنم؟ متى يصبح الجنين إنسانا بكامل حقوقه كإنسان؟ هل نرفض إجهاض الأجنة أيا كان السبب الطبي أو النفسي الذي يدفع الطبيب للنصح بالإجهاض؟ هل وسائل منع الحمل خطية؟ هل حقا مرض الإيدز عقوبة من الله؟ هل أطفال الأنابيب أمر لا يقبله المسيحى؟ هل من حق المسيحي أن يكون ناشطا سياسيا؟ ...
أو: لأي درجة يمكننا التوسع في تعريف أمر مثل ''**علة الزنا**''؟ هل **نأخذ بالمعني**

الحرفي المادي للفعل الجسدي الكامل فقط، وفي وجود شهود أيضا؟ أم بدون شهود؟ أم هل نقبل أن وجود أدلة مقولة أو مكتوبة ترجح حدوث الزنا هي دليل كافي لتعريف الزنا؟ أم هل نقبل أن **الأوضاع الإجتماعية والزوجية والتي نعلم أنها غالبا ما تقود إلى الزنا، إذا ترك الحال على ما هو عليه بدون طلاق**، هي أيضا ''علة للزنا''، حتى **قبل حدوث الزنا** (مثل السجن لعدة أعوام، أو الأذى الجسدي أو النفسي المتكرر، أو المرض العقلي الغير قابل للشفاء، أو المرض المعدي الخطر والمميت، أو الفرقة لعدة أعوام، أو إستحالة العشرة لأسباب غير قابلة للتغيير ...)؟ هل نضيف هذه الأوضاع الإجتماعية والزوجية إلى تعريف ومعنى ''علة الزنا''؟ على أساس أن تجنب حدوث الزنا في هذه الحالات، بالطلاق والسماح بزواج ثاني لكل من الزوجين، قطعا هو قرار يبدو رحمة بالزوجين والأبناء وسمعة الكل... بل ولماذا لا نقبل أن إرتباط إثنين عاطفيا وجنسيا بالأحاديث والصور على الإنترنت في جيلنا هذا، بدون لقاء جسدي مباشر، هو زنا؟ أم **هل نقبل الطلاق بسبب الزنا بالنظر والفكر كما في قول الرب؟**

هنا يكون الرأي قابلا **للتضييق أو التوسيع** بحسب درجة ضيق الأفق، أو سعة صدر وقلب وحكمة ومعرفة المفسر العلمية والطبية والنفسية. كما أننا نعلم جيدا أن العلم يكتشف ويؤكد لنا من جيل إلى جيل أمورا لم نكن نعرفها عن الطبيعة البشرية، خاصة الجانب الجنسي والنفسي منها. هذه الطبيعة البشرية التي بضعفاتها، مع متغيرات كل عصر، تقتضي إدراكا أوسع وعلما أعمق، ومن ثم رأيا أشمل وتفهما رحيما بضعف البشر. لأن الرحمة أفضل من تنفيذ حرف الناموس **كذبيحة نفاق**، وإبن الإنسان (والإنسان ضمنا) هو رب الناموس وليس أن الناموس هو رب الإنسان.

• التعليم (عبارة "تعليم الكنيسة"):

هو محاولة **ضم العقيدة والرأي والتفسير، الثلاثة معا، في كوكتيل واحد، لتأكيد إطلاق صحة التفسير أو الرأي** كأمر كنسي يتساوى كلية مع العقيدة الثابتة في أنها "مطلقة" غير قابلة للتغيير. **هذا أمر غاية في الخطورة.** وهذا الكوكتيل الواحد يكون لإعطاء التفسير أو الرأي صفة الإطلاق، **بما أن التفسير (و) أو الرأي قد أصبحا "واحدا في الكوكتيل" مع العقيدة المطلقة ذاتها!!!** وهذا الأسلوب، كما هو واضح لنا في شخصيات سياسية، تاريخية ومعاصرة، ما هو إلا **محاولة لتأكيد دكتاتورية** بعض الأشخاص في تاريخ البشرية السياسى والكنسى أيضا، خاصة في القرون الوسطى في الغرب، وبلاد الحكم الفاشي. فبدلا من التمييز بين العقيدة الغير متغيرة بالمقارنة مع التفسير والرأي المتغيرين، كما رأينا، **يحاول صاحب التفسير أو الرأي الفقهى أن يحصن فكره وقرارته** بأنها "تعليم الكنيسة" معتبرا أنه هو الكنيسة، ويكون كل معارض أو مختلف في الرأي هرطوقيا أو كافرا أو عدوا للكنيسة، أو على الأقل إنسانا لا يقبل الطاعة لأولى الأمر منا، وهذه خطية تستحق جهنم وبئس المصير. لذا كانوا يحرقون الهراطقة أحياء في ظلمة القرون الوسطي.

واضح إذن أننا لا يمكننا أن نتقدم كمجتمع أو وطن أو كنيسة، أو حتى مؤسسة إدارية، إلا بعد أن نقرر ما هي الأمور "**الفوق دستورية**"، **أي عقيدية مطلقة،** وما هي الأمور القابلة للتغيير بحسب تغير الزمان والمكان والثقافة ودرجة المعرفة التي نصل إليها من جيل لجيل. أما الأصوليون والمتطرفون في المجتمع الواسع عموما والكنسى أيضا، فلا يقبلون بهذا الحديث لأنه يضعف من دكتاتوريتهم، وقدرتهم وحريتهم المتاجِرة بالدين وآيات الكتاب المقدس، لتمرير تفسيراتهم التاريخية على أنها مساوية للعقيدة في الإطلاق، بما أننا أسميناها "تعليم الكنيسة".

• الطـقس:

الطقس هو **الترتيبات المادية الظاهرية التي تقرها جماعة بشرية، لممارسة تظهر وتعلن معتقداتهم الفكرية والدينية**، حتى يمارسوا الحوار أو التعليم أو العبادة في وحدانية فكرية (روحية نفسية) مكانية وزمانية. الطقس الكنسى إذن هو **ترتيب بشرى** موضوع لتعليمنا وشركتنا معا في العبادة، ولايجب أن نعتبرالطقس جزءا من التقليد الكنسى العقيدي، وإن كان يعبر عنه. **الطقس يتغير قطعا بتغير المكان والزمان والثقافة والحضارة.** والعناصر المكونة لأي طقس هى: اللغة والعبارات المصلى بها، والموسيقى والغناء ونوعية آلات التعبير الموسيقى وترتيب الأنتيفونيا (تبادل مردات وصلوات مجموعة مع أخرى)، وتصميم مكان ومبنى العبادة وتزينه بالصور والفنون المختلفة، والإنارة ونوعيتها من شموع أو مصابيح، وحركات العبادة الجسدية من رشم للصليب أو وضع يد للبركة أو سجود وقيام وركوع ودورات (زفة). وأيضا الزى وإطلاق اللحية أو حفّها. ثم مواد أخرى مستعملة مثل الماء والخبز والخمر والبخور والزيوت والحنوط العطرية ... إلخ.

كل هذا الترتيبات الطقسية نسبية غير مطلقة وقابلة للتغيير **بإتفاق الكنيسة معا**، كما شرحت. ولكن يظن بعض البسطاء أن البركة التي ينالونها من أي ممارسة طقسية (كإنارة شمعة، أو خلع حذاء، أو تقبيل يد الكاهن، أو الإحتفاظ بالسعف بعد رشه بالماء) تتساوى في القيمة مع الصلاة ذاتها وطلبة الرحمة والمغفرة. وقد ينظر بعض البسطاء للأولوجيا – لقمة البركة – على أنها " **تناول مصغر**"، كما أن الخطوبة تسمى خطأ "**نصف إكليل**"!!! لأنها كلها طقوس "مبروكة" ومقدسة، عند البسطاء.

المقالة الثانية

من هو: البار، والخاطي، والشرير، خاصة في السلوك الجنسى؟

البار والخاطى والشرير هم في **كل إنسان** منا، حسب الحالة التي يحياها. وكلنا إن كنا صادقين مع أنفسنا نتأرجح بين هذه الثلاث حالات. بمعنى آخر الخط الفاصل بين الثلاث شخصيات لا يمر في الواقع بين جماعة من البشر وجماعة أخرى، بل يمر في أعماق كل إنسان منا، بدرجات متفاوتة. ولكن، ومؤقتا فقط لغرض الحوار، سوف نتحدث عن الأبرار والخطاة والأشرار كما لو كانوا ثلاث مجموعات منفصلة.

• تعريف البار:

ليس باراً ليس ولا واحد، كما يقول الكتاب! ولكننا نصف بعض البشر الذين نتحسس درجة محبتهم وقداستهم كونها أعلى من أكثرنا على أنهم أبرار **نسبيا** لحال العموم منا. والحقيقة أن هؤلاء هم أفضل وأول من يعلمون تمام العلم أنهم خطاة مثل جل البشر وليسوا أبرارا. ولنقل (لغرض الحوار) أنهم لا يتعدون الـــ ٠,١ ٪ أي واحد في الألف من البشر.

• تعريف الخاطى:

هو الإنسان في عمومه وهو يشكل الأكثرية منا، وأعتقد أنني وجل القراء من هذا النوع. هو الإنسان الذي يعى **نقاط ضعفه**، وأنها متعددة إن لم تكن كثيرة حقا، ويعى **نقاط قوته**. ومن الضرورى كما علمنا المتنيح الأنبا بيمين أسقف ملوى (كمال حبيب سابقا – ماجيستير في التربية وعلم النفس، جامعة

برنستون بالولايات المتحدة في السبعينيات) أننا يجب أن نعى مواقع القوة والمواهب والقدرات التي منّ علينا الله بها، وإلا فلن نعرف كيف نخدم أنفسنا ومجتمعاتنا، ونحيا وجودا مثل عدمه! ويعلمنا علم الإدارة الحديث أنه بالإضافة إلى معرفة نقاط الضعف والقوة لأي مؤسسة (و الإنسان مؤسسة !) يجب أن ندرك ونعى **المخاطر** التي تواجهنا و**الفرص السانحة** للنمو والتقدم وتحقيق الأهداف المرجوة من وجودنا:

SWOT analysis = **S**trengths – **W**eaknesses – **O**pportunities – **T**hreats

فالخاطى إذن يدرك خطاياه (نقاط ضعفه) والمخاطر المحيطة به من المهد للحد، ولكنه يجاهد بنقاط القوة والفرص السانحة للنمو، سواء كان مؤمنا بالله وبنعمته المؤازرة، أو ملحدا مؤمنا بنقاط قوته وضعفاته. وأنا أعتبر الملحد ضمن هذه المجموعة أساسا وليس جماعة الأشرار. قال يوحنا ذهبى الفم: ''الكنيسة مستشفى وليست محكمة'' أي أنها ليست بيت أبرار أصحاء. لأنه لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب ولا مستشفى، بل المرضى، فدعونا نستشفى على يد الطبيب الأمهر في كنيسته.

- **تعريف الشرير:**

وهو **الإنسان الذي، مع سبق الإصرار، يحب ويعشق أذية وإضرار وإستغلال البشر والمتاجرة بهم كأشياء ووسائل لغايات، لا كاشخاص تُحترم وتُحب.** وهذا الإستغلال والضرر ينسحب على الخليقة كلها ضمنا، سواء أدرك شر ما يفعله (و هذا في الغالب) أو لم يدرك شر أفكاره وأعماله ونتائجها. والشرير تباعا لا يترجى ولا يشعر بأى إحتياج للتوبة. وإن تاب يُحسب خاطئا وليس شريرا. ولنقل أن الأشرار بهذا المعنى لا يتعدون ٥ ٪ من البشر – رقما جزافيا، فقط لغرض الحوار.

إذاً جميعنا ٩٥٪ خطاة ونسعى (أو على الأقل نتمنى) إصلاح ذواتنا وإنقاص (إن لم يكن ممكنا محو) نقاط الضعف التي نعلمها فينا. وأحيانا نَغلب فنظن

واهمون أننا أبرار قديسون، وأن الآخرين هم الخطاة والأشرار. إننا في فريسيتنا نقسّم البشر إلى **الأبيض والأسود** فقط، لا يوجد إحتمال **الرمادي**. وقطعا نكون نحن الأبيض وكل ما عدانا في العقيدة والتفسير هو الشيطان الأسود!!! ومثال هذا، الفريسية الأصولية أو السلفية الدينية المتطرفة في التفسير، وهؤلاء للأسف يملأون الأجواء الدينية المتطرفة والسطحية عند كل الديانات، ويوصمون الآخرين بالكفر والزندقة والهرطقة ويشيطنوهم. وأحيانا أكثر نُهزم في جهادنا الروحى الإنساني وندخل في دائرة الشرير، وبالتوبة نعود من جماعة الشر إلى جماعة الخطاة الذين يجاهدون في طريق التوبة.

لماذا أكتب هذه المقالة؟

الدافع لكتابة هذة المقالة هو أنني بعد أن أمضيت الجزء الأكبر من عمرى منذ عام ١٩٧٧ وحتى الآن، مقيما ودارسا وطبيبا في بريطانيا، إكتشفت أن نظرتنا كشرقيين مصريين للغرب هي نظرة ظالمة، تنم عن جهل وفريسية. نحن نرى في الغرب، كما يُشهّر بهم المتطرفون ليلا ونهارا، أنهم إباحيون، شواذ جنسيا ويزوجون الشواذ، ويزنون كما يشربون الماء. هذا فهم خاطىء، وظالم لنا نحن أنفسنا أولا وللغرب ثانيا.

المرض الرئيسى فينا. إننا نعاني، في مجملنا كشرقيين، من إنعدام فهم وإدراك صحيح للدافع الجنسى (و من ثم الكبت الجنسى الذي يعانيه أكثرنا). وأيضا نجهل الكود (النظام/النمط) الأخلاقى الذي يختلف من مجتمع لآخر، خاصة فيما يتعلق بالأخلاق الجنسية. **الله ألهمنا بالفطرة المبادىء الجوهرية للكمال، ولكنه ترك لنا تطوير الكود الأخلاقى** مع تطور المعرفة والعلم والرقى الإنساني الأخلاقي. والحقيقة أن العالم بشرقه وغربه كان جاهلا إلى حد كبير جدا بكل ما يتعلق بالجنس الإنساني حتى دخولنا في القرن العشرين. ولكن ما حدث هو أن الثورة والحرية الجنسية، والتي بدأت أثناء وبعد الحربين العالميتين، ولدت لنا عِلما

جديدا هو علم الدراسات الجنسية، من الناحية التشريحية والفسيولوجية والنفسية والطبية والإجتماعية. وكان العالم بشرقه وغربه يجهل الكثير من هذه الحقائق عن طبيعة الإنسان والجنس وأفعاله العاكسة بشدة. وقد ناقشت هذا الموضوع بإستفاضة في الفيديوهات المرفوعة بإسمى على اليوتيوب وعلى موقع العدالة الإلهية www.copticorthodox-divinejustice.com

تحت عنوان: **الله والجنس والحب والزواج** وهي تطول **لسبع ساعات** من الحوار بالعربية، وأربعة ساعات بالإنجليزية (مجزأة إلى ٤٢ جزء بالعربية و٢٤ جزء بالإنجليزية، كل جزء ١٠ دقائق بعنوان خاص).

اليوم جل المجتمعات البشرية تؤمن بمفاهيم وقواعد أخلاقية جنسية مشتركة:

+ جل المجتمعات البشرية **ترفض الخيانة الزوجية** رفضا تاما. وهذا في الحقيقة هو المعنى الجوهرى للوصية "لا تزن"، وهي الوصية الجنسية الرئيسية والأوضح في العهدين القديم والجديد، وإن كان تعريفها يتعلق **بالمتزوجين** الخائنين فقط.
+ جل المجتمعات البشرية تُعلّم أن العلاقة الجنسية **المثالية** والصحية، نسبيا، هي بين رجل واحد وإمرأة واحدة في علاقة كلية كاملة ملتزمة زمانا ومكانا، أيا كانت مدتها في الآن الواحد. وأما العلاقة **المثالية جدا** فهذه لا يحلها غير موت أحد الزوجين، سواء كان الزواج دينيا أو مدنيا أو بالمساكنة الملتزمة، أي ما نعرفه في شرقنا بالزواج العرفى والمشهر إجتماعيا. المهم هو الإلتزام والإشهار الإجتماعي، أو الأفضل الإشهار القانوني.
+ جل المجتمعات البشرية تؤمن أن **المثالية** تقتضى **عدم التلهى بالجنس قبل الزواج**. ولكن الغرب لا يمانع في إختبار الخطيبين الصديقين (ذوى النية لإكمال هذه العلاقة بالزواج إن كانا ناضجين ومخلصين) من إكتشاف توافقهما الجنسى من عدمه قبل الزواج. **وهنا نختلف مع الغرب**، وإن كان

بعض الشباب في الشرق بدأ يتفق تدريجيا مع هذا النمط للحياة بسبب تأخر سن الزواج وضيق الظروف الإقتصادية، كما تطالعنا الأنباء. وعلينا ألا نتجاهل معاناة أولئك الشباب المتحير والمظلوم.

ما هي مبررات الغرب للحرية الجنسية بين غير المتزوجين؟

السؤال المبدئى الهام جدا والمطروح هو: **لماذا أسمينا الخطأ بأنه خطأ، أو خطية أو جريمة؟** الإجابة لابد أن تكون: لأن كل خطية أو جريمة هي **فكر أو فعل مقتضاه إلحاق الأذى والضرر** بالإنسان الخاطى أو من أخطأ في حقه أو المجني عليه. فإذا كان هناك فعل لا نستطيع إثبات أنه يؤدى إلى ضرر أو أذى فنحن لا نستطيع أن نصفه أنه خطية أو جريمة. هذا مبدأ هام جدا للحوار مع المؤمن المفكر وغير المؤمن الصادق مع ذاته. والخطية حقيقة ليست إهانة أو أذى موجه لله، حاشا، فالله لا تطاله أعمال البشر من شر أو بر. بل الخطية هي إنتحار كياني وأذى وضرر موجه من الإنسان للإنسان: الوحيد الذي قد يلحقه الأذى. فخطية البشر يمكنها أن تؤذى وتصيب البشر فقط وليس الله، وبر البشر يفيد البشر فقط وليس الله (أيوب ٣٥ عدد ٦-٨).

يقول المحاور الغربى: إثبت لى الضرر أو الأذى في أي فعل أو فكر، وأنا أتفق معك في تجريم الفعل موضوع النقاش. **أما إذا إنتفى الضرر والأذى فبأى سلطان تجرم فاعله أو تمنعه أو تنتقده؟** ثم يدافع عن موقفه بأن الوصية أو النص الديني غير كافى كمبرر لرفض أي فعل، إن لم يكن هناك ضرر واضح يمكن إثباته اليوم، لأن تفسير أي نص هو إجتهاد قابل للإختلاف. أو لو كان المحاور متعاطفا مع سلطان الرأي الديني فيطرح نظريته: ربما كان الرفض والتجريم الديني لفعل معين في الماضي هو أن يوم كُتب النص المانع كان هذا الفعل الذي يجرمه النص أو الوصية سببا في ضرر أو أذى **حينئذ**، ولكن مع تقدم البشرية علميا وإجتماعيا مع الزمن، أنتفى الضرر المرتبط بهذا الفعل. فالآن لا يوجد مانع مقنع ومنطقي لمنع وتجريم هذا الفعل.

وهنا يبدأ الحديث بالتطبيق على الحرية الجنسية بين غير المتزوجين:

في سفر التثنية ٢٢ يُرجم الزاني والزانية لأنهما أساسا قد خانا زوج الزانية، وهذا الزوج **فقط**. وأيضا لأن هذا الفعل قد ينتج عنه طفل مشكوك في نسبه (من جهة الأب). ولكن الزاني مع إمرأة مخطوبة يُرجم (و ذلك أيضا إرضاء لخطيبها فقط، لأن الخيانة في هذه الحالة هي خيانة فقط للخطيب مالك المرأة، وقد تمت). وإن كان الفعل في الحقل، تُترك المرأة المخطوبة بدون عقوبة، لإحتمال أنها قد تكون أغتصبت، ولأن خلط النسب غير وارد. ولكن **إذا كانت المرأة حرة غير مرتبطة برجل، لم يكن هناك من رجم لا للرجل ولا للمرأة (و هذا إختلاف جوهري جدا في تقييم العلاقة الجنسية بين الأحرار غير المرتبطين عند العبرانيين)!!** لأن العلاقة بين هذه الحرة والرجل الذي ضاجعها يمكن إصلاحها بزواج الإثنين، إن لم يكن الفعل إغتصابا أذلها يجعلها ترفض هذه الزيجة. وفي الحالة الأخيرة، على أية الأحوال، يدفع الرجل المغتصب لأبيها مهرها بدون زواج أو عقوبات. إذن **سفر التثنية لا يساوي بين الزنا (في حالة أن المرأة متزوجة) والدنس (في حالة أنها غير مرتبطة بزوج أو خطيب) من جهة الضرر، ولا من جهة العقوبة. وهذا إختلاف جوهري جدا ويحتاج لتفهم عميق لأخلاق وأعراف المجتمع العبراني.**

ثم يذكر المحاور الغربي أن **بيع وشراء البشر كعبيد** كان مقبولا كناموس إلهي في الكتاب المقدس قديما (خروج ٢١ عدد٢-٧)، وحتى لم يُرفض صراحة في العهد الجديد. ولكننا إكتشفنا أنه جريمة ومنعناه عندما إرتقينا. وأيضا كان **أخذ النساء وإناث الأطفال سبايا في الحرب بعد قتل كل الذكور حتى الأطفال والرضع** (سفر العدد ٣١، كل الإصحاح خاصة الأعداد ١٧- ٢١) كان فعلا طبيعيا بل أمرا إلهيا، غير مُجرّم في ناموس العهد القديم المنسوب مباشرة لله (سفر العدد ٣١ عدد ٢١)!!! والآن كل ما كان منسوبا في هذه الأمور الغير أخلاقية

كـــ ''أمر الرب'' المباشر لموسى نعتبره شراً غير محتمل. ثم **كان الرجم أمرا إلهيا** أيضا، و**قطع يد المرأة** (و ليس الرجل!) التي تتدخل في عراك لإنقاذ زوجها من غريمه. كانت هذه أمورا جيدة في القديم للردع، وإكتشفنا أنها وحشية لا تطاق ولازلنا نحاربها. وهناك أيضا **إحتقار الآخر الأممي غير اليهودي واعتباره كافرا نجسا**، مع أنه من خلقة الله!

وهنا يجب علينا أن نتسائل بكل حرية وعدم تعصب: هل كانت هذه الوصايا الوحشية من فكر وتدبير الله فعلا، أم كانت (و هذا هو الإحتمال الأكبر، لأن المسيح الرب قد ألغى كل هذه الأمور اللاأخلاقية تماما) كل هذه الأوامر في الحقيقة **قوانين موسى النبي الوضعية البشرية المصدر**، حتى ولو **بسماح** من الله لأسباب حضارية حينئذ، وعلى مضض وغير رضا من الله ذاته؟؟؟

وهنا يقول المحاور الغربي مستنتجا مما سبق: ألا يمكننا إذاً أن نقول أن هناك وصايا كانت ضرورية في الماضي لأسباب وجيهة، والآن غير لازمة بل مجرّمة في بعض الأحيان؟ ثم يأتي المحاور الغربي باستنتاج: فإن كانت هناك ممارسات حتمتها الأعراف والسلوك الحضاري والإجتماعي في القديم والآن نجرمها، **فلماذا لا ننظر إلى الحرية الجنسية بين غير المتزوجين اليوم بهذا المنطق: كانت هذه الحرية مجرمة، وغير مرحب بها قديما بسبب الأمراض والحمل الغير مرغوب فيه، وخلط الأنساب. أما الآن إن قبلنا الحرية الجنسية لغير المتزوجين الراشدين**، فقد نقضي على الكبت الجنسي والإغتصاب والتحرش بالأطفال والمرأة، وهو متفشي في الشرق الذي يدّعي التدين ليلا ونهارا !!

أين الضرر من هذه الحرية الجنسية بين غير المتزوجين الراشدين، بالمقارنة مع الضرر الواقع بسبب الكبت الجنسي في بلاد الشرق المتزمتة بلا أسباب منطقية علمية؟

ثم يمتد دفاع المحاور الغربي عن الحرية الجنسية قائلا: النتائج السيئة لهذه الحرية والتي كانت موجودة في الماضي قضينا عليها كلها تقريبا. كان الضرر متمثلا في:

الأمراض الجنسية الغير قابلة للعلاج ومن ثم تؤدي للعقم أو الموت، والآن تقريبا كلها قابلة للعلاج. حتى فيروس الإيدز، أصبح الآن التحكم فيه وإيقاف التدهور المرضي بسببه ممكنا لسنين عديدة (أكثر من ٢٠ سنة)، وهذه نتيجة أفضل من نتائج علاج أمراض أخرى كثيرة. وكان الضرر أيضا في **الحمل الغير مرغوب فيه** والآن وسائل منع الحمل ناجحة بنسبة تقترب من المائة في المائة. فأين الضرر المتبقي والذي يدعوكم لتحريم العلاقات الجنسية للراشدين قبل الزواج (سن الرشد الجنسي في الغرب هو ١٦ سنة، وفي مصر سن الزواج ١٨ سنة)؟ ... يسألني المحاور الغربي.

وهنا أجيبُ المحاور الغربي:

أن أحد أشهر أسباب محاولات الإنتحار في سن المراهقة عند الفتيات في الغرب، هو الهجر من عشيقها. وأن الأثر النفسي لهذا لا يمكن تجاهله. وأضيف أيضا أن تعدد الخبرات الجنسية قبل الزواج لا يضمن بالضرورة إختيار الشريك الأصلح من جميع النواحي، حتى لو كان الأفضل جنسيا. وهناك أيضا مشكلة المقارنة المستمرة بعد الزواج، بين الشريك الآن والشركاء الجنسيين المتعددين في الماضي، مما قد يفسد السعادة الزوجية بقية العمر، أو يؤدي إلى الملل بين الزوجين، ومن ثم الزنا.

ولكن يجيبني المحاور الغربي:

الدراسات أظهرت أن نسبة فشل العلاقات بين غير المتزوجين، والتي تقود إلى الهجران، ليست أكثر من نسبة فشل الزيجات القانونية التي تنتهي بالطلاق. إثبت لي عكس ذلك إن أمكن. هذا يُظهر أن نظرية الهجران لا تثبت كضرر لنقبلها كداعي للمنع. وإن كان الشريكان الغير متزوجين راشدين، وهما قابلان ومتفهمان لإحتمال فشل تجربتهما، وهما على إستعداد ووعي تام ويتحملان نتيجة النجاح (بالمساكنة الملتزمة أو الزواج فيما بعد) أو الفشل، فلماذا التجريم وهما راشدان عاقلان متفقان على الحب أو الإنفصال؟ **وهنا لا أجد إجابة لتكملة الحوار على أسس منطقية علمية.**

الأسلوب الذي عشتُ به وعلَّمتُه ويعيش به أبنائي:

وبالرغم من آراء صديقي المحاور الغربي والنقطة التي وصلنا إليها في الحوار المنطقي والجاد والمحترم أيضا من كلينا، لكنني أعترف أنني لازلت غير قادر على ترك أو التنكر لما تعلمت منذ الصغر. وغالبا موقفي هذا هو لأسباب عاطفية في العقل الباطن، وأثر التربية والثقافة الدينية التي نشأت عليها، سواء كانت الأسباب هذه مقبولة من القارىء أم غير ذلك. فأنا وأبنائى تسلمنا شركاء حياتنا من يد الرب عند مذبحه المقدس، ونؤمن أن الآتي هو الترتيب الزمني الأمثل لإتمام ''**سر الزيجة**'' العظيم مثل ''سر المسيح والكنيسة'' كما قال الرسول بولس. هذا هو إتمام فعل وسر: ''**ما يجمعه الله**''، الذي يتممه الرب مع كل زوجين ليصير الإثنان جسدا واحدا، بالنسبة لنا كمسيحيين:

أولا: الحب:

الحب من كل الكيان، و**الإرادة الكاملة للإخلاص** مدى الحياة بين الخطيبين. هذا الإنجذاب المنقاد بروح الله هو بدء عمل وحلول الروح القدس لتفعيل سر الزواج المقدس للحبيبين. وهذا السر قد **أسسه الرب وحده عند خلق الإنسان في الفردوس**. هذا الحب والتجاذب، وإشتهاء الحبيبين للإتحاد الكامل معا، هو بدء تفعيل ''ما يجمعه الله''، والروح القدس هو مُفعِّل السر، ومعلنه، لكل حبيبين في الزمن.

ثانيا: صلاة إكليل الزواج:

هذا الطقس **لا يبدأ ولا يصنع ولا يتمم سر الزيجة** ذاته. لأن مؤسس وصانع ومتمم هذا السر العظيم هو الرب شخصيا بالروح القدس والزوجان معا، بدون تدخل إرادة أي مجتمع أو إنسان آخر! **إذن ما هو دور الكنيسة؟** دورها أنها:
+ ''**تعلن**'' للكل أن الرب قد بدأ بتفعيل هذا السر لهذين الحبيبين. وأيضا تتأكد الكنيسة من صدق كل من الحبيبين في كمال الإرادة الحرة والحب، وأنه لا

يوجد غش أو موانع أو إرتباط بين أحدهما وزوج آخر حي.

+ وبهذا "**تحلل**"، أي تحرر، ضمير الحبيبين وضمير الكنيسة، أن إتحادهما، والذي سوف يتمموه بالإتحاد الجنسي الكامل، تستريح له الكنيسة وليس هناك من موانع في الضمير.

+ثم "**تبارك**" الكنيسة والروح القدس **الحالّ** على هذا الإتحاد، **الذي بدأه الرب الروح القدس بزرعه للحب** وإشتهاء العروسين لبعضهما البعض من كل الكيان قبلا، وتطلب الكنيسة للحبيبين دوام الحب والسعادة والفرح، مع تأكيد النصح والإرشاد من تعاليم الكتاب المقدس.

+ أما **طقس تلبيس الأكاليل** فهو لكي تعلن الكنيسة للحبيبين أن الزواج هو إستشهاد ومسؤلية يتبعهما مجد وإكليل سماوي، إذا ما عاش الزوجان بحسب إرادة الله في المحبة والإخلاص من كل القلب طول العمر. **إنه وعد الله بالمجد** لكل من يثبت للمنتهى ويغلب، تعلنه الكنيسة نيابة عنه، إذا ما أتم الزوجان السر بإتحادهما على كل المستويات التي أعطاهما الله مواهبها وقدراتها – جسديا وعاطفيا وروحيا.

الخلاصة إذن أن دور الكنيسة يمكن تلخيصه في : **الإعلان** – **التحليل** - **البركة** – **الوعد** بالمجد والإكليل السمائي، لمن يقبل هذا الإستشهاد اليومي العظيم بفرح، على مثال محبة المسيح والكنيسة. هناك من يقبل الإستشهاد مرة بالسيف، وهناك من يقبله يوميا بالزواج ... لإكليل أبدى مجيد لا يفنى ولا يضمحل.

ثالثا: الإتحاد الجسدي الجنسي الكامل:

و هنا فقط **تمام إتمام السر الزيجي** بعمل ورباط الروح القدس الذي يكللهما بالمجد ويدخلهما إلى ناموس الفرح، ويقدس مضجعهما، كما نصلي. **فيلتصق الرجل بإمرأته فيصيران جسدا واحدا. وهذا هو ما يعرف بـــــ :**

Consummation of Marriage

و إن لم يتم هذا الإتحاد الجسدي، غالبا لأسباب مرضية، أو إذا إتضح أن أحدهما لم يكن حر الإرادة في قبول هذه الزيجة، أو إذا ثبت أن أي الشريكين لم يكن مخلصا

في إعلان كل ما من شأنه منع أو عدم إكمال هذا السر للشريك الآخر، تعتبر الكنيسة أن هذا الزواج **كأن لم يكن** وتعلن إبطاله. **إذن "بطلان الزواج" هذا، حتى لو كان الذي صلى هذا الطقس الزيجي كل المجمع المقدس وكل كهنة الكنيسة، يؤكد ما كتبته: أن الكنيسة ليست هي صانعة ولا متممة "سر الزيجة" بل الرب الروح والحبيين، فقط هم من يبدأوا ويتمموا هذا السر.** وأما إذا رغب الزوجان في عدم إرتباطهما جنسيا بإرادة حرة كاملة لأي سبب، فهما حقيقة "**يعيشان كأخوة**" وإن كان الشكل الإجتماعي الخارجي هو زواجهما. في هذا لا تمانع الكنيسة ولا يُبطل زواجهما "**الأخوى**".

و لكن هذ الإيمان والإلتزام والترتيب الثلاثي المثالي بالنسبة لنا، المذكور أعلاه، وهو خاص بنا كمسيحيين، لا يقلل من إعترافنا وإحترامنا للزواج الديني أو المدني المشهر قانونيا (أو حتى الإلتزام الجاد بالمساكنة الملتزمة، المشهرة إجتماعيا، بدون توثيق قانوني، هنا في الغرب)، لكل من يختلف معنا عقيديا، سواء كان مسيحيا أو غير مسيحي، مؤمنا أو غير مؤمن. وذلك لأن **من الناحية الإنسانية الجوهرية، أمام الله والضمير، الإلتزام الإرادي الحر والإتحاد الجسدي بين أي رجل حر وإمرأة حرة هو، في مفهومه الإنساني الواسع، زواج حقيقي جدا، قد جمعه الله. هذا ينطبق على كل بشر مهما كانت عقيدته من إيمان بالله أو إلحاد.** ولنتذكر قول بولس الرسول أنه حتى من إرتبط بزانية جسديا فقد صار معها جسدا واحدا (١ كورينثوس ٦ عدد ١٦).

إشهار (توثيق) الزواج قانونيا:

ومع هذا، أضيف أن **إشهار الزواج قانونيا** (بحسب قانون الدولة التي يتم فيها الزواج) له أهمية كبيرة **إجتماعيا**، بسبب الضعف البشري وإحتمال فشل الزيجة، للحفاظ على حقوق كل من الزوجين والأبناء. ولأن فيه الزوج يهدي زوجته نفسه وإسمه وكل ما له أمام المجتمع، وهي تؤكد القبول وتهديه نفسها وكل ما لها أيضا، بصورة تشبه "**القسم والوعد" المشهود عليه من المجتمع القانوني الأكبر**، وليس من الكنيسة أو الأسرة أو الأصدقاء فقط. هذا الإشهار القانوني هو لتثبيت

مصداقية الإلتزام والوعد، وإحتراما لكرامة الزوجين والأبناء أمام المجتمع الأكبر. و لكني أعتقد أيضا أن هذا **الإشهار القانوني لا يُزيد ولا يقلل من موقف الزوجين أمام الله ذاته وأمام الضمير.** لذلك أعلم أنه إن كان هناك رجلا مرتبطا بإمرأة، بمعاشرة كاملة بدون إشهار قانوني، وهي تحبه ولا تريد أن تفارقه، **لا تسمح له الكنيسة الروسية الأرثوذكسية بالزواج من إمرأة أخرى إن أراد، بل توافق أن تزوجه من إمرأته التي معه فقط.** لأن زواجه من أخرى في هذا الوضع يُعدُّ الزنا ذاته. لأنه يريد أن يترك ويخون إمرأته الأولى، التي تزوجها في عيني الله بالإرادة الكاملة والإرتباط الجسدي، ويحاول أن يتركها على أنها كانت عشيقة وليست زوجة، متحججا بإنعدام الإشهار القانوني، ومحتقرا الإرتباط الذي جمعه الله به بالحب الأول. فهل في مثل هذه الحالات تحافظ كنيستنا القبطية الأرثوذكسية كذلك على مثل هذا الإرتباط الأول وتبقيه، وهو حادث لبعض أبنائنا مع أجنبيات في المهجر، أم تزوجه من قبطية وتعتبر أن إمرأته الأولى كانت عشيقة فقط؟!! أعتقد أن موقف الكنيسة الروسية يتمشى بقوة مع ضمير وروح الزواج وقداسته، وهذا قطعا أهم من حرف أي ناموس أو قانون!

أما بالنسبة للجنس المثلي:

فالدراسات قد أثبتت أن حوالي **٢ – ٥ ٪ من البشر** في الغرب (و غالبا في الشرق أيضا) يصفون أنفسهم بالمثليين **بصورة ثابتة غير قابلة للتغيير.** والجنس المثلي موجود منذ فجر التاريخ المدون. هم لاينجذبون ولا يستثارون جنسيا من الجنس الآخر، بل توجههم الجنسي هو نحو أشخاص من جنسهم فقط. والواقع أن هذا التوجه حتى وإن كانت هناك نظريات تقول بأنه مكتسب، وليس لأسباب موروثة جينية مثبتة، إلا أنه **واقع لا بد من التعايش معه،** سواء إعتبرناه خطية أم سلوك طبيعي ولد البعض به، حتى يقول العلم لنا تفسيرا واضحا للمثلية. وحماية هؤلاء المثليين من الإضطهاد والتمييز بكل صوره ضرورة إنسانية.

أما محاولات إدراج الجنس المثلي كمرض عضوي أو نفسي، والبحث عن

علاج له، فقد بائت كلها بالفشل وألغيت تماما من الكتب العلمية، قبل نهاية القرن العشرين. ليس من علاج لهذا الوضع الإجتماعي إلا حماية أصحاب الجنس المثلي من الإضطهاد، أو بمعنى آخر أن يوجَّه العلاج للمجتمع وليس للمثليين أنفسهم. وفي العقود الأخيرة يبدو أن الجل الأعظم من أبناء هذه المجتمعات المتحضرة قد وافق وقنن لحماية المثليين وقبولهم كواقع طبيعي، حتى وإن كان في أحيان كثيرة أسمع (سرّا) من الغربيين أنفسهم ما يبدو منه عدم الإرتياح والقبول الحقيقي للجنس المثلي.

وأعتقد أن الرحمة أفضل من التجريم، مهما كنا لا نتفق مع الجنس المثلي، كأسلوب ونمط للحياة، لأسباب دينية أو إجتماعية، خاصة في الشرق. والعلم لا يعرف حتى الآن السبب في هذا التوجه الجنسي للجنس ذاته. وبما أن الأوامر والوصايا والنواهي الدينية أثبتت أنها لا تقدر أن تغير من هذا التوجه والواقع، فقررت كل دول العالم المتحضر، حفاظا على إنسانية وكرامة أصحاب التوجه الجنسى المثلي، أن ترفع عنهم أي تجريم أو إضطهاد أو تمييز في المجتمع. هذا الموقف نحتاج أن نتفهمه ونقدره بتعقل، مهما إختلفنا معه، كشرقيين عموما، أو متدينين خاصة. وقد يأتي يوما ونتبنى هذا الموقف الغربي نحن أيضا، كما تطالبنا وثيقة حقوق الإنسان العالمية لكوننا أعضاء في الأمم المتحدة، وموقعين على هذه الوثيقة.

وذلك لأنه من الرحمة والإنسانية الكاملة أن نحمي كل من يتعرض للتمييز، سواء كنا نتفق مع أسلوب حياته أو لا نتفق. دارسي الجنس المثلي يعتبرونه الآن من الجهة العلمية **فصيل آخر طبيعي** من البشر له كل المساواة في الحقوق والواجبات مع أي مواطن. الموقف العلمي والإجتماعي في الغرب يبرر الجنس المثلي، بالرغم من كل المكتوب عنه في النصوص الدينية، على أساس أنه **من المحتمل أن الجنس المثلي كان أمرا غير مفهوم ومجرما قديما لأسباب "حضارية" أكثر منها أسباب إنسانية خاطئة جوهريا. وربما كان رفض الجنس المثلي يرجع إلى أنه لم يكن له ثمرة النسل مثل الجنس الغيري، الذي لبقية البشر.** ونحن الآن نعلم أن ضرر الأمراض الجنسية عند المثليين يمكن الوقاية منه أو علاجه مثل بقية الأمراض الجنسية عند الغيريين. لذلك

لا يجد الغرب في الجنس المثلي أي جريمة أو ضرر يزيد عن ضرر الجنس الغيري.

خـلاصة:

هذا عرض أقدمه لكي أقول أنه حتى إن كنا لا نتفق كلية مع الغرب في سلوكهم الجنسي (خاصة الحرية الجنسية عند غير المتزوجين منهم، وموقفنا هذا منهم هو لأسباب إجتماعية ودينية)، إلا أنهم في الواقع يحيون بحسب فكر ونظام أخلاقي، وتدارك لأهمية حماية حقوق كل إنسان في حياته الخاصة. هذا الأسلوب **للشخص الغربي لا يعتبرونه إنحلالا خلقيا، مادام ليس فيه خيانة زوجية (زنا) ولا إغتصاب ولا قهر ولا إحتقار للمرأة ولا إستغلال ولا ضرر شخصي ولا إجتماعي** بحسب رؤيتهم، العلمية والإجتماعية، المحترِمة لحريات كل إنسان.

هذا، على أية الأحوال، ما يتفق عليه كل من وقع من الأمم المتحضرة على ''**وثيقة حقوق الإنسان العالمية**'' الصادرة عن الأمم المتحدة، ماعدا المعاندين الرافضين بإسم الدين.

وإن كنت أيها القارىء تؤمن أن هذا السلوك في الغرب هو ''خطية''، فليكن هذا رأيك. هذا حقك، ما دمت لا تتعامل بالتمييز العنصري ضد من يحيا بنمط أخلاقي لا يتفق معك، وتحترم حريته وحرمته، ما دامت لا تتعدى على حريتك. وتذكر أيضا أننا جميعنا خطاة، وأن **الإنحراف الأخلاقي الإنساني هو جوهريا في الإنحلال من إحترام حقوق كل إنسان في الرعاية وإحترام الكرامة الإنسانية والحرية الشخصية.** أليست هذه هي ''**الوصايا العشر**'' في جوهرها، على الأقل من الوصية الخامسة للعاشرة؟

وتذكر أننا في الشرق ''المتدين'' نملك الأرقام العالمية القياسية في إنتشار الكبت الجنسي ومعه أعراضه المخزية من تحرش وإغتصاب وختان الإناث وتشويه وتحقير للمرأة والطفولة. ذكر القس الدكتور سامح موريس أن الإحصائيات تفيد بأن ٩٠٪ من المصريات مختتنات!!! والدراسات الإنسانية تعلن لنا للأسف الشديد أن مصر هي الدولة الثانية في العالم، بعد أفغانستان، المتصدرة لأعلى معدلات

التحرش الجنسي عالميا !!! وهذا النوع من **الإنحلال الأخلاقي الجنسي في الشرق هو قطعا لعنة ألعن على مجتمعاتنا من خطايا الغرب الجنسية.** وأعتقد أنك توافقني أيها القارىء: أن **من لا يحب ويعشق أذى وإضرار وإغتصاب وإستغلال الآخرين، متى أخطأ يُسمى "خاطئا" فقط، مثلنا جميعا، وليس شريرا، كمن يغتصب ويتحرش ويحتقر المرأة.** وتذكر أيضا أنه بالكيل الذي به نكيل للبشر الخطاة يُكال لنا.

فلنترفق إذن بالخطاة، الذين أولهم أنا وأنت، ولنصلي لأخوتنا الأشرار أن يرجعوا معنا في زمرة الخطاة، الساعين للتوبة، ولنتعلم من الأبرار أنهم أول الخطاة على مثال بولس الرسول.

المقالة الثالثة

ما هو بالضبط، من العهد القديم، ما "أكمله" وما "حررنا منه" الرب من ناموس موسى،

بحسب تعليم الرسول بولس في كولوسي ٢ عدد ٢١-٢٢ والدسقولية الرسولية، والعلم الحديث؟

ما جئت لأنقض بل لأكمل:

نحن نعلم أن الرب عندما قال "**ما جئت لأنقض بل لأكمل**" أنه أيضا رفض عنف الناموس، وحررنا من عبودية ما أسمته دسقولية الآباء الرسل "**أثقال – رباطات – أو كتافات الناموس**"، والتي شرحتها الدسقولية في الفصل الثالث والثلاثين، كما قدمها لنا المستشار د. وليم سليمان قلادة، وأقتبس منها هذه الفقرة، هذه الجوهرة الرائعة جدا:

"فلأجل قساوة قلوبهم (شعب إسرائيل) **ربطهم بهذا: الذبيحة والتطهير والإمتناع (لا تمس ولا تذق ولا تستعمل أو تجس)** [راجع كولوسي ٢ عدد ٢١-٢٢، فهي تؤكد أن هذه الرباطات كلها: وصايا وتعاليم **الناس** وليس الله!] ... فأما أنتم أيها المؤمنون الذين آمنوا بإله واحد ... فقد **حلكم منها وجعلكم أحرارا من العبودية من هذه الرباطات** ... لأن المسيح إبن الله لما جاء حقق الناموس وكمله، وحمل الأثقال [رباطات أو كتافات الناموس] التي كانت عليهم **وبطلها بالكمال، والناموس الطبيعي ثبته** [الذي عاش به الآباء بدون وصية مكتوبة قبل موسى] وجعل سلطان الناس حرا."

(صفحة ٧٢٧ من الطبعة الأولى عام ١٩٧٩). مابين الأقواس المربعة [ ] هو إدخال من كاتب هذا الكتاب.

و هذه هي الرباطات: الذبائح والإمتناعات عن اللمس والإستعمال، وأكل الحيوانات المسماة نجسة، والتحفظات الغير منطقية التي لا تقدم الإنسان لا روحيا ولا جسديا، من النجاسات المدعوة كذلك بسبب الإفرازات الطبيعية التي خلقها الله بيديه الطاهرتين (من طمث ونفاس ومعاشرات زوجية)، ولزوم التطهيرات الطقسية من هذه النجاسات.

الرب إذن لم يصدق على، أو يوافق أو يقبل أو يثبت أو يكمل، ما وصفه الرسل في الدسقولية على أنه ''الأثقال والرباطات''. بل على العكس تماما، تؤكد الدسقولية أن هذه الأثقال والرباطات قد ''**حررنا منها الرب بالكمال**''. أما الذي ثبته وأكمله الرب فهو ''**ناموس المحبة**''، وليس ناموس الذبائح والإمتناعات الطقسية والنجاسات والتطهيرات والعنف ورجم القاتل والزاني والمُجدّف، وقطع اليد لمن تتدخل لمساعدة رجلها في عراك مع رجل آخر، وقتل وتحريم المدن بكل من فيها حتى ذكور الأطفال والرُضّع، ونظام بيع وشراء الناس عبيدا، وأخذ النساء سبايا حرب ... إلخ. ذلك العنف الغير مسيحي، يستحيل أن يكون الله هو مصدره ومدبره والآمر به، والذي أوصى موسى به كله في الناموس كعنصر بشري، قد نقبل **على مضض** أنه كان ضروريا لحياتهم حينئذ، بسبب **غلاظة قلب الشعب** العبراني الذي لم يكن يحتمل كمال تعليم المحبة الإلهية!

و القطعة السابقة من أقوال الرسل، في الدسقولية، هي جوهرة ماسية ثمينة جدا وهامة جدا، لأنها تشكل إجابة يسأل عنها الجميع ولا يجروء على مناقشتها إلا القليلون جدا منا: ما هو بالضبط ما كمله الرب من الناموس، وما هو بالضبط ما حررنا منه في العهد الجديد؟ هذه الفقرة من الدسقولية تجيب بكل دقة، فهي ميزان حساس ودقيق للتمييز بين ما قد ثبته وكمله الرب في قوله ''ما جئت لأنقض بل لأكمل''، وبين ما قد ألغاه وأبطله نهائيا، وحررنا منه بالكمال والتمام، من أثقال التعليم القديم، والتي يؤكد بولس الرسول أنها ''**وصايا وتعاليم الناس**'' وليس الله، حاشا (كولوسي ٢ عدد ٢١-٢٢).

هذا النص من الدسقولية، وحقيقة أن الرب بنفسه قد ألغى هذه الأثقال، في الحقيقة يشكل أبلغ دليل على أن ما قد أبطله الرب لم يكن من تعليمه هو أبدا، حتى ولو كان نص الناموس كله منسوبا إلى الله مباشرة. لأنه **لو كان الله هو معطي ما قد أبطله بنفسه لقلنا أن الله قد بدل رأيه، أو أنه هو الذي كان يُحرض على كل ما ذكرته مما لا يمكن قبوله** لأنه عنف، وعبودية وأسر سبايا حرب وقتل أطفال ورضع، وإستنجاس حيوانات من خلقة يدي الله الطاهرة، وإستنجاس المرأة والرجل وإفرازات جسد الإنسان التي دبرها الله لفائدة الجسد وصحته. وهذا كله حاشا أن يكون الله هو مدبره في القديم ثم بدل فكره وأبطل ما كان قد أوصى به كناموس يرجم كل من يكسره.

أما الناموس الذي ثبته الرب فهو الناموس الطبيعي، الناموس الأول، ناموس المحبة المزروع فطريا في أعماق ضمير كل إنسان حتى غير المؤمنين والملحدين، والذي يدفع كل إنسان للإستجابة والنجدة لصرخة آخر في خطر، حتى لو عرض حياته للخطر وهو ينقذ أخاه الصارخ نحوه. الناموس الطبيعي الذي جعل كل الحضارات السابقة لموسى، خاصة الحضارة الفرعونية، أن تعلم كل تفاصيل الوصايا العشر، بل وما يرقى عن ناموس موسى في الرقة كما ذكرت في مقالة أخرى، من حنان وإحترام للحيوان والنبات أيضا وليس البشر فقط!

و هناك مقياس آخر أكثر دقة ويسهل تعقله جدا للحكم على: **أين العنصر الإلهي** في ناموس موسى والعهد القديم، وكيف نميّزه بكل وضوح من العنصر البشري، الذي أعطى رباطات الناموس والتي "أبطلها الرب بالكمال" كما تقول لنا الدسقولية؟ هذا المقياس هو: **إن كان التعليم أو الموقف أو التصرف أو الوصية في الكتاب المقدس تتفق وتتطابق بالتمام والكمال مع شخص وتعليم الرب يسوع المسيح، وتتناغم بكل دقة مع أسلوب حياته وتعاملاته مع البشر، مثل كل ما يدعو للمحبة والرحمة والمساواة بين البشر، والعدالة والحرية وإحترام حقوق وكرامة كل إنسان، والتواضع والمغفرة للكل بما فيهم**

الأعداء، ... فهذه كلها تكون العنصر الإلهي في العهد القديم. أما كل ما يدعو ويُعلم ويَظهر في نصوص لا تتفق وتتطابق مع تعليم وأسلوب حياة الرب المعلن لنا بتجسده (مثل كراهية الأعداء وقتل ورجم الخطاة، وسبي النساء وقطع الأيدي، وقتل ذكور الأطفال والرضع، على إعتبار أنهم لو تُركوا لكبروا وأصبحوا أعداء أشداء .. إلخ) هذا كله وليد الحضارة والثقافة البشرية الساقطة، ووصايا وتعاليم الناس، مثلما أوضح لنا الرسول بولس في كولوسي ٢ عدد٢١-٢٢، ومثلما وصفته الدسقولية برباطات وأثقال وكتافات الناموس والتي هي جميعها ليست من ناموس المحبة الإلهي الكامل.

إذن فلنحذر بشدة من كل تعليم يسيء تفسير قول الرب "ما جئت لأنقض بل لأكمل" محاولا تعميم سلطان ناموس موسى وتعاليم العنصر البشري في العهد القديم على أنها إرادة الله، متخفيا ومضللا وراء مبدأ: أن الله هو هو أمس واليوم وغدا، وأن كل تعليم من العهد القديم لايزال ملزما لنا بذات سلطان العهد الجديد. هذا إفتراء على جمال وكمال الرب وناموس المحبة الذي أعلنه لنا الله كاملا واضحا في المسيح الرب وحده، ليس فيه من شوائب بشرية، بعدما فشل أنبياء العهد القديم في تقديم ناموس المحبة الكامل لنا، لأسباب حضارية ولأنهم كانوا بشرا ناقصين مثلنا. **ولا يصح مساواة تعاليم الانبياء والرسل المخالفة لتعليم المسيح، بتعاليم الرب يسوع المسيح كلمة الله ذاته.** ولو كانت تعاليم ناموس موسى والأنبياء تكفي، فهل كانت لنا أية حاجة لتجسد الرب؟ ولو كانت رباطات وكتافات الناموس تُعد ناموسا مطلقا إلهيا، لما إستطاع الرب أن "يحررنا منها ويبطلها بالكمال"، وهو معطيها بنفسه!

لذا قال لنا بولس الرسول: "الله بعد ما كلم الآباء بالأنبياء قديما بأنواع وطرق كثيرة، **كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في إبنه،** الذي جعله وارثا لكل شيء، الذي به أيضا عمل العالمين، الذي **هو بهاء مجده ورسم جوهره** وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته." (عبرلنيين ١ عدد ١-٣). ولا يوجد وجه مقارنة

بين تعليم من جاء من عند الآب رأسا وهو في حضن الآب كل حين، وتعليم من هو بشر ضعيف، مهما كانت قوة الوحي والإلهام من الروح القدس. لأن الوحي المقدس بالروح القدس يشبه الإرسال التليفزيوني الجيد جدا والكامل، ولكنه يصلنا نحن البشر من خلال أجهزة عرض قاصرة (البشر الأنبياء والرسل)، لذلك فهذه الأجهزة حقيقة مختلفة في النقاء واللون والوضوح، مع أنها بلا شك تنقل لنا إرسالا إلهيا كاملا ومطلقا في أصله السمائي. أما في المسيح فالله كلمنا مباشرة بالكلمة الإلهية، والمثال الأمثل، والحياة الأبدية التي أظهرت فيه وحده، والتي لمسناها ورأيناها، بل ونتحد بها على الدوام بالتناول من الأسرار المجيدة التي أسسها بشخصه، حتى لا نحيا كاليتامى على الأرض.

وهنا ينبري المدافعون عن عصمة الكتاب المقدس، بتأكيد ألوهية حرفيته ومصدر كل حرف وكلمة فيه:

وهم يدافعون بكل تشدد وغيرة لأنهم قد إعتادوا أن يقرأوا وينسبوا كل كلمة وحرف وفعل ووصية وترتيب في ناموس موسى، ينسبوها كلها للإرادة الإلهية والتنزيل المعصوم من أي خطأ علمي أو تاريخي، بدون أي محاولة لتفهم أسباب كتابة أي نص وهدفه التعليمي. هم يظنون أن الإخلاص للدفاع عن مصداقية الكتاب المقدس وصدق الوحي بالروح القدس هو التشدد في تأكيد حرفية كل نص، على أنه نص إلهي صرف، لا يأتيه الباطل من خلفه أو من أمامه، أي ليس فيه أي عنصر بشري حضاري، وأن كل نص هو معصوم، ليس فقط من جهة الحق الروحي، ولكن أيضا من جهة الحق التاريخي العلمي، والحق الحرفي بحسب العلوم العملية البحثية الحديثة!

ومن أمثلة ذلك محاولة البعض التأكيد على أن ستة أيام الخليقة هي أيام كل منها أربعة وعشرون ساعة كساعاتنا اليوم، وأن عمر الإنسان بل الكون كله لا يزيد عن خمسة آلاف عام قبل ميلاد المسيح، وليس ١٦ مليار سنة بالحساب العلمي، وأن هناك حية تكلمت حرفيا وبصوت بشري مع الإنسان وكذلك

تكلمت حمارة بلعام ، وأن يونان النبي عاش حرفيا في بطن حوت مدة ٧٢ ساعة. وإن قال العلم بخلاف هذا نرفض الكشف العلمي بحجة أن العلماء جلهم ملحدون فاسقون. وهؤلاء المدافعون عن عصمة الكتاب المقدس بتأكيد حرفية كل نص يُعلمون أن الكتاب المقدس هو أول من أوضح أن الأرض كروية، لأن إشعياء النبي قد كتب أن الله هو "الجالس على كرة الأرض" (إشعياء ٤٠ عدد ٢٢)، وأن طوفان نوح قد قتل كل إنسان وحيوان وطير على وجه الكرة الأرضية بعد أن غطاها كلها تماما مدة الأربعين يوم. وأن نوح قد بنى فلكا إحتوى زوجا واحدا من جميع أنواع الحيوانات النجسة، بل وسبع أزواج من كل حيوان غير نجس، والحشرات والطيور جميعها كذلك، بالإضافة إلى طعامها لمدة أربعين يوم أو أكثر..... ، مع أن السفينة تيتانيك المهولة حجما في القرن العشرين لم يكن في مقدورها أن تحتوي جزءا من الألف من هذه الكائنات، ناهيك عن طعامها.... إلخ. [راجع الفيديوهات التي سجلتها عن "**داروين والتطور وآدم وحواء**" على موقع العدالة الإلهية، وهي مسجلة على حوالي ساعتين مقسمة إلى أجزاء كل منها ١٠ دقائق لمناقشة كيف نفهم اليوم قصة آدم وحواء وكيف نفسر الرمزيات في العهد القديم]:

www.copticorthodox-divinejustice.com

سبب كل هذا الدفاع المتخوف من العلم والهارب من الفكر التحليلي المنطقي يمكننا أن نعزوه للغيرة الدينية الناقصة في العلم. هذا يمكننا إحتماله، ولو على مضض. ولكن ما لا يمكن إحتماله هو: نسب العنف في ناموس موسى، وإستنجاس المرأة بسبب إفرازات الطمث والنفاس، والمتزوجين بسبب المعاشرة الجنسية المقدسة، نسب هذه التعاليم كلها كأوامر ونواهي وآراء إلهية مطلقة الصحة، وأنها حق إلهي حرفي منزّل لا يقبل أي مناقشة، وإلا صار المناقش ملحدا زنديقا هرطوقيا، لا يؤمن بأن **الكتاب كله موحى به من الروح القدس!**

إنزال النار من السماء لتحرق أعداء المسيح كما فعل إيليا النبي قديما:

في بشارة القديس لوقا الإصحاح ٩ عدد ٥٤-٥٦ وبخ الرب تلاميذيه بشدة وإنتهرهما، لمجرد أنهما إقترحا عليه أن يفعلا كما فعل إيليا النبي في القديم، ويطلبا (هما وليس هو! ياللجرأة!) أن يُنزّل الله نارا لتحرق من لم يقبلوا يسوع المسيح من سكان تلك المدينة. فهل في هذا الطلب ومشابهة إيليا العظيم أي شيء يدعو إلى إنتهار الرب لتلميذيه؟ لا أجد أي مبرر لإنتهارهما في الحقيقة، إلا إذا كان الأمر المطلوب لا يتفق مع إرادة الله وصلاحه وأسلوب تعامله مع الخطاة، أي نحن جميعنا. **ولا أفهم هذا الإنتهار لو كان الرب في القديم هو فعلا من أراد ونزّل النار بكامل إرادته على أنبياء البعل**، وطلب من صموئيل قبلا، وبعدها من إيليا النبي أن يذبحا بالسيف مئات من الوثنيين أعداء العبرانيين. إن كان الله هو من أراد هذه المذابح قديما، فلماذا غضب الرب يسوع على تلميذيه لهذه الدرجة "**فإلتفت وإنتهرهما** وقال: لستما تعلمان من أي روح أنتما. لأن إبن الإنسان لم يأت ليهلك أنفس الناس، بل ليخلص". لو كان الله قديما هو من أمر بذبح الوثنيين أعداء اليهود، فكان عليه أن يتقبل أو على الأقل أن يشرح للتلاميذ أن أسلوبه قد تغير بتغير الزمان! ولكنه إنتهر ووبخ بشدة ملتفتا غاضبا من توجههم الذي لا يتفق مع إرادة الله وقلبه نحو الخطاة.

أما إنزال النار فكان بالأولى مطلوبا بشدة قبل القبض على يسوع وتعذيبه وصلبه، وهو مالم يفعله يسوع، ولا نزل من على الصليب منتصرا، كما أقتُرح عليه، ليبهر أعدائه. بل إختار بالأحرى أن يصبر قليلا، ثم يخرج من القبر منتصرا على الموت بعد ساعات ومخلصا أعدائه! أما المنطق البشري الجاهل بفكر الله وتدبيره، فكان يظن أنه لو كان الرب كرر فعل إيليا ولو مرة واحدة، لكان اليهود قد خافوه وإرتدعوا طيلة حياته على الأرض ... وبعدها! ولكنه حينئذ ما كان يستطيع أن يخرج من القبر منتصرا لنا أبديا!

فهل لا زلت أيها القارىء تعتقد أن الله هو الذي حرّض صموئيل وإيليا،

ومن قبلهم موسى ومن بعده، للقيام بهذه المذابح (بما فيها قتل كل ذكر حتى الأطفال والرضع!!!)، وترفض قبول أن الأنبياء أنفسهم هم مصدر هذا التحريض البشري الغير إنسانى؟ وإن كنت تؤمن أن التحريض على العنف يمكن أن يكون مصدره الله، فلماذا تنتقد أصحاب أديان أخرى متى أعلنوا أن عليهم واجب شرعي وتوكيل مباشر من الله أن يطهروا الأرض من كل كافر بقتله، لأنه لا يؤمن بعقيدتهم؟!!!

سمعتم أنه قيل: تحب قريبك وتبغض عدوك أما أنا فأقول: أحبوا أعدائكم ... باركوا لاعنيكم (متى ٥: ٤٣-٤٤):

بغضة العدو:

كان هذا تعليم ناموس موسى: "من أجل أنهم لم يلاقوكم بالخبز والماء في الطريق عند خروجكم من مصر ولأنهم إستأجروا عليك بلعام ... **لا تلتمس سلامهم ولا خيرهم كل أيامك إلى الأبد**" (تثنية ٢٣ عدد ٤-٦). وأيضا يطلب داوود النبي النقمة من أعداءه: "أعدائي يتقاولون عليّ بِشَرٍ ... أما أنت يارب فارحمني **وأقمني فأجازيهم**." (مزمور ٤١ عدد ١٠).

إن كان الرب هو معطي تعليم محبة الأعداء فلا يمكن روحيا أو منطقيا أو لاهوتيا أن يكون هو ملهم ومعطي تعاليم العهد القديم المذكورة هنا! أمامنا أحد حكمين أو تفسيرين لا ثالث لهما:

- **إما أن الله هو الذي أمر وإرتضى وأوحى وأملى بكامل إرادته** ما كتبه موسى عن الكراهية، والعنف والرجم وسبي النساء وقتل الأطفال والرضع، والإنتقام من الأعداء كما في دعاء داوود، في الفقرة المذكورة، ثم بمجيء المسيح نسخ الله ما كان قد علّمه قديما، وسلمنا تعليما بديلا، أو:

- إما أن **هذا التعليم هو تعليم الحضارة والثقافة البشرية في العهد القديم، وليس هو إرادة أو تعليم الله لنا أبدا. أي أن تعليم الكراهية والعنف وإستنجاس خليقة الله سواء بصورة مؤقتة (مثل المرأة الطامث والنافس والمرضى بأمراض جلدية وبعد المعاشرات الزوجية) أو بصورة دائمة (مثل إستنجاس بعض الحيوانات أو الأمميين لأنهم كفار غير مختونين) هذا كله والكثير غيره، مما لا يوافق تعاليم الرب يسوع الميسح، هذا كله تعليم بشري صرف.** وعندما جاء الرب إنتقد ورفض وأبطل (كما قال الرسل في الدسقولية) العنصر البشري في الناموس والأنبياء وثبّت وكمّل العنصر والتعليم الإلهي فقط. وهذا معنى أنه لم ينقض الناموس (ناموس المحبة والرحمة والمغفرة الإلهى) ولكنه إنتقد وغيّر وأبطل مفاهيم العنصر البشري في تعليم القدماء وتفسيرهم لطبيعة الله وكيف يحب الله أن نعامل الأحباء والأعداء، سواء بسواء.

لا يوجد مفر من تقرير أحد الحكمين، هنا وفي مواضع أخرى من العهد القديم. أعلم أن أي من الخيارين ليس سهلاً ولكني **أستطيع الدفاع بسهولة أكثر وبمنطق أفضل يمكن لأبنائي وبناتي من تعقله وقبوله إذا علّمت بالحكم الثاني وليس الأول.** فاليحكم القارىء.

أنا أعلم وأقدر مخاوف أبناء الكنيسة من نقد غير المسيحيين:

أعلم أن من لا يحبون الرب المخلص وكتابنا المقدس يشتموننا وكتابنا المقدس نهارا وليلا. وأعلم أن إختيار التفسير الثاني أعلاه سيدفعهم لإنتقادنا بشدة، على أنه لا يستقيم أن ندافع بقوة عن كون الكتاب المقدس هو كلمة الله ووحيه للأنبياء، **ونعترف أن يكون فيه عنصر تعليم بشري وغير إلهي.** ولكن علينا أن نعْلَمُ ونُعلّمهم: أن الكتاب المقدس هو كله كلمة الله حقا، ليس لأن حروفه وكلماته منزّلة ومملاة من السماء، **ولكنه كلمة الله لأنه يحكي لنا علاقة الحب**

الزوجي بين الله والبشرية وبين الإنسان وأخيه الإنسان. وبالرغم من خيانة الإنسان لهذا الحب والعهد، إلا أن الله لا يمكنه أن ينكر صدقه وقسمه وعهده مع الإنسان حبيبه، مهما خان الإنسان. ولكن الإنسان هو من ينفصل ويقطع العشرة مع الله ... الإنسان هو الذي يُطلّق نفسه من الله ... الإنسان هو عشماوي نفسه بسكين حرية إرادته وإختياره الإنفصال عن الحبيب الأول والأعظم! وفي هذه العلاقة هناك الحب وهناك الخيانة وهناك الرحمة والصراع والعتاب والضعف البشري والكراهية وجهلنا كبشر وخطايانا وتوبتنا ... إلخ. **ولكنه ليس كتابا هدفه تنزيل أوامر ونواهي وتهديدا برعب وعذاب القبر وما قبله وما بعده، ولا هو كتاب للتأريخ العلمي، أو بحث أو نبؤة مسبقة تشرح الإعجاز العلمي في العلوم التحليلية الحديثة.**

أعتقد أن العقلاء سوف يتفهمون هذا التفسير. أما المتطرفون فهم من لهم آذان ولا يسمعون ولهم أعين ولا يبصرون.

أعلم تمام العلم صعوبة هذا التفسير والفكر عند كثيرين، وأقدر فزع البعض أيضا! ولكنني أرى أن إعترافنا بوجود العنصر البشري في كل ما نقده وغيّره المسيح في قوله: "**قيل للقدماء ... أما أنا فأقول لكم ...**" هو أفضل الخيارين وأدق التفسيرين والأقل ضررا، في الأمد البعيد، لأبنائنا. هذا أفضل بكثير من أن ننسب العنف والبغضة للإرادة الإلهية. وأفضل منطقيا من أن ننسب هذا العنف لله لإصرارنا أن كل كلمة وحرف وتعليم في العهد القديم مصدره إلهي مائة في المائة، ولندافع عن صحة أن الكتاب كله موحى به من الله بصورة التنزيل الغير قابل للمناقشة. أعلم أن هناك من يعلّمون أن مصدر كتبهم الدينية هو تنزيل وإملاء إلهي صرف ليس فيه أي عنصر بشري. ولكن الأمر **الذي ندرسه هنا ليس هو مباراة رياضية لكسب أرقاما قياسية في ألوهية الوحي عندنا أو عند آخرين، ولا منافسة سياسية أو أخلاقية بين ديانتين على أرقام قياسية في دقة الحرف والنص.**

الكتاب المقدس لا يضيره من بعيد أو قريب أن يكون فيه عنصرا بشريا في تعاليمه القديمة الموسوية والنبوية، لأن الكتاب يعلمنا أنه " **تكلم أناس الله** مسوقين من الروح القدس،'' (٢ بطرس ١ عدد ٣١). أي أنه بالرغم من الوحي الإلهي المرشد للكُتّاب إلا أن من كتب وتكلم كان البشر. **ومن كتب، كتب بأسلوب عصره، بكل ما فيه من نقائص حضارية وثقافية وعلمية وروحية في تفهم طبيعة الله والكون بنواميسه.** وهذه كلها لم تعلن واضحة إلا في يسوع المسيح كلمة الله، أيقونته الوحيدة الكاملة، ورسم جوهره الوحيد المصدّق عليه من الآب السماوي شخصيا، وأيضا مع التقدم العلمي الملهم من الله ذاته عبر الزمن. عالمين أيضا أن بولس الرسول قد وصف العهد القديم على أنه: ''**العهد القديم، خدمة الموت، خدمة الدينونة**'' (٢ كورينثوس ٣ عدد ٧-٩)، وذلك بالمقارنة مع العهد الجديد ''العهد الأفضل'' (عبرانيين ٧ عدد ٢٢).

وإذا إخترنا التفسير والحكم بأن كل ما في الكتاب (من الأمور التي يعلمنا الرسل في دسقوليتهم أن الرب قد بطلّها بالتمام)، لازال في إعتقادنا أنه متزّلات إلهية بحرفيتها، فنحن نصنع سوطا وعصا للملحدين ليضربوننا على ظهورنا وظهور أبنائنا، والسخرية من كل ما هو إلهي، مجدفين على الله بسبب تشدد تفسيراتنا، كما نقرأ ونسمع يوميا في الغرب هنا. الملحدون مدّعو البر والتحضر الإنساني يضربوننا على ظهورنا وظهور أبنائنا لأن إله المحبة الذي شنفنا آذانهم عنه وعن تعاليمه، هو أيضا يُعلم في ناموس موسى، الذي نصر على أنه إلهي المصدر بتمامه وكماله وكل تفاصيله بصورة حرفية لا نقاش فيها، يُعلم الكراهية للأعداء والعنف والرجم وتحريم وقتل الأطفال والرضع، ولازلنا ندعي أنه يحثنا على المحبة للأعداء. فأي الخطرين والنقدين نقبل، لنا ولأولادنا؟

السؤال الذي أُواجَه به من المتشددين في تعليم حرفية وإلوهية كل تعليم وقصة وحرف في العهد القديم:

و السؤال الذي أواجه به من المتشددين في حرفية وإلوهية كل تعليم وقصة في العهد القديم، وإلزامية إيماننا بمعجزية كل ما هو ضد العلم الحديث والأخلاق الإنسانية من قصص ذكرتها قبلا، هو: **إن كنت تؤمن بالميلاد العذري للمسيح من العذراء القديسة مريم، وتؤمن بقيامة الرب من بين الأموات**، وهما معجزتان لا يقبلهما العلم، فما هو الداعي لأن تنسب أي تعليم أو قصة، للحضارة والتعليم البشري وليس لله مباشرة؟ (مثل تفاصيل قصة الخلق والسقوط الرمزية، ويونان والحوت وفلك نوح وتكلم الحية وحمار بلعام بلغة البشر .. إلخ) **لماذا لا تقبل أن هذه أمور معجزية هي الأخرى كميلاد المسيح من عذراء وقيامته المجيدة؟**

الإجـــابة:

أولا:

الرب يسوع المسيح كله هو معجزة الآب الواحدة الوحيدة، ونعمته لنا وعلينا. ليس فقط منذ لحظة الحبل به وولادته وموته وقيامته، بل منذ الأزل وهو في حضن الآب ومالىء الكون كله، خارجا عن أي تخيل للزمان والمكان، وإلى الأبد. **وأهم حدث في حياته على الأرض، بعد تجسده، هو قيامته من بين الأموات**، والتي شهد لها، ليس التلاميذ الأحد عشر فقط، بل خمسمائة شخص أكثرهم كان لا يزال حيا على الأرض، أيام كتابة بو لس الرسول عن تاريخ هذه المعجزة (١ كورينثوس ١٥ عدد ٦). وكلهم شاهدوا الرب في مشاهدة واحدة، مما يجعل إحتمال الكذب أو التخيل شبه منعدم. ولكن لا بد من تقرير أمر غاية في الأهمية: **تاريخية القيامة هي أمر إيماني في الأساس، ويعتمد على إعلان الرب نفسه لمن يريد الرب أن يعلن ذاته له، وليس بالإرادة البشرية للرؤية.**

و ذلك لأن الرب يسوع المسيح قام بجسده بعد أن تمجد، وليس كما كان في حالته الأولى قبل الموت على الصليب. لذا في كل ظهورات الرب بعد القيامة لم يكن ممكنا للمشاهد التعرف عليه بمجرد النظر إليه، إلا عندما يعلن الرب عن نفسه، وليس قبلها. **أما قيامة لعازر من الأموات فكانت "تاريخية مادية" لكونها قيامة جثة بشرية بنفس الطبيعة التي ماتت بها**، لذا كان يمكن لكل من يعرفه قبلا أن ينظر إليه ويتعرف على لعازر، القائم بجسد كان هو هو الجثة المقبورة قبلا.

لذلك قد يسمع البعض القول أن **قيامة الرب لم تكن قيامة "تاريخية" بالمعنى العلمي** الملموس للتاريخ أو تاريخية أية حدث، فيترعج السامع. **لأنه لو كانت قيامة الرب "تاريخية" بالمعنى العلمي المذكور لكانت مادية ملموسة يشهد لها الجميع كقيامة لعازر**، لكانت يشهد لها العدو قبل الحبيب لأن الرب يكون قد قام بصورة يمكن لأي إنسان رؤيتها، **وهذا لم يحدث**. لو كانت قيامة الرب ''تاريخية'' بهذا المعنى، لكانت مساوية لقيامة لعازر، ولكان الرب إذن قد قام بنفس الطبيعة الجسدية الأرضية غير الممجدة التي مات بها. ولكان أي ناظر إليه يمكنه التأكد ''تاريخيا ومكانيا'' من أن الذي ينظره هو هو جسد المسيح الذي قُبر قبلا بكل صفاته القديمة، وأنه مجرد جثة قائمة من موت مساو لموت وقيامة لعازر.

ولكن قيامة الرب الروحية هي **قيامة بنظام ومجد الملكوت الأبدي، غير الزمني، الغير خاضع لحواسنا البشرية**. قيامة روحية قام فيها الرب بكيان كامل من جسد وروح، ولكنه جسد لا يخضع للنواميس الطبيعية التي نعرفها. فنقول عنه أنه جسد ''**مُمجد**''، أي مرتفع عن قوانين الطبيعة المادية. أي ليس لقوانين الطبيعة التي تحكم أجسادنا وإمكانية إصابتها بالأذى أو المرض أو الموت أية سلطان على هذا الجسد الممجد. وهذا ما تعنيه الكنيسة في وصفها لجسد الرب الممجد أن ''جسد الرب بعد القيامة قد **تألـــه**''، أي أصبحت له صفات النور والمجد والكرامة اللواتي لأقنومه الإلهي منذ الأزل. الصفات التي كانت قبل الصليب مخفية عن أنظارنا، إلا عند تمجده لحظيا على جبل طابور لثلاث من تلاميذه.

ولتبسيط الأمر أذكّر القارىء بأن **المادة الكثيفة يمكن تحولها إلى طاقة لها**

طبيعة شفافة غير طبيعة المادة الكثيفة، ولكنها في ذات الوقت **إمتداد** للمادة الكثيفة عينها، وليست خيالا ولا شبحا ولا روحا بلا جسد. وفي هذه الحالة التي تحولت فيها المادة إلى طاقة شفافة، لا يمكننا التعامل مع المادة المتحولة لطاقة هذه (= الممجدة – للتشبيه فقط) بذات القوانين الطبيعية التي تمكننا من تحسس المادة الكثيفة بالحواس الخمس. فكان الرب يدخل ويخرج وليس للمكان أو الزمان عليه من تحكم أو سلطان. **وفي كل ظهوراته بعد القيامة لم يكن أحد يعرفه إلا لو أعلن الرب عن شخصه الممجد.** وهذه الظهورات لازالت تحدث ليومنا هذا، منذ قيامته، لأشخاص كثيرين ومن مختلف الشعوب والديانات.

فقيامة الرب هي معجزة المعجزات. **وهي وحدها تكفي لإيمان الإنسان المسيحي دون أي معجزة أخرى.** وهذا ما يقرره بولس الرسول: "**إن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا وباطل أيضا إيمانكم**" (١ كورينثوس ١٥ عدد ١٤). وفي هذه الفقرة يقرر بولس أن قيامة ربنا يسوع المسيح هي وحدها كافية لإثبات مصداقية كرازتنا وإيماننا – هذا ليس تنكرا لمعجزاته الأخرى، بل فقط للتأكيد على أهمية ومركزية قيامة الرب وجوهريتها لإيماننا. والإستنتاج الجوهري من رسائل بولس الرسول كلها، مع هذه الفقرة المذكورة، أنه: لو لم تكن هناك أي معجزة أخرى في حياة المسيح، منذ البشارة للعذراء وحتى الصعود، غير القيامة من الأموات وحدها، لكانت القيامة وحدها تكفي لتأكيد مصداقية كل ما قاله وأعلنه وعلّمه الرب يسوع المسيح إبن الله الحي. والدليل الأكيد على صحة هذا، هو أن الرسول بولس لم يذكر، أو ينوه عن، أو يتساءل عن أية معجزة في حياة الرب غير القيامة وحدها. فليتأمل القارىء.

فلو حاول غير المؤمن أن يحاورك أيها القارىء لا تدخل أو تستدرج إلى صغائر الأمور ومحاولة إثبات هذه المعجزة أو تلك. ولكن ركز إهتمامك وكن ثابتا في حوارك **على تاريخية الرؤيا** التي رواها لنا التلاميذ وبولس الرسول والخمسمائة مؤمن الذين ظهر لهم حيا قائما ممجدا دفعة واحدة، ومنهم من إستشهد أساسا

لتصميمه على الإعلان والكرازة بهذه القيامة العسرة التصديق. هذه وحدها، وليست شهادة أي معجزة أخرى (حتى معجزة الميلاد العذري من العذراء القديسة مريم والذي ليس له شهود بكثرة شهود القيامة لمحاورة غير المؤمن) كافية. القيامة وحدها بشهودها، والذين إستشهدوا لإصرارهم على إعلانها بالرغم من غرابتها، كافية لتسترعي إنتباه غير المؤمن، كعلامة لمصداقية الرب وتلاميذه، وأن كل ما قاله عن مساواته بالآب هو حق، في الغالب الأغلب، أو على أقل تقدير إدعاء أو إعلان لا يمكن تجاهله بسهولة.

هذا إن لم يكن المحاور، غير المؤمن بالرب، يحاول إدعاء أن كلام الرب ربما كان كذبا أو إختلالا عقليا أو تأليفا من التلاميذ. وإن أخذ المحاور هذا المسلك فذكره أن ألد أعداء الرب لم يقدروا على نسب الكذب أو الإختلال العقلي له، بل فقط إتهموه بالتجديف لأنه جعل نفسه مساويا لله. وبالنسبة للتلاميذ قل: من غير المنطقي أن يموت عشرة تلاميذ (و كثيرون بعدهم) كشهداء من أجل كذبة مؤلفة بدون تراجع أحد وإعترافه بالكذب. فيتبقى عندنا إحتمال الصدق الحقيقي والذهول، ولنقبل مصداقية القائل أنه كان كائنا قبل أن يكون إبراهيم (يوحنا ٨ عدد ٥٨)، وأنه هو والآب واحد (يوحنا ١٠ عدد ٣٠-٣٨)، ومن رآه فقد رأي الآب (يوحنا ١٤ عدد ٩). هذا الإدعاء لا يقوى عليه إلا من حل فيه كل ملء اللاهوت جسديا بالحق (كولوسي ٢ عدد٩)، لأنه إدعاء مرعب لأي كاذب، ومدعاة للسخرية من أي مختل. وأما الرب فمتى قال هذا عن نفسه ليس أمامنا إلا التصديق أو الرفض المباشر. أما تكذيب الرافض لإعلان الرب عن وحدانيته مع الآب وأزليته، أو وصمه بالجنون، فليس محتملا، لا في الماضي ولا الحاضر ولا المستقبل، لكل من قرأ وأدرك، ولو عن بعد، عن حياة الرب يسوع المسيح إبن الله الحي، ومصداقية شخصيته وسمو تعاليمه بدون أي تطلع لمجد مادي، بل أنزل نفسه إلى مهانة ترابنا حرفيا صائرا في صورة العبد.

ثانيا:

في عالمنا الحاضر تحدث المعجزات ولكن بصورة نادرة. لذلك **فكثرة التفسير المعجزي**، والذي يعتمد على التفسير الحرفي لكل ما يبدو مستغربا من أحداث وقصص في العهد القديم، يبدو لعموم الناس، وخاصة غير المؤمنين منهم، أنه **مبالغة تثير الرفض أو حتى السخرية، من الله والكتاب المقدس والمؤمنين.** وذلك لأن كثرة الحديث عن، أو توقع أو الإستخفاف بإمكانية وسهولة، أن يكسر الله قوانين الطبيعة التي سنها بكامل حكمته، لأننا نريده أن يصنع أعجوبة، هذا كله في حقيقة الأمر ضعف إيمان، وتحدي لإرادة وحكمة الخالق. وأعتقد أن هذا التوجه هو أيضا ضد الوصية: **لا تجرب الرب إلهك.** كثرة المبالغة في قصص المعجزات والتفسير والقراءة المعجزية لأحداث كثيرة في العهد القديم (و سير القديسين – مثلا في السنكسار)، تجعل الكتاب المقدس يشابه قصص الأطفال والخيال العلمي أكثر من الحياة الواقعية في بعض أجزائه. وكم من أسرة صلّت لمعجزة شفاء، وعندما لم تحدث لأحبائهم فقد بعض هؤلاء إيمانهم؟ لأننا صورنا لهم أن المعجزات فقط تحتاج لرغبتنا وإيماننا، ولعلها أيضا قد تباع وتشتري بالنذور ووعود التوبة في بعض الأحيان، وهم لا يعلمون أن **كسر الناموس الإلهي الكوني بالمعجزات ليس أمرا مستحبا** لا لله ولا لثبات الكون **(و لكنه غير مستحيل عند الله).**

الرب خلق العالم بحسب الناموس الطبيعي، مثل قانون الجاذبية والجوع والعطش، ونهاية الحياة الجسدية بسبب المرض أو الإصابة، لأن الإنسان خُلق **غير خالد بالطبيعة**، كما أكد القديس أثناسيوس (كتاب التجسد الإلهي الفصل ٤). نؤمن أن هذا هو **الإختيار الأول والأفضل** في فكر الخالق يوم خلق هذا القانون الطبيعي. ولو كان الله يفضل نظام المعجزات لإستحالت الحياة على الأرض، ولكان الكون في حالة إضطراب كارثي وفشل دائم، لأن ليس هناك من نظام وناموس ثابت يُسيّر الكون، **إذا كان الله على إستعداد لكسره عند الطلب.**

إذن علينا أن نتفهم أن أفضل الخيارات عند خلق الكون هي ما سوف نخضع له في حياتنا وعند مماتنا، إن كنا مؤمنين حقا بحكمة الخالق المثلي والمطلقة الصحة والكمال، حتى وإن إختلفنا معه في الرأي أحيانا! فنحن نعلم أن ''كل الأشياء تعمل معا للخير للذين يحبون الله''، وبدون أي معجزة. وميلادي مثل يوم إنتقالي إلى السماء، كلاهما حوادث طبيعية وهما أعظم من معجزة: **الواحدة أتت بي للحياة الإبتدائية، والأخرى تأخذني للحياة الأبدية، فأيهما أعظم؟**

التشدد في التفسير الحرفي لقصص مثل قصة آدم وحواء والحية، والطوفان وحوت يونان، والحية التي تكلمت بلغة البشر، وكذلك حمارة بلعام ... إلخ، هذا التشدد لا يعطي للكتاب مصداقية أكبر، ولا لله مجدا أعظم، بل للأسف الشديد يدفع الناس لتجديف أفظع، وتهكم أقذع على الله والكتاب المقدس وإيماننا كله. إسمعوا ماذا يقول الملحدون في الغرب لأبنائنا في كل فصل دراسي وبرنامج علمي في وسائل الإعلام وأنتم ترون عظم التجديف الذي ألفت له الكتب والمجلدات الإلحادية، ونحن سببه المباشر.

لو حاولنا شرح رمزية هذه القصص وكيف أن أسلوب الكتابة في القديم لم يكن ملتزما بإتباع الحرفية والدقة العلمية التي نقيس بها نحن أي عمل أدبي أو علمي اليوم، لأدركنا كيف نقرأ ونفسر ونشرح للناس، ولأبنائنا قبلهم، ما أسماه أوريجانس: ''**أسرارا لها هذا الشبه التاريخي**''، أسرار حقيقية حدثت في القديم، ولكن ليست بهذه الحرفية المكتوبة بها ليفهمها أناس عاشوا منذ ثلاثة آلاف سنة. لو فعلنا هذا لتجنبنا تجديفا وحربا مستعرة ضد أبنائنا وتحديات مؤلمة من الملحدين، نحن جيل الآباء مسؤلون عنها بالضرورة، لضيق أفقنا وعدم رغبتنا في مراجعة منهج التفسير وإدراك أسلوب الكتابة منذ ثلاثة آلاف عام.

لم يقصد كُتّاب العهد القديم أن يكتبوا لنا تأريخاً علمياً حرفياً، أو علماً تحليلياً، بالمعنى العلمي الحديث، كما يظن الكثيرون:

هذا لم يكن على فكرهم ولا كان يهمهم ولا كان أمرا موجودا في أيامهم! بل كانوا يكتبون تعليما روحيا أخلاقيا هدفه إظهار محبة الله وعنايته بالخليقة. هدفهم كان إظهار وتمييز الخير من الشر، والحب من البغضة، وكيف نرحم ونغفر ولا نكره وندمر الآخر أو الخليقة. ومن يحيا بعكس ذلك يعاني الأمرّين هو ومن حوله. هذا كان هدف كل قصة وتعليم في القديم. أما نحن فنحاول جاهدين أن نبحث فيما كُتب قديما على الدقة التليفزيونية الحرفية، في كل ما كتب، والدقة العلمية الحرفية في إعجاز الحية والحمار اللذان تكلما، والحوت الذي بلع بشرا وتقيأه حيا بعد ثلاثة أيام، بمعجزة.

نحن نحاول أن نحكم على أسلوب وهدف الكتابة منذ ثلاثة آلاف عام بحسب قواعد التحليل المنطقي والنقد الأدبي الحديث، والتأكيد على الصحة العلمية والتأريخية بحسب قواعدنا المعاصرة، لقصص لم يكن في فكر كاتبها أن صحتها العلمية أو التأريخية لها أي إعتبار أو أهمية تذكر، خاصة وأن العلم التحليلي بمعناه المعاصر، والتأريخ العلمي بمعناه الحديث في أيامنا، لم يكن لهما أي وجود قبل مائتي عام من أيامنا. **توجُهنا لشرح الكتاب المقدس في القصص المذكورة وأمثالها، بحسب فهمنا العلمي والتاريخي الحديث أمر يدعو للشفقة والأسى والحزن العميق على الأجيال القادمة، ويدعو للسخرية على أجيالنا الحالية ، بسبب ما ينتج من هذا الدفاع الخاطىء عن مصداقية الكتاب المقدس من تجديف من قِبَل الملحدين بسببنا.** نحن نبدو كمن يحاول أن يقيس درجة الحرارة مستعملا مقياس الأمتار، أو يقيس الأطوال بميزان الحرارة، أو يقيس الأوزان بمقياس ريختر لذبذبات الزلازل!

الرب قال عن نفسه أنه باب الخراف، وحجر الزاوية، والكرمة الحقيقية، وماء الحياة ... وو إلخ. والرب ليس بابا خشبيا ولا كتلة حجر ولا شجرة

كروم ولا سائل مائى!!! ... ولكن كل ما قاله عن ذاته رمزيا له معنى كياني شخصي ووظيفي حقيقي جدا جدا جدا. وهنا تظهر ضرورة التمييز بين ما هو ''**حق حرفى**'' (كميلاد المسيح وموته على الصليب وقيامته) وما هو ''**حق مجازي رمزى**''. كلاهما حق، ولكن مصداقية المجاز لا تحتاج أن تكون مصداقية حرفية لإثبات أن المجاز حق، وإلا تحول المجاز إلى أسطورة سخرية!!!

أذكروا الأمثال التي قصها الرب يسوع المسيح على الناس (الإبن الضال، أصحاب الساعة الحادية عشر، السامري الصالح، أمثال الملكوت كلها، والغني ولعازر ... إلخ) **هذه كلها خبرات إنسانية حقيقية جدا، ولكن ليس فيها واحدة قال عنها الرب أنها حدث تاريخي أو علمي**، أو قد حدثت حرفيا كما رواها. فهل أضعفت هذه الرمزية في أمثال الرب من هدف القصة أو صدق قائلها أو مصداقية الكتاب الذي نقلها إلينا؟ ذِكرُ الرب لقصة يونان والحوت أو فلك نوح لا يجعلهما قصصا تاريخية حرفية علمية، بل يجب قراءتهما كما نقرأ أمثال الرب المجازية الغير تاريخية السابق ذكرها تماما. الهدف من ذكر فلك نوح ويونان والحوت هو ''**المثال والتشابه**'' بين **جزء** من القصة الأدبية الأخلاقية الروحية الملهَمة في القديم، والفكرة التي يتكلم عنها الرب في حديث أيامه.

قصة الخلق والسقوط:

لو قبلنا هذا الطرح فلن نجد صعوبة في قبول أن **قصة الخلق والسقوط (تكوين ١-٣) هي قصة روحية تعليمية رمزية وحقيقية، ولكنها تحكي لنا بالرمز معنى الحقيقة الكيانية (وليس الحقيقة الحرفية المادية) لتدبير الله في خلق الإنسان والكون.** تحكي لنا ما أسماه أوريجانس: ''**أسرارا لها هذا الشبه التاريخى**''، وليس حرفية الخلق العلمية أو التاريخية. تحكي حقيقة أن الله خلق الكون بنظام بديع (ستة أيام)، وتحفته الرائعة الإنسان ظهرت أخيرا (أيا كان زمان ومدة

وطريقة هذا الظهور والتطور البيولوجي الإنسانى). فخلق الله الإنسان بتميّز جنسي بين الرجل والمرأة، من أجل الحب والمعونة من شريك مساو في الطبيعة (ضلع آدم جسد حواء) والكرامة (معينا نظيره). لأن الله أراد للإنسان أن يأكل من كل شجر الجنة، أي يتمتع الإنسان بكل ما وهبه الله في هذا الكون للفرح. ثم بحرية إختيار الإنسان وبمشورة شريرة في الفكر (كذب الحية) وليس بحديث مباشر من حيوان مسكون بالشيطان، خرّب الإنسان نفسه وحياته الفرحة (الجنة) لأنه أراد أن يتأله (تصيران مثل الله)، ولكن بمفرده بدون نعمة الله وطاعة الوصية.

خلق الإنسان كانت غايته هي فعلا **تأليه الإنسان، أي صيرورتنا النهائية على صورة الله كشبهه بالتمام**. أي أن هذا التأليه، في القصد الإلهي وغايته، كان سيتم بمشابهة الله كمثاله، في كمال هذا الوعد النبوي، عن طريق دوام علاقة المحبة بين الله والإنسان. وذلك لكي ونحن ناظرين مجد الرب كل حين نتحول "**من مجد إلى مجد إلى تلك الصورة عينها**" بالحب (٢ كورينثوس ٣ عدد ١٨)، وليس بالإنفصال عن مصدر الحب بالمشورة الشريرة. لأنه كما يؤكد لنا يوحنا الحبيب: بدون أن نتحول ونكون "**مثله**" (أي مثل المسيح، شركاء الطبيعة الإلهية، كقول بطرس الرسول) فلن نستطيع أن"**نراه كما هو**"، هذا مستحيل (١ يوحنا ٣ عدد ٢). ويرمز **تعري** الإنسان في قصة آدم وحواء إلى التعري من الفرح والسعادة والسلام الداخلي، وإلى إكتشافه أنه لا يمكنه، بأوراق تين التلهي بالمادة وحدها، أن يستر وحدته وتغربه ويغطي فشله، ولا حتى بأقمصة من جلد. وبدأ عهد المعاناة (الطرد من الجنة). ولكن الرب وعد أنه سوف يرد الإنسان يوما إلى"**رتبته الأولى**"، تلك التي خُلق متعطشا ومشتاقا إليها بأرَقٍ روحي وشهوة عظيمة، وإن كان لم يختبرها تاريخيا بعد، والمرموز لها بالجنة.

هذا تعبير شعري رمزي عن حقائق كيانية عميقة وحقيقية جدا في كل إنسان، لكن بصورة شعر عبراني. فآدم (= السيد تراب – أديم الأرض) وحواء (= حياء = السيدة حياة – أم كل حى) هما حقيقة رمز حقيقي جدا لبلايين البشر الذين عاشوا منذ ظهور الإنسان.

وليسا آدم وحواء هما أول زوجين تاريخيين من البشر تمشيا على الأرض بدون سرة للبطن (لأنهما لم يولدا من بطون أمهات ولهم حبل سرى)، منذ ٥ آلاف سنة قبل الميلاد، كما حسبت التواريخ حرفيا من أنسال العهد القديم. والعلم الحديث يقول لنا أن خلق الكون حدث منذ حوالي ١٦ مليار سنة، وكان ظهوره من العدم ! وبدايات ظهور الإنسان على هذه الأرض يقدر بـــ ٣- ٤ ملايين فقط من السنين، والإنسان الحديث العاقل ظهر منذ حوالي مائة الف عام. وقرار أبيات الشعر العبراني هي فى: ''و كان مساء وكان صباح يوما ثانيا'' .. ثالثا .. رابعا .. إلخ. **هذه كلها حقائق كيانية وليست حرفا تاريخيا ولا علميا، بمعنى العلم الحديث.** فإن قلنا أنها صور شعرية لحقائق لا يمكن لإنسان سردها علميا وحرفيا أيام كتابتها (و لا حتى في أيامنا) فهذا لا يُنقص صحة الحقائق المرموز إليها، ولا ينقص مصداقية الكتاب المقدس.

فهذا الشوق والحنين الأصيل للكمال في الإنسان (الحياة في الفردوس) هو الأصل في هدف خلقة الإنسان العميق في فكر الله وعطش الإنسان للكمال والتأليه، بمشابهة الله. وهذا ما جعل **الكمال يُذكر أولا لأولويته الكيانية الجوهرية في الإنسان، ثم تلاه السقوط من الكمال والمعاناة.** ولكن التاريخ البشري يحكي لنا أن الإنسان خُلق في الضعف والمعاناة أولا، وأن هذا الشوق والحنين لحياة سعيدة كاملة مع الله والخليقة سوف يتحقق يوما ما، بتآزر جهاد الإنسان ومعونة الله، في الملكوت الأبدي. ولكن لأن المعاناة، والسقوط بعيدا عن حلم الكمال الإنساني، هو أمر أقل أهمية، فيذكره سفر التكوين على أنه سقوطا من الحلم الكامل والعميق، ولذا جاء ثانويا وليس أوليا أو جوهريا.

فهل يُنقص التفسير والقراءة الرمزية هذه، كما يقدمها الكثيرون من دارسي الكتاب المقدس خاصة عند الكاثوليك، من مصداقية الكتاب المقدس؟

[راجع الفيديوهات الخاصة بـــ '' **داروين والتطور، وآدم وحواء**''و كتاب ''**كيف نفهم اليوم قصة آدم وحواء**'' على موقعي عن العدالة الإلهية]:

www.copticorthodox-divinejustice.com

المقالة الرابعة

الهرطقات والإلحاد والإيمان

مقدمة:

كلمة «هرطقة» مشتقة من الكلمة اليونانية (ايريسيس – وبالإنجليزية: هيراسى) وهي تعني «الإختيار» أو «المُختار/ المُنتقى» والمفضل من فكر ما. وترجمتها العربية «بدعة». والهرطقة مسيحيا تعني **إختيار أو تفضيل فكر عقيدي يخالف جوهر العقيدة وثوابتها، والمعلنة جوهريا وأساسا في قانون الإيمان.** ولكن ليكن واضحا غاية في الوضوح، أن الإختلاف في الرأي أو التفسيرات أو الطقوس (كما شرحت في المقالة الأولى عن ما هو مطلق وما هو نسبى) أو أسلوب السلوك التطبيقي لوصايا الرب يسوع المسيح، بالمكان والزمان والثقافة، لا و لم تحتسبه الكنيسة على أنه هرطقة، ولذلك لم تعقد له مجامع أو تجرمه. **ولم تُجرم الكنيسة الخلافات الفكرية في التفسيرات والآراء، التي لا تتعارض مع ثوابت العقيدة، كما صاغتها الكنيسة في قانون الإيمان.** إلا أنه كما سبق وكتبت: المتشددين من المعلمين قد يتهموا ظلما المختلفين معهم في التفسيرات والآراء بالهرطقة، فقط ليتخلصوا منهم، ولكي يثبّت المتشددون تفسيراتهم وآرائهم، على أنها مطلقة الصحة مثلها مثل العقيدة ذاتها، أو يدّعوا أن تفسيراتهم وآرائهم النسبية أصبحت مطلقة وأنها هي العقيدة المسيحية ذاتها!

وهذه جريمة كبرى في حق الكنيسة وأبنائها، يجب على العارفين والقديسين التصدي لها دائما: إختبروا الأرواح.

الغنوسية هي أم الهرطقات كلها لأنها معلمة إحتقار المادة، والجسد (وإحتياجاته البيولوجية والنفسية) ومن ثم رفض التجسد الإلهي تباعا:

هذا التوجه العقيدي له تاريخ طويل، يسبق ميلاد المسيح، وبدأت تأثيراته منذ أن دخل أناس من الغنوسيين للمسيحية، وحاولوا صنع كوكتيلا واحدا من المسيحية والغنوسية معا. وهذا التوجه الذي يحتقر المادة والجسد، وبالتالي يرفض أي تعليم عن تجسد إبن الله وكلمته تجسدا وتأنسا حقيقيا، هو يشكل الجذر الرئيسي والجوهري لكل الهرطقات تقريبا، في الماضي وأيضا في الحاضر، كما سوف يرى القارىء، وكما سنرى في الإقتباس الآتي والذي يطول **لعدة صفحات**[بين الأقواس المربعة] والهام والقيم جدا من كتاب "**الدسقولية، تعاليم الرسل**"، للمستشار الدكتور وليم سليمان قلادة، الطبعة الثانية، الناشر دار الثقافة، ص ١١٧-١٢٤:

[تعتقد الغنوصية بأن **خالق هذا العالم ليس هو الإله الأعظم الطيب صانع الخير**، بل إن **صانع العالم هو قوة شريرة ملعونة، عدو للإله الحقيقي**، يحاول أن يحاكى الطبيعة اللانهائية الثابتة، الخالدة البريئة من الحدود والأزمان. فكانت دورة الزمان محاكاة مشوهة للأبدية والخلود. وهكذا تصبح عقيدة "**الصانع**" (ديميرج) **ثنائية محكمة**، فثمة تقابل بين الإله الخفي المفارق المتعالي الطيب، وبين خالق العالم المنظور – الذي هو صانع شرير، وقوة أدني من إله النور والخير. طبقا لهذه الثنائية يوجد عالمان متقابلان – **عالم الروح وعالم المادة**.

و تروي الأساطير الغنوصية بأساليب شتى كيف أن أصل الإنسان كان في عالم الروح. ولكن **القوى الشيطانية هزمت الإنسان الروحاني الأول الذي كان في العالم غير المرئي** – هزمته دون أي خطأ أو إختيار إرادي أو مسؤلية، وفتتت كيانه، ومن بقاياه تم صنع العالم الحاضر، عالم الفوضى والظلمة. وتسهر هذه القوى كي ينسى الإنسان الراهن أصله الأول – ففقد الإنسان الثقة في نفسه

وفي العالم المحيط به، الذي سقط إليه من عالم الروح. إن الحياة الحسية ليست مادة تحتاج إلى عقل ليمنحها شكلا، وليست شيئا غريبا، يمكن للإنسان الحكيم، كما قال الرواقيون، أن يعطيه ظهره وأن ينسحب منه إلى كيانه العميق. بل **إن الفوضى كامنة في المادة، ونفس الإنسان عدو له وتستعبده.** ففيها تكمن قوى الظلمة بكل جبروتها. وكل فكر أو عمل للإنسان ملوث بالسم الشيطاني. فالروح الأصيل الأول ليس فقط مختلفا عن جسم الإنسان، بل وعن نفسه الحالية أيضا. ذلك أن الواقع الذي يحيا فيه الإنسان أصبح من السوء والقسوة حتى أنه لم يعد وحسب أقوى من قدرته، بل قد تغلغل في داخله و**صارت روحه نفسها عدوا له** تكمن فيها قوى الظلمة تقهره وتذله. وليس من وسيلة فعالة لأية محاولة لجعل العالم مكانا أفضل.

بل إن القبح والسوء الكائنين في العالم لم يصلا فقط إلى داخل الإنسان، بل لقد رأينا أن **الشر نفسه قد تغلغل إلى عالم الألوهة والمطلق.** فصار هذا أيضا مجالا للإنقسام والثنائية. وأصابه الصدع فكان صانع العالم نفسه مصدرا للشر. ومن هنا إستحالة الخلاص – فالصانع نفسه شرير، أو بتعبير آخر جعلت الغنوصية الصانع على صورة الإنسان في حالة السقوط والإنهيار. **أما الإله الطيب فلا يمكن أن يتصل بعالم المادة الذي هو غير قابل للخلاص.** والشر الذي تفسره أسطورة السقوط يرجع إلى حادث وقع في عالم الألوهة – ليس الإله الطيب الأعظم أو الإنسان مسؤلين عنه. ومن هنا إبتعاد هذا الإله وعدم مسؤلية الإنسان وبالتالي إستحالة التغيير.

الخلاص بالمعرفة. كيف يتحقق الخلاص إذن؟

الفكرة الأساسية هنا هي أن الخلاص لا يمكن أن يكون حدثا حقيقيا واقعيا في إطار هذا العالم. بل لابد أن يكون حدثا أخرويا، وهو إنحلال بقايا الذات الحقيقية وانفصالها عن الجسم والنفس. وهو ما يأتي به الموت. فتعود ومضة النور الأسيرة إلى عالمها الأول وبهذا يكتمل الخلاص ... . فالإنسان الروحاني

يخلص بالمعرفة ... .
فإن العنصر الروحي فيه يبدأ في التحرر من إرتباكات المادة ويستيقظ من سباته ... .
و التفكير الغنوسي في صميمه أسطوري تقع أحداثه خارج الزمان. ... ويحس الغنوسي بأنه **لا ينتمي إلى وطن** – لقد ولى زمان دولة المدينة وما صاحبها من اعتزاز المواطن بانتمائه إليها ... .
على أن الخلاص من العالم الحاضر كان طبقا لبعض التعاليم والممارسات الغنوصية، يتم بالتحرر الكامل من الإلتزامات والقواعد الأخلاقية التي يفرضها المجتمع. فهذا **المجتمع غير جدير بالاحترام**، ومن هنا ضرورة التحلل من نظمه ومن أخلاقه. فالغنوصية ظاهرة تؤدي إلى توهم معتنقيها أن ذروة ممارسة المثل الأعلى الديني هي في التنصل من مسؤلياتهم الإنسانية، والاندماج في عالم خيالي تنشط فيه الرموز، ويمتلىء بشعور الضياع في العالم واليأس الكامل منه.
و من الممكن أن **يؤدي التحلل من مبادىء النظام الراهن إلى نقيضين**، وإن كان الاثنان لهما نفس المنطلق. فبعض الجماعات كانت مفعمة بشعور **الاشمئزاز من المادة وعلاقات الجنس** على وجه الخصوص. ومن هنا الدعوة المتطرفة إلى إلتزام النسك والامتناع عن الزواج وولادة الأولاد خصوصا، وأن هذا يؤدي إلى التعجيل بفناء هذا العالم الشرير. وبعض الجماعات الأخرى كانت ترى في **الإنغماس غير المنضبط في الممارسات الجنسية نوعا من الثورة** على المجتمع وتحطيما لما يحترمه من مقدسات.

ذلك أنه بحكم أن الغنوصي يقول إن جوهره جذوة إلهية – روح، فليس ثمة صلة من أي نوع، يمكن أن تربطه بعالم الزمان والمادة والجسد. وبهذا يمكن أن يعتبر نفسه غير مخاطب بالقواعد والأوامر الأخلاقية التي تنظم هذا الواقع الإجتماعي، والتي هي من وضع الصانع الشرير، فضلا عن أن كل ما يفعله الجسد ليس إلا أمرا مؤقتا عرضيا زائلا لأنه لا يمس الذات الحقيقية التي هي الروح. وينتهي الأمر إلى عدم مسؤلية أخلاقية تبرر أي تصرف. ...

وتعبر الغنوصية عن عجز تام في القدرة على تغيير العالم. ويأس من إمكانية الخلاص في إطاره حتى بتدخل يأتي من جانب الله. إذ كيف يمكن أن يحدث ذلك؟ **إن المادة هي عدو الإله الطيب، وهي عاجزة عن – بل مناهضة لأي إمكانية لتحقيق الصلة بينهما. الله نفسه لا يستطيع عبور الهوة بين النقيضين.** فإله الخير الطيب لا يستطيع أن يخلص إلا ماصدر عنه، والخليقة ليست من عمله. والخلاص لا يتحقق إلا بالحب، وهذا يفرض على المخلص أن ينفذ إلى عمل الصانع الشرير ليحقق بالحب الخلاص، بينما كل ما يعمله إله الخير هو الابتعاد المتواصل عن هذا العالم المادي، و**إبقاء الفاصل الحاسم بيت الألوهة والمادة متسعا وبلا حدود.** ...

و إذا أردنا إستخدام تعبيرا مستمدا من قصة الخليقة في سفر التكوين، نقول أن الغنوصية تتمسك بشجرة المعرفة وتكتفي بها وترفض شجرة الحياة. وطالما أن الصانع الردىء قد حبس آدم وحواء في الشقاء، فإن الحية تكون هي محررهما. وما وعدهما به من المعرفة يكون هو الصواب.

و في التحليل الأخير، فإن **الغنوصية تترك الواقع السيء كما هو، وتواجهه في عالم التخيل والأسطورة.** فينتهي الأمر إلى تثبيت الشر والقهر. **ولهذا فهي لحظة توقف في طريق التطور الأخلاقي والديني.** وكل ما أدت إليه الغنوصية أنها نفخت في اتباعها إحساسا مبالغا فيه بأنهم يكونون صفوة ثقافية روحانية أرستقراطية، لا تهتم بالواقع ولا تحاول تغيره. ...

ما هوموقف المدارس الغنوصية من العقائد المسيحية الأساسية، وبالذات عقيدتها في خلق العالم، وفي الفداء؟

أولا: إن الثنائية التي قال بها الغنوصيون بين الله والمادة، أدت بهم إلى التعبير لاهوتيا عن هذه الثنائية بإقامة **تناقض جذري بين إله العهد القديم وإله العهد الجديد.** فالأول يرتبط بخلقة هذا العالم الشرير، وليس ثمة صلة بينه وبين إله الموعظة على الجبل. وقد اقام مارقيون — وهو أحد اقطاب

الغنوصية، ثنائية لا تقبل التوفيق بين الإنجيل والناموس، بين إله العهد القديم الشرس القاسي وإله العهد الجديد المحب الرحيم. ورفض مارقيون الإعتراف بالعهد القديم كجزء من الكتاب المقدس.

ثانيا: إن الغنوصية **رفضت قبول إمكانية ظهور الله في الجسد. هذه إستحالة لأنها تعني التوفيق بين نقيضين لا يمكن التوفيق بينهما.** ولمحاولة التوليف التلفيقي مع المسيحية قالوا إن العنصر البشري في المخلص لم يكن جسدا حقيقيا بل كان مجرد خيال لخداع قوى الشر وإخفاء حقيقته عنها.

وفي حقيقة الأمر فإن **الدوسيتية "الخيالية" كانت تمثل بالنسبة للمسيحية الأولى الهرطقة الرئيسية.** ذلك لأن الخياليين لم يستطيعوا إستيعاب مدى الإخلاء الذي إرتضاه الإله لإنقاذ الإنسان. **فنزهوه عن التجسد الحقيقي، ورفضوا القول بصلبه – بل لديهم أن المصلوب شخص آخر غير يسوع.**

قال مرقيون:

"لما وجد إله الخير أن إله الشر قد بسط نفوذه على الأرض في وجود إله اليهود عليها، أرسل كلمته إليها لكي يقضي على الأول وينسخ شريعة الثاني. فجاء المسيح في غلاف سماوي. وغلاف مثل هذا لا يمكن القبض عليه أو إلحاق الأذى به. وبينما كان يقوم بالمهمة التي أتى من أجلها حاول اليهود القبض عليه، فوقعت أيديهم على غيره. ولذلك فإن **الذي صلب ليس هو المسيح بل شخص غيره ظن اليهود أنه المسيح.** أما المسيح نفسه فقد رفعه الله إلى السماء سالما."

وقال الدوسيتيون (الخياليون):

"إن الله بسبب محبته للناس أرسل إليهم المسيح ليرشدهم ويهديهم. ولكن لما وجد أن اليهود قد عقدوا النية على صلب المسيح رفعه إلى السماء. ولذلك فإنهم **لم يصلبوه، بل صلبوا شخصا آخر تراءى لهم أنه المسيح.**"

وقال سطرنيوس:

''للوجود أصلان هما الله والمادة. ومن الله إنبثقت منذ الأزل سبعة أرواح لتصنع العالم وتسوسه. ولما عظم شأنها تمردت على الله وأساءت إليه. فأرسل الله كلمته الذي هو المسيح لكي يقضي عليها قضاء تاما. ولذلك أثارت هذه الأرواح كهنة اليهود ضده ليقتلوه. ولما علم المسيح بذلك، صعد إلى الله بدون أن يروه. أما **الذي صلب فهو شخص آخر** ظن اليهود أنه المسيح.''

وقال باسيليدس:

''المادة أزلية والشيطان هو إله الشر. أما الله الذي هو إله الخير فله سبعة أرواح تسوس العالم أحدهما إله اليهود. ولما قامت الحرب بين هذا الإله وبين باقي الأرواح، أرسل الله إبنه الذي هو المسيح لكي يقضي عليه. فأثار إله اليهود أتباعه ضد المسيح، فقبضوا عليه وساروا به إلى المكان المعد للصلب. وبينما كانوا في طريقهم إلى هذا المكان **تطوع رجل يدعي سمعان القيرواني للصلب عوضا عنه، فألقى الله عليه صورة المسيح. فأخذه اليهود وصلبوه. أما المسيح فرفع إلى السماء.**''

وقال كيرينثوس:

''خلق الله في الأزل أيونات (عصور أو أرواح) كثيرة لتصنع العالم وتسوسه. وأسمى هذه الأيونات وأقربها إلى الله هو المسيح. ولما تحول سكان العالم عن الحق أرسله إليهم لكي يهديهم ويرشدهم. فاتحد المسيح بجسد شخص إسمه يسوع، وعاش بينهم كواحد منهم لكي يستطيع القيام بالمهمة التي أتى من أجلها. ولكن عندما رفض اليهود رسالته وقبضوا عليه لكي يقتلوه **صعد المسيح إلى السماء تاركا يسوع بين أيديهم**. ولذلك فإن الذي صلب هو يسوع وليس المسيح.'']

(إنتهى الإقتباس الطويل من كتاب الدسقولية)

الجسد والجنس في النسك الغنوسي والمانوى:

وأيضا نعلم أن المانويين، أتباع ماني الفارسي، منذ القرن الثاني الميلادي، كانت لهم ذات الآراء الغنوسية المحتقرة للمادة، ومن ثم الجسد، وتباعا كل ما يرتبط بأي متعة جسدية أو نفسية في الإنسان، وبصورة خاصة جدا الجانب الجنسي ومتعته. الجنس، حتى في الزواج المقدس، كان عندهم (كما هو الحال عند النساك التابعين للمنهج الغنوسي المانوي الآن) أمرا كريها محتقرا ومحاربا بشدة، لأنه هو الذي يجذب البشر إلى جهنم.

هؤلاء، أصحاب هذا النسك المحتقِر لعمل يديي الله الطاهرة، يتكلمون على التحرر من الجنس الإنساني كلية، إن أمكن (مثل أوريجانس الذي خصي نفسه)، كما لو كان "**الخلاص**" هو أساسا "**الخلاص من الجنس**" في أجسادنا. القداسة عندهم هي تحقيق التحرر الكامل من الجنس. القداسة هي في ظنهم بلوغ **الحياة اللاجنسية**. هذه عندهم هي القداسة التي بدونها لن يعاين أحد الله. لذلك هم لا يتحدثون عن وجود "**شهية جنسية طاهرة**" (الليبيدو) بل فقط عندما يصفون الرغبة الطبيعية للجنس يسمونها "**الشهوة الجنسية**".

LUST = bad desire - APPETITE = good desire

والشهوة كلمة لا تستعمل في الأدب النسكي عموما على محمل أنها رغبة طاهرة، بل هي رغبة الأفضل تركها، لأنها بصورة (حتى ولو لاشعورية) "**رغبة وشهوة شريرة**"، أو على أفضل الإحتمالات **أقل قداسة من عدمها**. مع أن الليبيدو هي شهية طاهرة من خلقة الله، إلا أن الجنس الزوجي لا يرون له هدفا تمتعيا، بل فقط "يُفتدى" من نجاسته بولادة الأبناء. وولادة الأبناء تكون مقبولة عند أصحاب هذا النسك الغنوسي، كما قال المفكر الروسي الأرثوذكسي بول إفدوكيموف، أساسا لأنها "**تفرخ وتلد لنا بتوليين للمستقبل**"!

لذلك تسمعون عبارة: "**البتوليون هم ملائكة أرضيون**"، أو "**بشر سمائيون**"، فماذا إذن يكون وصف المتزوجين؟ أليس هذا الوصف للبتوليين يعتبر

بالمقابلة إحتقارا أو إنقاصا، ولو غير مباشر، من كرامة الزواج والمتزوجين؟؟؟ ونسمع تفسيرات عنصرية لما جاء عن قديسين السماء، تفسيرات ترى كون البتوليون فقط هم المذكورين في سفر الرؤيا على انهم ''**الأربعة والأربعين ألفا الذين لم يتنجسوا مع النساء**''، (لاحظ أنهم من الذكور فقط!) وذلك لأن الرب قال أن في السماء ''لا يزوِّجون ولا يزوّجون''. فهل المتزوجون إذن بالتبعية منجّسون مع النساء؟ بهذا الفهم المريض يكون الزواج قد أصبح جوهريا حالة الضعفاء التي نقبلها على مضض، حالة المساكين الغير قادرين على حفظ القداسة اللاجنسية، ومن ثم مضطرون أن يتزوجوا، فقط لكي يهربوا من الزنا. ولذا نقرأ تعبير ''**أهل العالم**'' أي الضعفاء روحيا المتزوجون إضطراريا، كما يسمون في الأدبيات النسكية المتطرفة، بالمقابلة مع أهل الدير والبتولية.

و أيضا حرّم المانويون مثل الغنوسيين، **شرب الخمر وأكل اللحم**، لأنهما مصدر للذة قوية أيضا. كما لو كان الذي خلق لسان الإنسان ليتذوق ويتمتع بالطعام، وخلق أعضائنا الجنسية بأفعالها العصبية العاكسة (الأورجازم) هو الشيطان بعينه! ويكون الشيطان، تباعا، هو الذي زرع في أجسادنا الرغبة في التلذذ الحسي، والتي مصدرها ''الإندورفين''، المسمى هرمون اللذة. ذلك الهرمون الذي خلقه الله فينا ليفرزه المخ، لإشعارنا بكل لذة جسدية ونفسية عند تحقيق إرادة الله في تحقيق أهداف ومتع دوافعنا الإنسانية. (أنظر المقالة السابعة في الكتاب عن المتعة والهدف للحاجات الإنسانية).

طبيعة المادة والجسد والمسيح:

من الواضح أنه **من الصعب جدا علينا**، بالرغم من درجة العلم الذي وصلنا إليه، **أن نعرف معنى طبائع الأشياء**. في علوم الأحياء والطب نحن لا نعرف إجابة للسؤال الهام جدا: "**ما هي الحياة؟**" وأقصد هنا الحياة بالمعنى البيولوجي فقط، وهي الحياة الأسهل علينا الحديث عنها، لأنها ملموسة بصورة جزئية لحواسنا الخمس. أما الحياة بالمعنى الروحي، بالجسد الروحاني، والتي الحياة الأبدية هي إمتداد لها

للأبد، فليس عندنا أية معرفة تساعدنا أن نُعرِّفها ونصفها أو نحددها، سوى أنها تُعلن في ظهورات الرب بجسده الممجد بعد القيامة، وظهورات القديسين المنتقلين أيضا. وللإجابة على السؤال المطروح نتعلم في كتب الطب أننا يمكننا فقط أن نعلن أن كائنا ما هو حي، لأنه يظهر علامات وأعراض لا يظهرها من هو ميت، سواء نبات أو حيوان. فالكائن الذي يتنفس وينموا هو كائن حى بيولوجيا. وفي الحيوان، الكائن الذي يتنفس ويتحرك ويأكل ويتكاثر، هو حي. هذا يعني **أننا نصف الحي فقط بالمقارنة مع من هو ميت**، وبالتالي لا يُظهر علامات وأعراض الحياة. ولذلك نقول أننا **لا نعرف كيف نُعرِّف الحياة وكنهها**.

أما عن طبيعة وكنه "**المادة**" فكان الناس منذ عدة قرون يقسمونها إلى أربعة عناصر فقط: التراب (= أديم الأرض، التربة، الطينة) والماء والنار والهواء. وأما تعرفنا الحديث على عدد عناصر المادة، كما هي في الجدول الدوري وأنها ١١٢ (أو ١١٧ لو صحت بعض الإكتشافات الأخيرة)، فهذا أمر لم يمض عليه مائتي عام بعد. وكنا حتى مائتي عام أو أقل نظن أن أصغر مكونات المادة هي الذرة، وإسمها باليونانية "آتوم" يعني "الجزيئة التي **لا يمكن شقها**". وأما الآن فنحن في حيرة عظمى بسبب التقدم العلمي الذي يزيد أسئلتنا بدلا من أن ينقصها بحلول وإجابات شافية. كثرة المعرفة لم تُجب بصورة شافية على أسئلتنا، بقدر ما قد ضاعفت أسئلتنا بسرعة فلكية في الخمسين عام الماضية! لأننا كلما إخترعنا ميكروسكوبا يكبر تكبيرا أكبر نكتشف أن الذرة هي عالم من أجزاء كثيرة وصغيرة صغرا يصعب حتى تخيله، ولا يقل في تشابهه وإبهاره عن النظام الفلكي الكبير والمتناهي بعجائبه! ثم إذا أردنا أن ندرس كنه **الجسد الحيواني** نقسمه لأجهزة وأعضاء ثم أنسجة ثم جزيئات ثم عناصر مادية. ونتخيل أن هذه أجزاء متعاونة فقط. ولكن الحقيقة أن الجسد هو جهاز واحد مركب، يعمل بكليته بدون أي إنفصال، وكل جزء ووظيفته يؤثر في البقية بصورة يصعب علينا شرحها. إذن ولا حتى الجسد يمكننا فهمه أو إدراكه بعد. فإن كان الحال هكذا مع ما نلمسه ونراه ونتحسسه ونأكله ونشربه ونتنفسه، ونحيا في داخله من جسد

مادي، فكم وكم حيرتنا وإنذهالنا وضعف قدرتنا على تفهم وتعريف الأمور الروحية غير المادية؟! بلا شك نحن **لا نستطيع أن ندّعي أننا نعرف معنى كلمة "طبيعة"**. فإن كنا لا نعلم كنه المادة، فنحن لا نعرف معنى الطبيعة البشرية حقا. كل ما نعرفه هو أن نميز بين الإنسان والكائنات الأخرى، أي التعريف الجزئي الناقص جدا بالمقارنة مع شيء أو كائن آخر.

وإن كان هذا حالنا في محاولة تعريف معنى ''**الطبيعة البشرية**''، فكم وكم هو حالنا إذا تحدثنا عن ''**الطبيعة الإلهية**''؟! بلا شك نحن لا نَعلَم شيئاعن طبيعة اللاهوت، ولا نستطيع أن نَعلم أو نتفهم، حتى ما يعلن لنا، بالكمال والإحاطة المتكاملة. إننا فقط نُعرِّف الله بـــ ''اللاهوت السلبي'' Apophatic Theology أي ننفى كل ما لا نستطيع أن نقبله عن الله من صفات. ولكن علينا أن نعي جيدا أن: نفي ما ليس في الله، ليس هو تأكيد وتوصيف وتعريف ما هو أو من هو الله، أي ماهية الله، أي طبيعته. وبتعبير آخر: **نفي ما هو ليس من الحق، لا يساوي إدراك وتعريف ما هو الحق.** فنعلن باللاهوت السلبي أن الله: غير مادي – غير زمني – غير مستحيل (أي غير متحول من حالة إلى أخرى) – غير مفحوص – غير مُحوَى (لا يحتويه أو يحيط به شيء) – غير متغير ... غير ... غير ... غير إلخ.

فهل هذا الوصف يعطينا تعريفا حقا عن ما أو من هو الله، الذي ليس مثله شيء؟ وإن كان هذا حالنا فكيف نجزم ونتكلم في الإلهيات كما لو كنا ندرك شيئا؟ ما معنى كلمة ''**إتحاد**'' في إتحاد اللاهوت بالناسوت؟ إن كنا لا نعرف معنى الطبيعة البشرية ولا معنى الطبيعة اللاهوتية ولا معنى الإتحاد، فنحن إذن نعرف معرفة ناقصة وقاصرة جدا. **إن كنا لا نعرف الإجابة فلماذا نتعارك في الحوار كل هذه القرون؟** لأن **كل طائفة تظن أن صيغة ومنطوق تفسيراتها** عن هذا الـــ ''**إتحاد**'' أو هذا الـــ ''**تحول**'' من الخبز والخمر إلى ''جسد ودم الرب يسوع المسيح'' بالحقيقة، هو الحقيقة المطلقة والتفسير الذي ليس بعده تفسير!

أنا قطعا لا أهدف إلى تشكيك أحد في الإيمان، حاشا. ولكني أنادي مطالبا ببعض التواضع والإعتراف أن الإختلافات بين الكنائس في تفسير وشرح معاني كثيرة هي أساسا ''**إختلاقات**'' أكثر منها إختلافات. ثم لتزداد عمقا في خنادقنا الفكرية نتهم بعضنا بعضا بالهرطقة. وبينما اللاهوتيون يتعاركون، من يحيون حياة المحبة لله والقريب ببساطة يصلون للملكوت أولا. في شرح الملك المسيح عن الدينونة: كنت جوعانا فأطعمتموني، عطشانا فسقيتموني، عريانا ...، مريضا ...، غريبا ...، مسجونا ...، فأظهرتم لي المحبة ... واضح أن ميزان تقييم الرب لمن يدخل الملكوت هو ''**المحبة الفاعلة**'' فقط (و ليس العلم العقلى) من قلب نقي لا يطلب المقابل، ولا حتى يسأل: لمن أقدم هذه المحبة؟

وللعجب أن من أدخلهم للملكوت المعد لهم من قبل إنشاء العالم غالبا لم يكونوا مسيحيين!!! كيف أتجرأ وأقول هذا الكلام؟ فكروا معى: هل هناك مسيحي لم يسمع هذا التعليم عن الملك المسيح ومن خدموه في أخوته الأصاغر وهم على الأرض؟ إذن لماذا سألوا الرب في تعجب وجهالة: ''**متى رأيناك** ...''، إن كانوا قد قُرأ عليهم، أو قرأوا هم، هذا الفصل من الكتاب المقدس وهم على الأرض في الجسد، لماذا سألوه: ''**متى رأيناك** جوعانا، عطشانا، ...'' إن كانوا مسيحيين، وقد تعلموا أن ما نقدمه من محبة لبعضنا البعض هو مقدم للمسيح الملك ذاته؟ **ألا يعني هذا أنهم لم يتعرفوا على المسيح قبل هذا اللقاء، ولم يسمعوا هذا التعليم قبلا؟ ولم يعلموا أن "أخوته الأصاغر" المستلمون لأعمال الرحمة هم لحم من لحمه وعظم من عظامه؟** ياللعجب! سؤال ''متى رأيناك ...'' ليس محتملا من أي إنسان كان مسيحيا على الأرض، متى قابل الرب في اليوم الأخير، متى سمع هذا النداء الحلو: تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملك المعد لكم قبل إنشاء العالم. بمعنى آخر هؤلاء الذين دعاهم ليرثوا الملك المُعد، في الغالب الأغلب لم يكونوا مسيحيين رسميا على الأرض، لم يكونوا يعرفوه بعد، وإلا لكانوا قد علموا أن أعمال المحبة والرحمة التي صنعوها في المحتاجين كانت في حقيقتها مقدمة في لحم وعظم ودم الملك الأعظم شخصيا، كما تعلموا في الكنيسة! أنظروا: بدون

إيمان (أي **ثقة كاملة**، وليس الإيمان معرفة عقلانية كما عند الشياطين)، بدون إيمان (ثقة في الله) **عامل بالمحبة** لا يمكن إرضاء الله، ... وليس بأي فضيلة أو معرفة أخرى يرضى ويفرح الله بنا.

ومن العجيب جدا أنني كتبت الفقرة السابقة يوم الأربعاء (٢٠١٣/٥/٢٢) ثم فوجئت في اليوم التالي أن البابا فرنسيس في عظته يوم الأربعاء ٢٢ نفسه كان قد قال الكلام ذاته في روما!!! وذلك كما ورد في تعليقات كثيرة في وسائل الإعلام مثل جريدة الجارديان البريطانية وال ''سي. إن. إن'' الأمريكية ووكالة رويترز وغيرها من المواقع المسيحية، مرحبة بما قاله في العظة مع ترحيب وتعجب الملحدين أيضا، بل وسعادتهم بهذا التعليم من البابا فرنسيس. قال البابا فرنسيس علينا جميعا أن نعمل أعمالا صالحة للخلاص. وذكر، كما في بشارة مرقس الرسول، أن تلاميذ الرب جاءوا إليه يوما معترضين على أنهم رأوا من يصنعون خيرا (إخراج شياطين بإسم الرب) فمنعوهم لأنهم لم يكونوا رسميا من جماعة التلاميذ. أما الرب فقال لهم ألا يعتبروا من ليس معنا رسميا أنه ضدنا، بل العكس تماما. **إن أي إنسان ليس ضدنا فعلا هو في الحقيقة معنا، والله يقبل عمله الصالح**.

ووصف البابا تلاميذ الرب أنهم كانوا غير محتملين لغير جماعتهم، وأنهم كانوا يظنون أنهم هم فقط حملة الحق وحدهم. فسألوا البابا: هل هذا الحديث ينطبق على غير المؤمنين الرسميين بالمسيح؟ فذكر لهم أن حوارا مثل هذا قد دار بين كاهن وملحد. وقال لهم: ''الله خلقنا كلنا على صورته ومثاله. والله يصنع الخير وكلنا لنا هذه الوصية فطريا في قلوبنا، أن نعمل الخير ولا نعمل الشر. هذا ينطبق علينا جميعا''. فسأله واحد: ''هذا الإنسان ليس كاثوليكيا، هو إذن لا يستطيع أن يفعل الخير''. فأجاب البابا: ''بل هو يستطيع ويعمل الخير فعلا. إن الله قد فدانا جميعنا، نعم جميعنا، بدم المسيح، وليس الكاثوليك فقط''. فسأل أحدهم: ''يا أبانا، وحتى الملحدين، تقصد كل الناس أيضا''؟! ''نعم يجب أن نتقابل معا فاعلين الخير''. **''و لكن يا أبي أنا ملحد!'' أجاب البابا: ''و لكن إصنع الخير**

وسوف نتقابل كلنا معا هناك [أي في السماء]"

www.Huffingtonpost.com 22/05/2013 Pope Francis says Atheists who do good are Redeemed.

نعم علينا أن ندرس وندرس ونكتب ونُعلم. ولكننا ندرس ونكتب في العلوم اللاهوتية، مع إعترافنا الكامل بجهلنا وخطايانا الكثيرة وضعف إيماننا الذي لم يصل إلى حجم حبة الخردل بعد. **نحن ندرس ونكتب لهدف واحد: أن نزداد في إدراك المحبة الإلهية فنفرح أكثر بأحضانه الأبوية.** ونفرح لكي نزداد كل حين في كل عمل صالح، وكل محبة لله والقريب. ندرس لكي نجاوب حسنا كل من يسألنا عن سبب الرجاء الذي فينا. ندرس ونحن نعلم أن ما ندركه عن الله بعد كل مجهود دراسي، وبعد ما قد أعلنه لنا، إنما هو قليل القليل القليل جدا من مجده ومحبته، ولكنه يكفي ويكفي ويزيد لعزائنا وفرحنا هنا على الأرض. وإن كان ذا سرورنا هنا، فكم وكم هناك في السما؟

إننا سوف ندان في نور الرب على نوعية وكمية الحب الذي إكتنزناه لله والقريب، بل وللخليقة كلها. ولكننا **لن نُسأل عن معرفتنا العقيدية اللاهوتية الدراسية، إلا بالقدر الذي ساعدنا وأحيانا في الإيمان العامل بالمحبة.** وأقول هذا لأن أكثرية المؤمنين البسطاء ليس لهم نعمة الذكاء الحاد ولا فرصة الدراسة والمعرفة العقلية العالية. أكثرنا، مهما أدركنا عظمة ومجد وجلال الله، لا ندرك ولا حتى القدر الذي أعلنه لنا. ومن يظن أنه يدرك، قد أدرك خيط شعاع نور واحد من شمس مشرقة مبهرة، لو نظرناها بكامل قوتها لما إستطعنا النظر أو الوقوف أو حتى الحياة أمام مجدها. قال الله في الكتاب: الإنسان لا يستطيع أن يراني ويعيش (كما كان يعيش قبلا).

أعجبني جدا ما قاله الأب (المونسينيور) بولس الفغالي، الكاثوليكي اللبناني، على قناة نور سات في برنامج "الكلمة" بخصوص خلافات الطوائف على تفسير **"ما الذي يحدث للخبز والخمر في صلاة القداس، وما يحدث لنا بعد التناول؟"**

قال مجيبا: نحن نعلم ماذا فعل الرب في العلية يوم تأسيس سر الإفخارستيا، ونحن نقرأ هذا الفصل في كل قداس. ثم نقوم بالصلاة: التقدمة والشكر والتقديس والقسمة والتناول. ونعلم أن بهذا الإيمان والصلاة والتناول، إن كنا في صلح ومحبة كاملة، **نحن نتحد بالرب وببعضنا البعض ليقيمنا معا لحياة أبدية.** إلى هنا كل الطوائف تتفق. وهذا جميل جدا. ولكننا نصر على أن نسأل فيما لا نعلمه، وما لن يمكننا أن نعلمه، وما لم يعلنه الرب لنا، لأننا لن نستطيع تفهم تفاصيلا أكثر مما أعلنه الرب لنا عن سر الشكر. وليست التفاصيل ضرورية لبلوغ الهدف من التناول، كما صنعه الرب لنا، وأوصانا أن نصنع هذا لذكره كما أرانا. فإن كان قد كلّمنا عن الأرضيات و لم نفهم، فكيف، بل **ولماذا**، يكلمنا عن السمائيات، والتي حديثه معنا عنها لن يقدمنا كثيرا لأننا لن نفهم!

نحن على مر التاريخ نتجادل ونتعارك على طبيعة المسيح (أي اللاهوت والناسوت – تفاصيل ونِسب – إتحادهما في الرب يسوع المسيح) وعن: متى وماذا بالضبط الذي يحدث للخبز والخمر من تغيّر وتحوّل، حتى يدعوها الرب جسده ودمه الأقدسين؟ هل التغير مادي أم روحي، غير محسوس ماديا؟ هل يتحول الخبز إلى لحم بشرى؟ هل لو حللنا الخمر المتحول دما سنجد فيه خلايا دموية؟ **أم أن التحول هو حقيقة قوة روحية مضافة للخبز المادي، قوة غير منظورة، مثلما كان لاهوت الرب (بل كل ملء اللاهوت) كائنا وحاضرا وحالاّ فيه جسديا، لكنه كان غير منظور في المسيح المتجسد؟** هل يكفي هذا التحول الروحي كقوة للإتحاد والتقديس، أم لابد من التأكد من تحول مادي محسوس؟ متى وكيف يحدث التحول؟ هل في هذه أم في تلك اللحظة؟ هل بسبب وجود الكاهن المشرطن قانونيا أم في وجود أي إثنين أو ثلاثة بإسم الرب؟ هل يتم التحول قبل التناول أم بعده؟ وإن كان قبل التناول فما هو فعل التناول في ضعيف الإيمان بالمقارنة مع القوى في الإيمان؟ وتتوالى الأسئلة التي ليست لها إجابة ولا نحتاج لإجابة لها في الحقيقة. يكفي أننا نؤمن أن قوة الرب لإتحادنا معه ومع بعضنا البعض تعمل فينا بالسر (كما إتحد لاهوته مع ناسوته بالسر الغير مدرك) إن كنا نتناول بمحبة

وقلب نقي ومتصالح مع الكل. هذا يكفي ويزيد. أشكر الأب بولس الفغالي على هذا التعليم الجميل.

جائنا السؤال اللاهوتي القاتل الذي طرحه أحد خدام الكنيسة القبطية منذ بضع سنوات: **هل نحن في التناول المقدس نأكل اللاهوت أم فقط نأكل الناسوت الذي للمسيح** ؟ وصنع هذا المُعلم خلافا مع آخرين، وأكد في صراعه الفكري معهم (كما لو كانت له بصيرة حُرم منها كل مؤمن آخر)، أكد أنها هرطقة عظمى أن نقول أننا نأكل اللاهوت في التناول، ولكننا نأكل الناسوت فقط. قال هذا متناسيا أنه قبل كل تناول يؤكد ويوئمن ثلاث مرات ''هذا هو الجسد المحيي الذي أخذه من العذراء ... و**جعله واحدا مع لاهوته** ... وأن **لاهوته لم يفارق ناسوته** لحظة واحدة ولا طرفة عين'' منذ الحبل به ولأبد الآبدين. أي أننا إذ نتناول، نتناول المسيح بكليته وليس منقسما ولا منفصلا إلى لاهوت منفرد ولا ناسوت منفرد.

وأصبح الحوار العقيم قائما على فرض غير موجود وغير صحيح وهو فرض أننا في التناول "**نأكل**'' بمعنى "**نستهلك**" ونحلل مادة ما نتناوله إلى مواد وعناصر مادية تنصهر مع لحومنا. وإذا جُرحنا وخرج منا دم فيقول هذا المعلم أننا نترف دم المسيح، ونسأله: وماذا عن خروج العرق وبقية الإفرازات؟ هل هي جزء مفقود من جسد المسيح أيضا، ولماذا نخشى خروج الدم فقط؟! المشكلة تكمن في أن هذا المُعلم لم يدرك أننا لا نأكل لنستهلك ونمضغ ونهضم في أجسادنا **لا اللاهوت ولا الناسوت أيضا**. وذلك لأننا **لسنا آكلي لحوم بشر ولا نشرب دماء بشر، ولا نستهلك جسدا بشريا ولا لاهوتا إلهيا!**

الأكل في التناول ليس أكلا بمعنى "الإستهلاك" بل هو تناول بمعنى "الإتحاد" الروحي بالفم والجسد كله (مثل العناق والقبلة). هذا الإتحاد يتم ويتثبت بتناول الخبز والخمر اللذان يحل فيهما كل ملء اللاهوت ماديا، كما حل في المسيح الرب جسديا، كقول الكتاب، وبحسب الإيمان البسيط. قال أحد المعلمين:

عندما نحاول أن نتساءل عن تفاصيل أسرار الله **بدقة أكثر مما يعلنه هو لنا**، نكون كمن يحاول إستعمال عدسة مكبرة لينظر تفاصيلا أدق في صورة مطبوعة في جريدة (بطريقة **النقاط الدقيقة** أو البيكسلس)؛ إنه لا يرى تفاصيلا أدق، بل فقط يرى **بقعا سوداء أكبر** (بيكسيليتد)!

وفي الحقيقة عندما تصلي الكنيسة لحلول الروح القدس لتقديس الخبز والخمر، تطلب حلوله أولا(و قبل حلوله على الخبز والخمر)، تطلب حلوله علينا نحن البشر. فيقول الكاهن: ''نسألك أيها الرب إلهنا نحن عبيدك الخطاة غير المستحقين، نسجد لك بمسرة صلاحك، **وليحل روحك القدوس علينا (و يشير عندئذ إلى ذاته ثم** إلى القرابين ويكمل قائلا) وعلى هذه القرابين الموضوعة ويطهرها وينقلها ويظهرها قدسا لقديسيك.'' أي أن التقديس ليس للمادة بقدر ما هو للبشر القديسين أولا. وهذا يرد على من يُصرُّ على تقبيل يد الكاهن لأنها **تلمس** جسد الرب، أو من يتخوف ويصيبه الهلع من لمس العلماني للصينية أو الكأس أو دخول المرأة للهيكل، لأنها ''مقدسات **تلمس** جسد الرب ودمه''! **فأيهما أقدس: البشر، المقدِّسون مع الرب، والذين يحل عليهم الروح أولا للتقديس ويتناولون الجسد والدم ذاته في داخلهم، أم الصينية والكأس ويد الكاهن وأرض الهيكل؟!**

وهذا ما قاله يوحنا ذهبي الفم في قول رائع، كما لو كان يرد فيه منذ ١٦ قرن، على الخادم القبطي الذي أثار هذا التساءل، وإن كان ذهبي الفم غالبا كان يرد على سؤال شبيه في أيامه: ''لا تنظر إليه على أنه خبز، ولا تحسبه خمرا، وكذلك لا تظن أن هذه تفرزها مخارج جسدك مثل بقية الأطعمة. ليهلك هذا الفكر! ولكنه **يشبه الشمع الذي يلامس النار**، فلا يضيع منه شيء ولا يتبقى منه باق. هكذا أيضا نتناول والأسرار الإلهية لا تستهلك بملامسة مادة أجسادنا.''
The Faith of the Early Fathers, Vol 2 page 97, Homilies on Penance, publisher: The Liturgical Press , Minnesota, translated by W A urgens

فالحقيقة أن ما نتناوله هو **قوة إلهية وهبة نارية** في شكل مادي لا يتغير ماديا بعد الصلاة والتقديس عن مادته الأولى. ولكنه أيضا متى إتحدنا به بالفم **هو لا يتحول فينا إلى مادة بل يحولنا نحن إليه، يحولنا إلى نور ونار** روحية، نور ونار محبة وإتحاد لا يُرى ولا يُسمع ولا يُفحص ماديا، بل يستدل عليه بمظاهر الإيمان العامل بالمحبة: أرني إيمانك وتناولك بدون أعمالك، وأنا أريك بأعمالي ومحبتي نار تناولي وإيماني ونور إتحادي بالرب وأخي وأختي.

طبيعة المسيح: إنسان ١٠٠٪ وإله ١٠٠٪، في إتحاد ١٠٠٪، بغير إختلاط ولا إمتزاج ولا تغيير ولا إفتراق للطبيعتين:

قال الأب هنري بولاد الكاثوليكي الخادم اليسوعي في مصر، في محاضرة منذ عدة سنوات، أذيعت على قناة سات٧: [**إن كان أحدا يظن أن ملف وموضوع "طبيعة المسيح" قد تم حوله كل حوار ونقاش ممكن وتم إغلاقه، فهو إنسان واهم.**]

كما رأينا: نحن لا نعلم معنى "طبيعة" ولا معنى "طبيعة بشرية" ولا معنى "طبيعة لاهوتية" ولا معنى "إتحاد". ولكننا قد سمعنا ورأينا في أقوال وحياة الرب يسوع المسيح، عن شخصه وعن الروح القدس، ما جعل الكنيسة تقر وتعترف بأنه، وإن كان إنسانا كامل البشرية مثلنا، إلا أنه كان دائم الإعلان، بحديث مباشر وغير مباشر أنه له صفات لا يتصف بها إلا الله وحده. فقد قال الرب يسوع المسيح **بلسانه هو ذاته عن شخصه**، بخلاف ما قد قاله الكتاب المقدس على لسان أي إنسان آخر عن الرب، من قبله أوبعده، قال:

"**أنا والآب واحد ... الآب في وأنا فيه**" (يوحنا ١٠ عدد ٣٨و٣٠)، وأن "**من رآني فقد رأي الآب**" (يوحنا ١٤ عدد ٩)، وأن "**كل ما هو لي [المسيح] فهو لك [الآب] وكل ما هو لك هو لى**" (يوحنا ١٧ عدد ١٠). وأنه "**كما أن الآب له الحياة في ذاته كذلك الإبن أعطي أن تكون له الحياة في ذاته**" (يوحنا

٥ عدد ٢٦)، وأنه طلب من الآب "**مجدني يا أبت بالمجد الذي لي لديك من قبل كون العالم**" (يوحنا ١٧ عدد ٥)، وأنه "**كان كائنا قبل أن يكون إبراهيم**" (يوحنا ٨ عدد ٥٨)، وأنه "**له سلطان ان يغفر الخطايا**" (لوقا ٥ عدد ٢٤)، وانه "**له سلطان أن يقيم الموتى لحياة أبدية**، وليس لحياة أرضية فقط (مثل: إبنة يايرس وإبن أرملة نايين ولعازر)، كما أن الآب يقيم الموتى ويحييهم، كذلك **الإبن يُحي من يشاء... أعطيته سلطانا على كل جسد ليعطي حياة أبدية لكل من أعطيته**" (يوحنا ٥ عدد ٢١ يوحنا ١٧ عدد ٢) وأنه "**جاءنا من حضن الآب وإلى حضنه يعود**"، وأنه "**يعرف الآب معرفة لا تتساوى معها معرفة أي كائن آخر، إلا الروح القدس الذي يعلم وسيعلمنا بالحق كل الحق**" (يوحنا ١٦ عدد ١٢-١٦)، وانه كان يعلم أنه سوف "**يسلم إلى أعدائه ويقتل وفي اليوم الثالث يقوم**" (متى ١٧ عدد ٢٢-٢٣).

ولعل أقوى تأكيد من فم الرب وفم قاتليه أنه هو الله المتجسد، وأنه هو ذاته إبن الله، وهو المسيح إبن الإنسان صاحب السلطان الأبدي ما لن يزول، وملكوته ما لن ينقرض، وأنه بكل صراحة وبدون أدنى مواربة أكد أنه مساوي لله الآب، أقوى تأكيد قدمه هو ما جاء في محاكمته أمام رئيس الكهنة من إعتراف صريح لا يقبل التأويل، في إنجيل مرقس الرسول ومؤكدا ما ورد في نبؤة دانيال النبي. **إن إعتراف المسيح الكامل بأنه هو إبن الله بالحقيقة وبالتأكيد**، جعل تهمته، بل جريمته التجديفية والثابتة والمعترِف بها، في أعين مجمع كهنة اليهود "**أنه قال أيضا أن الله أبوه معادلا نفسه بالله**" (يوحنا ٥ عدد ١٨). وهذه جريمة لا يجروء أن يرتكبها كاذب عاقل، ولا يستطيع عاقل أن يدّعيها ثم لا يتنازل عنها قبل إعدامه، إن كان عنده ذرة من عقل!!! "فسأله رئيس الكهنة أيضا وقال له: أأنت المسيح إبن المبارك؟ فقال يسوع **أنا هو**، وسوف **تبصرون ابن الإنسان جالسا عن يمين القوة وأتيا في سحاب السماء** (هذه نبوءة في دانيال ٧ عدد ١٣-١٤). فمزق رئيس الكهنة ثيابه وقال ما حاجتنا بعد إلى شهود. قد سمعتم التجاديف. ما رأيكم؟ فالجميع حكموا عليه أنه مستوجب الموت" (مرقس ١٤ عدد ٦١-٦٤) .

وشهادة الرب في البشارات الأربعة، عن كونه إبن الله ومساويا لله، كلها إجابات متساوية، وإن كان أعدائه المقاومين للحق يحاولون أن يقللوا من شأن إعتراف المسيح أنه إبن الله مساويا نفسه بالله. وذلك لأن البشارات متى ولوقا ويوحنا لم يذكروا رد الرب أنه إبن الله بالتأكيد المباشر كما في إنجيل مرقس الرسول. وذلك لأنه قال في متى: ''فأجاب رئيس الكهنة وقال له: أستحلفك بالله الحي أن تقول لنا هل أنت المسيح إبن الله. **فقال له يسوع أنت قلت.** وأيضا أقول لكم من الآن تنظرون إبن الإنسان جالسا عن يمين القوة، وأتيا على سحاب السماء. فمزق رئيس الكهنة حينئذ ثيابه قائلا قد جدف. ما حاجتنا بعد إلى شهود. ها قد سمعتم تجديفه. ماذا ترون؟ فأجابوا وقالوا أنه مستوجب الموت'' (متى ٢٦ عدد ٦٣-٦٦). وفي لوقا: ''إن كنت أنت المسيح إبن الله فقل لنا. فقال لهم إن قلت لكم لا تصدقون، وإن سألت لا تجيبوني ولا تطلقوني. منذ الآن يكون إبن الإنسان جالسا عن يمين قوة الله. فقال الجميع أفأنت إبن الله؟ فقال لهم **أنتم تقولون إني أنا هو**. فقالوا ما حاجتنا بعد إلى شهادة لأننا نحن سمعنا من فمه'' (لوقا ٢٢ عدد ٦٧-٧١).

وفي يوحنا لم يسأل رئيس الكهنة المسيح، بل سأله بيلاطس: ''**أأنت ملك اليهود؟** أجابه يسوع أمن ذاتك تقول هذا أم آخرون قالوا لك عني؟ أجابه بيلاطس ألعلي أنا يهودي. أمتك ورؤساء الكهنة أسلموك إلي. ماذا فعلت؟ أجاب يسوع: **مملكتي ليست من هذا العالم**. لو كانت مملكتي من هذا العالم لكان خدامي يجاهدون لكي لا أسلّم إلى اليهود. ولكن الآن ليست مملكتي من هنا. فقال له بيلاطس: أفأنت إذا ملك؟ أجاب يسوع: **لهذا قد ولدت أنا ولهذا قد أتيت إلى العالم لأشهد للحق. كل من هو من الحق يسمع صوتي**'' (يوحنا ١٨ عدد ٣٣-٣٧) وأكمل اليهود في حديثهم مع بيلاطس عن نتيجة محاكمتهم ليسوع: ''لنا ناموس وحسب ناموسنا يجب أن يموت **لأنه جعل نفسه إبن الله**'' (يوحنا ١٩ عدد ٧).

ولكن المهم جدا والذي لا يذكره المناقضون للحق أن ما قاله الرب عن

أنه هو إبن الإنسان الآتي في سحاب المجد، جالسا عن يمين قوة الله، هو تثبيت قوي جدا لأنه يعترف ببنوته للآب وأنه هو المخلص الذي له الملك والسلطان الأبدي، كما شهد عنه دانيال النبي بكل وضوح الرؤيا. أما رد الرب على السؤال: **أنتم تقولون ... أو أنت قلت**، فهذه طريقة الرد الإيجابي بمعنى: ''نعم أنا هو المسيح إبن الله، وها أنت وأنتم أيضا تشهدون لذلك، بل وأؤكد لكم أنني إبن الله وملك اليهود، أنا من تكلم عنه ورآه دانيال النبي كإبن الإنسان الآتي في سحب السما والجالس عن يمين القوة الإلهية، إن كان هذا تأكيدا كافيا للرد على أسئلتكم أيها الكهنة''.

ومن يفهم نبؤة دانيال ومعناها بالكامل يعلم أن ما أغاظ رؤساء الكهنة (حتى فيما ذكر في بشارات متى ولوقا ويوحنا) هو تأكيد المسيح: ليس فقط أنه إبن الله، والذي كان من الممكن أن يفسره اليهود على أنها بنوة تتساوي مع بنوة البشر جميعا لله، كما كان اليهود يؤمنون، بل **عندما أضاف أن نبؤة دانيال هي نبؤة خاصة جدا به هو، كإبن فريد ووحيد في الطبيعة والجنس لله وللإنسان، وأن ملكه وسلطانه أبدي لا يزول، كما قال دانيال، إمتلأوا غيظا وحنقا.** لأنه بذلك النص الذي إقتبسه الرب ونسب نبؤة دانيال لشخصه القدوس كان يؤكد أن الأنبياء، إن كان لهم دور ورسالة فكانت أساسا وجوهريا رسالة نبؤة لتنبيه الشعب منذ القدم عن شخص الرب يسوع المسيح ذاته، وأنه ليس هناك غيره إبنا فريدا لله وشخصا مساويا لله مع كونه إبن الإنسان. وهذه الشهادة من الرب هي شهادة قانونية سليمة وكاملة بالدرجة الأولى، مع ذكر الدليل النبوي القاطع، عن طبيعته وشخصه حتى لو كنا غير قادرين على تفهم عمق معناها كما تداركها رؤساء الكهنة.

وهذه نبؤة دانيال: ''**كنت أرى في رؤي الليل وإذا مع سحب السماء مثل إبن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام فقربوه قدامه. فأعطي سلطانا ومجدا وملكوتا لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة. سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض**'' (دانيال ٧ عدد ١٣-١٤). وإذ أدركت الكنيسة

ما قاله الرب عن شخصه (الإنسان الكامل) وعلاقته الفريدة بالآب السمائي، وعن الروح القدس الذي يَعْلَم **كل الحق** وسوف يعلنه لنا، وهو الروح الذي سوف يأخذ مما للمسيح ويخبرنا (و يعطينا من مجده)، **كان أمام الكنيسة حكم من إثنين: إما أن يسوع المسيح والروح القدس هما كيان لا يتجزأ من الله وطبيعته الإلهية، والتي لا ندركها، أي أن كل منهما واحد مع الآب في الجوهر، وإما أن هناك ثلاثة آلهة ولهم ثلاثة جواهر مختلفة.**

و كان فهم وإختيار الكنيسة بإرشاد الروح القدس، الذي يرشدها إلى كل الحق، أن الله هو إله واحد في جوهر واحد. وأن المسيح إبنه المولود من الآب منذ الأزل، ميلادا روحانيا غير مادي وغير زمني، من أجلنا ومن أجل خلاصنا، قد تجسد وتأنس إنسانية كاملة، وبذلك هو نور من نور وإله حق من إله حق. وأن الروح القدس هو أيضا شخص وأقنوم كامل متميز، لأنه يعلم ويحمل ويرشد ويوصل لنا "**كل الحق**"، وليس جزءا من الحق. أي أن له وفيه كل ما هو من صفات اللاهوت الكامل، وأنه ينبثق من الله الآب ذاته بصورة تشبه ميلاد الإبن الأزلي اللازمني، قبل إنشاء العالم. فميلاد المسيح إبن الله من الآب أزليا (و ليس ميلاده الزمني من العذراء عند التجسد) وإنبثاق الروح القدس أزليا، هي أفعال غير زمنية تشابه **إشعال شعلتين من شعلة أولى، والثلاثة وإن كانوا متميزين عن بعضهم البعض، إلا أنهم نار واحدة ذات جوهر واحد.** لذلك هم إله واحد من جوهر واحد بالرغم من التميّز الأقنومي الثالوثي، كما كتبت في مقالة سابقة. فكانت هذه هي العقيدة التي عاشت بها الكنيسة منذ ميلادها في يوم الخمسين المقدس بناء على ما أعلنه الرب يسوع المسيح ذاته، وحتى ظهور الهرطقات المشككة في طبيعة وشخص الرب والروح القدس، كما سنرى.

وبسبب هذه الهرطقات وعدم قبول الكنيسة لها عُقدت المجامع المسكونية لصياغة نص **قانون الإيمان** حتى لا يضلل الكنيسة أحد أو فكر أو تعليم وتفسير، إن كان يتعارض مع ما قد إستقر في وجدان الكنيسة عن من هو الله وإبنه وروحه القدوس، كأفضل إدراك لما قد أعلنه لنا الرب يسوع المسيح والروح القدس

المحيي والناطق في الأنبياء والكنيسة لإرشادنا للحق. ولكن **علينا أن نعي تمام الوعي أن الله لا يمكن لصيغة مكتوبة أو مقولة أن تحتويه أو تحيط بوصفه بصورة حصرية.** لذلك يجب أن ننظر لقانون الإيمان، من جهة النص، على أنه أفضل وأوضح ما عندنا من **إدراك لفظي** لإعلان الله لنا عن ذاته. ولكن هذا لا يعني أن الله (و صفاته وأعماله) هو فقط المنصوص عليه في صيغة ونص قانون الإيمان. فالله هو الغير محوى، ولا يحصره نص أو إدراك مهما علا.

الهرطقـات:

مما سبق نرى أن الكنيسة في القرون الأولى كانت تحيا بقناعات تعتمد على إعلان الله لنا عن أقانيمه الثلاث وعملهم من خلال ما قد سلمنا إياه الرب يسوع المسيح، وإرشاد الروح القدس. ثم وصل إلينا هذا الإيمان من خلال شهادة الرسل، ومنهم بالتتابع الرسولي من جيل إلى جيل. فعندما يقول المناهضون للإيمان المسيحي أن بولس الرسول هو صانع أو مؤسس المسيحية، لأنه أكثر الرسل كتابة وإيضاحا للعقيدة المسيحية، نقول لهم إقرأوا ما قاله الرب يسوع المسيح نفسه أولا قبل الحكم، بل **إقرأوا فقط ما قاله الرب وحده عن نفسه،** كما ذكرته في هذه المقالة، وقولوا لنا إن كان الرب يسوع المسيح هو الذي أعلن عن وحدانيته في الجوهر مع الآب أم بولس الرسول. وعندما يحدثنا الرب عن الروح القدس الذى "**من الآب ينبثق**" ويعلمنا ويرشدنا إلى "**كل الحق**" فهل كان هذا تعليم بولس الرسول أم الرب يسوع المسيح ذاته؟ بلا شك الذي أعلن لنا عقيدتنا المسيحية هو الله المتجسد ذاته.

وعندما يكتب الدكتور يوسف زيدان في كتابيه (اللاهوت العربي وأصول العنف الديني – وعزازيل) أن إلوهية المسيح هي من صنع الكنيسة، لأن الأجيال الأولى لم يكن عندهم صيغة نهائية توافقية عن طبيعة المسيح وعلاقة الآب والإبن والروح القدس قبل صياغة قانون الإيمان بعد المسيح بأربعة قرون، ننصحه بقرأة ما

قاله الرب يسوع المسيح ذاته في الأقوال التي ذكرتها. وأن قال لنا الدكتور يوسف زيدان أن قانون الإيمان هذا وضعه البشر، حينما كانت هناك فرق وتأويلات عديدة عن المسيح وطبيعته، نطلب منه إعادة قرأة ما قاله الإله المتجسد من خلال كتّاب البشارات الأربعة، والذي ذكرت بعضا منه في هذه المقالة، ويقول لنا كيف يفسر هو كلام الرب وكيف يتفهم معاني ''**أنا والآب واحد**'' و''**من رآني فقد رأي الآب**''؟! هل يجروء إنسان عاقل أن يدّعي هذا الكلام إن لم يكن حقا كذلك؟! أم أن الدكتور يوسف زيدان يرى أن إدعائات الغنوسيين التي ذكرتها عن طبيعة المسيح تبدو له أكثر إقناعا، لأنهم كانوا يؤمنون بأن المسيح لم يُصلب ولكن شبّه له، كما يؤمن هو؟ **كيف كان يمكن أن يترك الرومان أو اليهود المسيح يهرب من حكم الإعدام صلبا وهم يعرفونه جيدا، وما كان ممكنا أن يقبلوا بغيره مقتولا مصلوبا؟ أما الرومان فهم جلادون حِرَفيّون لا يمكن أن يستغفلهم من قد أعيوه جلدا لعدة ساعات قبل الذهاب به إلى الجلجثة حاملا صليبه، فكيف يهرب من الصلب ويُصلب غيره؟!**

ثم لو كان المسيح لم يصلب وصُلب غيره، أما كان بالأحرى أن يبتهج أتباعه ويهللون قولا وكتابة، لأنه قد إنتصر على أعدائه، أو نصره وخلصه الله ليكمل رسالته، ولو في مكان آخر؟ في حقيقة الأمر ومع النظر إلى طبيعة البشر في الرغبة في الإنتصار الرخيص وعدم التسليم للأعداء، لو كان المسيح قد إستطاع الهرب من الصليب بأي صورة أو طريقة لكانت فرحة التلاميذ حينئذ أكبر بكثير، بدلا من أن يطوفوا المسكونة يعلنون عن قيامة الإله صديقهم من الأموات! ثم يحصدون نتيجة هذه القصة الغريبة (و التي يسخر منها الجهلاء)، يحصدون صلبا وقتلا وقطع رؤسهم، لأنهم في عُرف البشر مبشرون كاذبون أو حالمون مختلون عقليا. إحتمال عدم صلب المسيح كان سيفرح البشر بالأكثر، بسبب جهلنا بأن ضعف الله أقوى من قوة البشر. ونحن لذلك نمجد الرب المصلوب ظلما والقائم من الأموات منتصرا، قائلين في جمعة الصلبوت: '' قدوس الله، قدوس القوي، قدوس الحي الذي لا يموت ... **يا من أرانا بالضعف ما هو أعظم من القوة**'' آمين.

كيف نفهم ضرورة ومعنى الإيمان والمعمودية للخلاص، وخلاص من ليس لهم ناموس وإيمان ومعمودية؟

قال الرب: ''**من آمن وإعتمد خلص ومن لم يؤمن يُدن**'' (مرقس ١٦ عدد ١٦). وكتب الرسول بولس:

''الذين ليس عندهم الناموس، متى فعلوا بالطبيعة ما هو في الناموس **هم ناموس لأنفسهم**. الذين يظهرون عمل **الناموس مكتوبا في قلوبهم** شاهدا أيضا ضميرهم وأفكارهم فيما بينها مشتكية أو محتجة، **في اليوم الذي فيه يدين الله سرائر الناس** حسب إنجيلي بيسوع المسيح'' (رومية ٢ عدد ١٤-١٦).

يبدو من الوهلة الأولى أن هناك تعارض بين القولين. فإن كان الإيمان هو إيمان بالمسيح التاريخي فقط، وإعلانه أنه إبن الله وأنه مساوي لله وليس خلاص بغيره، فكيف تجرأ بولس الرسول وكتب عن أن هناك من سيدينهم الله في اليوم الأخير بحسب ناموس الضمير المكتوب في قلوبهم وليس بحسب الإيمان الرسمي بالمسيح التاريخي وإعلانه الكامل، وقبول المعمودية؟! هناك إحتمالين علينا أن نختار واحدا منهم:

أولا: لو كان الله سيدين فقط بحسب الإيمان المسيحي المنطوق والرسمي الذي لا تقبل الكنائس غيره، ومن ثم يتبعه العماد باسم الثالوث، وبهذا **فقط** يخلص الإنسان، إذن ما قد قاله بولس الرسول في الفقرة المذكورة هو كلام فارغ من كل معنى، وكان بالأولى عدم كتابته. **لأن فعل الدينونة بحسب ناموس الضمير إن لم يكن ممكنا إحتمال خلاص صاحبه من الهلاك الأبدي، يكون بولس الرسول فقط كمن يقول أن الله سيترك الجميع للهلاك** حتى لو كانوا قد عاشوا بناموس الضمير الصالح. فما فائدة أو معنى كلام بولس الرسول؟

ثانيا: الإحتمال الآخر هو أن الإيمان بالمسيح التاريخي وإعلانه عن نفسه بالتمام، هو مُلزم فقط لمن **إستلم رسالة وبشارة الخلاص بالمسيح**، من كارز بصورة أو أخرى، و**تفهمها** من كل قلبه، و**آمن بها** فرحا، و**إعتمد** بإسم

الثالوث عن قناعة كاملة، **وليس ملزما لأي بشر آخر**. وهل هناك بشر يستطيع أن يمنع، أن **الله قد يقبل** إيمان من يؤمن بالمسيح الكوني كلمة الله الذي هو: الطريق – الحق – الحياة – العدل – الكمال – الجمال – المحبة – الرحمة – لأنه كلمة الله، وهو من **قبل التجسد** كائن حامل كل هذه الصفات الإلهية، بدون أن يكون المسيح التاريخي المتجسد؟

بمعنى آخر: من لم تصله بشارة الخلاص بالمسيح التاريخي، أو لعله قد سمع عنه، سماع الأذن فقط، ولكنه لسبب أو آخر (خارج عن إرادته) لم يستطع أن يؤمن بألوهية المسيح التاريخي وإعلانه عن شخصه والخلاص المقدم منه (و **هؤلاء هم أكثرية البشر**) فالله سيدينهم و**يمكن خلاصهم لو كانوا قد عاشوا مخلصين بضمير صالح لناموس المحبة** والرحمة وعمل الخير، الناموس الذي زرعه الله في قلب كل بشر. من عاش بهذا الناموس الأول القلبي الفطري (حتى لو لم يكن هناك نبي أو كارز، كما عاش إبراهيم أبو الآباء وآباؤنا الأولين، بدون نبي ولا كتاب ولا كارز، سوى الخليقة التي تحدث بمجد الخالق منذ ظهر الوعي والضمير في الإنسان)، **هل يمكننا أن نقبل خلاص مثل هذا الإنسان حقا كما يقول بولس الرسول في اليوم الأخير؟**

لو تفكرنا قليلا سوف ندرك أن الشروط التي ذكرتها: **إستلام** الرسالة – **تفهمها** – **الإيمان بها** – **المعمودية** بإسم الثالوث، هي مراحل مختلفة **بين كل منها والأخرى أميال من العقبات** الفكرية والقلبية والحضارية والنفسية التي لا يستهان بها، إلا من مفكر ساذج. أما عن وصول وإستلام الرسالة فهذا يتطلب كارزا قد تكون كرازته سببا في إعتقاله بل وقتله، و**كيف يؤمنون بلا كارز؟** ولكن مبارك هو عصر الإنترنت والفضائيات، الذي أوصل الكرازة لكثيرين، وأقول كثيرين وليس "الكل". وذلك القول سببه أن هناك الكثير من غير المسيحيين الذين تم "**تحصينهم ضد الإيمان المسيحي بالكذب**" ممن يقولون لهم كذبا أن المسيحيين هم كفرة فاسدون يعبدون ثلاثة آلهة، ولهم جهنم وبئس المصير. وأنهم

يعبدون المسيح البشري الذي صنعوا منه إلها بالكذب والتضليل. **هؤلاء السامعون المحصنون، في الحقيقة، لم تصلهم الرسالة بعد** بسبب التحصين الكاذب، ولا ذنب عليهم. هم ممن سوف يدانون بحسب ناموس الضمير الذي ذكره بولس الرسول، ويمكن خلاصهم إن كنا في حكمنا عليهم عادلين! وهناك من لم تصلهم الرسالة بسبب "**التحصين بالإرهاب**" الفكري أو الإرهاب الجسدي بالقتل، إن هم إتبعوا المسيح. هؤلاء أيضا يقف هذا الإرهاب عائقا ليس سهلا أمامهم، وينبغي أن ننظر إليهم مثل المحصنين بالكذب: هم ممن سوف يدانون بحسب ناموس الضمير الذي ذكره بولس الرسول، ويمكن خلاصهم أيضا.

و لكن البعض ما زالوا رغم ذلك الإرهاب يقبلون المسيح وهم مستهينون بالموت من أجل إسمه. وذلك لأنهم أدركوا حبه وجماله حقا. ولكننا لا يجب أن نستخف بمعاناة وآلام أمثال هؤلاء **المعترفين والشهداء للمسيح**. وهناك من أستلموا وتفهموا وآمنوا، لكنهم يفضلون البقاء كما هم بإيمان قلبي وعلاقة داخلية، حرصا وخوفا من الإضطهاد، ولا يكملون الطريق للمعمودية، أمثال نيقوديموس ويوسف الرامي. ولا أعتقد ان الله يرفضهم، خاصة إن كنا نستطيع أن نقبل أن كرنيليوس وأهل بيته قبلهم الروح القدس قبل أن يعتمدوا. و**المعمودية بالدم** (أي عند الموت على إسم المسيح) لحظة الموت، مقبولة. فمن أدرانا بضمير من آمن و لم يعتمد لأسباب يعلمها الله وحده؟ فهو وحده العالم بمدى أمانتهم له. إذن ليس كل من سمع أو شاهد تعليما عن المسيح نحسبه أنه قد تسلم الرسالة وتفهمها جيدا ثم رفضها. فهذا ظلم، كثيرا ما أراه في قلوب بعض المسيحيين الغير مميزين وغير مقدرين لمعاناة من يريد أن يقبل ويؤمن، ولكن تعطله عثرات غير سهلة العبور والتجاوز.

وماذا عن الملحدين المخلصين أصحاب العمل الصالح، والغير قادرين على الإيمان؟

أحب أن أقف هنا وقفة، أرجو أن يتفهمها معي القارىء: قابلت البعض من أبناء الكنيسة وآخرين غير مؤمنين، لاأدريين وملحدين، وتكلمت معهم عن موقفهم من المسيح. الكل وافق أن المسيح إنسان مبهر وجميل وتعاليمه مثالية إلى أقسى درجة. ولكنهم يجدون صعوبة في تقبل الإيمان بأنه إبن الله ومساوي في الجوهر والطبيعة لله الآب الخالق (إن كانوا ممن يؤمنون بخالق للكون). حتى الملحدون لم أقابل منهم من حاول أو استطاع أن يجد في المسيح عيبا. ولكن بعضهم لا يستطيع تصديق الكتاب المقدس أو كتّابه. بحسب الظاهر هؤلاء الذين تحدثت إليهم وهم كثر، لم يبدُ على أكثرهم أنهم يرفضون الإيمان لأسباب تدل على أنهم لا أخلاقيين، بل فقط لأنهم **غير قادرين على قبول الإيمان بدون أدلة مادية دامغة.** ''الإيقان بأمور لا ترى والثقة بما يرجى''، كما عرّف الرسول بولس معنى الإيمان، تشكل لديهم قفزة عقلية كيانية (قلبية) لا يقدرون عليها، وبعضهم قد حاول جاهدا ومخلصا كما قالوا لي.

مسألة مصداقية تاريخية الكتاب المقدس، يقبلونها على أنها تاريخية نصوص قد تكون صحيحة النقل من كتّابها **تاريخيا وبدون تحريف أو كذب،** بحسب إيمان هؤلاء الكتّاب. ولكن هذا لا يشكل عندهم دليلا ماديا على ألوهية المسيح، مع جزيل إحترامهم للمسيح والمسيحيين. أرجوا أن نصلي ونقبل بإحترام وجهة نظر هؤلاء الأخوة المتشككين واللاأدريين والملحدين، وأن يتقبل الله منهم أعمالهم الصالحة، ولو على سبيل الدين، كما قال الرب. وهنا فرحت جدا بما قاله البابا فرنسيس في عظته يوم ٢٠١٣/٥/٢٢، والتي ذكرتها سابقا، عن أن الملحدين أصحاب العمل الصالح، أنهم جوهريا، كما في قول المسيح: **منا وليسوا علينا.** وأننا نتمنى بل نترجى من رحمة الله أن نتقابل كلنا معا في الملكوت. وهل يمكننا أن نقبلهم في قلوبنا على أنهم، كقول بولس الرسول: ''الذين ليس عندهم

الناموس، متى فعلوا بالطبيعة ما هو في الناموس **هم ناموس لأنفسهم**. الذين يظهرون عمل **الناموس مكتوبا في قلوبهم** شاهدا أيضا ضميرهم وأفكارهم فيما بينها مشتكية أو محتجة، **في اليوم الذي فيه يدين الله سرائر الناس** حسب إنجيلي بيسوع المسيح" (رومية ٢ عدد ١٤-١٦).

ولكن كيف يخلص أحد إلا بالمسيح يسوع، الذي ليس إسم غيره تحت السماء به ينبغي أن نخلص (أعمال ٤ عدد١٢)؟

كتبت سابقا: الإيمان بالمسيح التاريخي وإعلانه عن نفسه بالتمام، هو، منطقيا ومن جهة العدل، مُلزم فقط لمن **إستلم رسالة وبشارة الخلاص بالمسيح**، من كارز بصورة أو أخرى، و**تفهمها** من كل قلبه، و**آمن بها** فرحا، و**إعتمد** بإسم الثالوث عن قناعة كاملة. وتساءلت: من ذا الذي يستطيع أن يمنع، أن الله قد يقبل إيمان من يؤمن بالمسيح الكوني قبل أن يُعلن لنا تاريخيا، لأنه بالحقيقة منذ الأزل هو: الطريق — الحق — الحياة — العدل — الكمال — الجمال — المحبة — الرحمة — لأنه كلمة الله، وهو أزليا من قبل التجسد حامل كل هذه الصفات الإلهية، بدون أن يكون المسيح التاريخي المتجسد. وكتبت: أن من لم تصله بشارة الخلاص بالمسيح، أو سمع عنه ولكنه لسبب أو آخر(خارج عن إرادته) لم يستطع أن يؤمن بالمسيح التاريخي وإعلانه عن شخصه وألوهيته والخلاص المقدم منه، و**هؤلاء هم أكثرية البشر**، فالله سيدينهم و**يمكن خلاصهم لو كانوا قد عاشوا مخلصين بضمير صالح لناموس المحبة** والرحمة وعمل الخير. عاشوا بالناموس الذي زرعه الله في قلب كل بشر، حتى لو لم يكن هناك نبي أو كارز، كما عاش إبراهيم أبو الآباء وآباؤنا الأولين، بدون نبي ولا كتاب ولا كارز، سوى الخليقة التي تحدث بمجد الخالق منذ ظهر الوعي والضمير في الإنسان.

فهل هذا الرأي يعني أنهم يخلصون بغير فداء المسيح وأن لهم طريق آخر لحضن الآب غير المسيح؟ **الإجابة: قطعا لا.** المسيح وحده هو الذي فدى وغطى وطهّر **كل البشر** بخلاصه ودمه. ولا يمكن أن يدخل أحد لحضن الآب بدون أن

يحتضنه المسيح المخلص ويدخله للآب، إن كان هذا الإنسان يقبل حضن الآب بحرية وحب. ولكن ما يقوله البابا فرنسيس والقديس بولس الرسول في القول الذي درسناه هو أن الرب يسوع المسيح هو الذي يقبل هؤلاء الذين بلا ناموس (بلا إيمان رسمي أرثوذكسي كنسي ومعمودية طقسية، لأسباب خارجة عن إرادتهم كما رأينا). ولكنهم متى فعلوا بالطبيعة ما هو في الناموس فهم سيدانون أو يتبررون بحسب ناموس القلب والضمير الذي وصفه بولس الرسول: ''الذين ليس عندهم الناموس، متى فعلوا بالطبيعة ما هو في الناموس **هم ناموس لأنفسهم**. الذين يظهرون عمل **الناموس مكتوبا في قلوبهم** شاهدا أيضا ضميرهم وأفكارهم فيما بينها مشتكية أو محتجة، **في اليوم الذي فيه يدين الله سرائر الناس** حسب إنجيلي بيسوع المسيح'' (رومية ٢ عدد ١٤-١٦).

الخلاص الشامل: Apocatastasis

ما ذكره البابا فرنسيس ليس معناه إيماننا بالخلاص الشامل. لأن **الخلاص الشامل هو يعني خلاص كل البشر بلا إستثناء**، الأشرار والرافضين لله وعمل الخير، والظالمين والمستغلين والخاطفين ما ليس لهم. ولكن البابا فرنسيس يتكلم عن الملحدين المحبين لعمل الخير، ولكنهم غير قادرين على قفزة الإيمان، غالبا لأسباب فكرية أو تربوية تتعلق بالتنشئة غير المسيحية أو غير الدينية عموما، وليس لأسباب أخلاقية فاسدة. وحتى بالنسبة لخلاص كل الخطاة يعلمنا الأسقف كاليستوس وير، أستاذ كرسي الدراسات الأرثوذكسية بجامعات أكسفورد وكامبريدج، تعليما هاما واضحا، قائلا:

''أنه تعليم هرطوقي أن **نُجزم** أن الجميع يجب أن، وسوف، يخلصون؛ ولكنه تعليم مسيحي صحيح أن **نرجو** من الله إمكانية خلاص جميع البشر''

It is heretical to say that all **MUST** be saved, but it is legitimate to **HOPE** that all may be saved

والسبب في أن تعليم الخلاص الشامل هو تعليم هرطوقي وغير مقبول، أن. الخلاص الشامل يعني عدم إحترام الله لحرية إختيار الإنسان. فيكمل الأسقف كاليستوس: [**طالما هناك حرية للإختيار، فهناك جهنم**. لأن جهنم ليست إلا رفض العشرة مع الله والآخرين بالمحبة. لو ألغينا إحتمال وجود جهنم فنحن إذن نلغي حرية إختيار الإنسان].

الله لن يُرغم أو يقهر أحدا لكي يحبه. لأن الحب المقهور والمفروض، ليس هو حبا بل عبودية قاسية. فكيف يستعبد الله إنسانا قد سبق وخلقه حرا؟ جهنم ليست سجنا خلقه الله. الله لم يخلق جهنم لمن لا يحبونه، بل يقول الكتاب أنها: ''معدة فقط لإبليس وملائكته''. **جهنم هي حالة التغرب عن الحب التي يصنعها الإنسان بنفسه لنفسه**، فالإنسان هو عشماوي نفسه لأنه بحريته هو الرافض للمحبة مع الله والناس: ''ياهؤلاء جميعكم القادحين نارا، المتمنطقين بشرار، إسلكوا بنور ناركم وبالشرار الذي أوقدتموه ... في الوجع تضطجعون'' (إشعياء ٥٠ عدد ١١). **جهنم هي سجن مغلق من الداخل فقط**، بواسطة السجين نفسه. إنه يصنع سجنه الناري، كما يقول إشعياء النبي، ويدخله ويغلقه على نفسه بكامل حريته. هناك الندم والألم والحسرة على رفض الحب. **والمحبة الإلهية لا تبطل عن من هم في جهنم**. المحبة التي يشعر الأبرار بدفئها في النعيم، هي هي ذاتها التي يختبرها الأشرار الرافضين للحب كنار عذاب، بسبب الندم على رفضهم لها كحب دافىء. (مقتبس بتصرف من كتاب ''الكنيسة الأرثوذكسية'' لكاليستوس وير)

Kallistos Ware, The Orthodox church, Peguin Books, pages 261-262

آريوس ونسطور وأوطاخي:

رأينا مما سبق أن الكنيسة قد فسرت إعلان الرب لنا عن شخصه، والآب السماوي والروح القدس، إعتمادا على حياة الرب وتعليمه. وكان معنى هذا الإعلان الوحيد المقبول والمفهوم، هو أن الثلاث أقانيم هم إله واحد لأن لهم جوهر واحد. وأن الآب

هو مصدر الأقنومين الآخرين منذ الأزل، أي لم يكن هناك من أقنوم سبق أقنوما، لأن الله ليس فيه زمن. ليس فيه ماضي ومستقبل، بل هو كائن حاضر دائما. حتى عبارة "**ربنا موجود**"، الدارجة ببساطة، هي جوهريا تحوي خطأ لغويا. لأن كلمة موجود هي إسم مفعول، أي تعني أن هناك فاعل آخر غير الله قد أوجده، حاشا. واللفظ السليم لغويا ولاهوتيا، إن شئنا، هو "**ربنا حاضر قادر**".

رأينا أيضا أن **إحتقار المادة** المخلوقة هو السبب الجوهري للهرطقة الغنوسية والمانوية. وبإحتقار المادة، وبالتبعية الجسد، أصبح من المستحيل قبول أن الله يتجسد في هذه المادة النجسة. فما هو إذن الحل الوسط الذي يتفق ويتصالح مع الفكر النجس والمنجس للمادة والجسد، ومع إعلان أن المسيح هو الله الظاهر في الجسد؟ هنا المعضلة التي حاول وإجتهد لحلها جهابذة الفكر في القرون الأولى. ومن هنا نبتت الأعشاب الضارة، أي الهرطقات، عند من لجأوا للذكاء البشري وحده بدون الحس الروحي وفهم سر التجسد.

لأنه عسير جدا أن يقبل الإنسان أن الله العظيم المجيد المتعالي يقبل أن يتحد بمادة الكون النجسة، ويشاركنا هذه النجاسة. وذلك لأن للإنسان النجس كل شيء نجس. وأما للطاهرين فكل شيء طاهر. لذلك كان **القاسم المشترك الأعظم لكل الهرطقات الكبرى هو أنها جميعها رفضت إتحاد طبيعة الله مع الجسد والطبيعة البشرية إتحادا حقيقيا كاملا وتاما: بلا إختلاط ولا إمتزاج ولا تغيير ولا إفتراق ... بين الطبيعتين.** ومن هنا ندرك مصدر وعظمة الأمانة الأخيرة في قداسات الكنيسة قبل التناول، والتي تؤكد ما سبق من وصف لهذا الإتحاد، وإن كان فقط بالرفض السلبي الرباعي، لما هو غير مقبول. وذلك لكي تؤكد الكنيسة أن خلاصنا كله متوقف على "**إتحاد طبيعة الله بطبيعتنا**"، وذلك لكي ينيرها ويحييها ويمجدها (باركت طبيعتي **فيك**) بالحق: وبلا إختلاط ولا إمتزاج ولا تغيير ولا إفتراق بين الطبيعتين.و السبب الجوهري جدا والذي يندر الحديث عنه، للعجب، هو أن هذا **الإتحاد** هو هو ذاته الذي سماه الكتاب المقدس:

الفداء أو الخلاص أو الكفارة لطبيعتنا. راجع كتاب "**العدالة الإلهية حياة لا موت ومغفرة لا عقوبة**" على موقع العدالة، ويمكنك تنزيله مجانا:

www.copticorthodox-divinejustice.com

هذا الخلاص هو الذي به نجاة الإنسان من الفنائية والمحدودية والعدم، وإشتراكه في كل المجد والخلود الذي أخذته الطبيعة البشرية في المسيح. هذا التمجيد للطبيعة البشرية التي للمسيح، ولنا تباعا، باتحادها مع طبيعة الله سماه آباء الكنيسة: "**تأليه الإنسان**" أي أن نصبح على صورته كمثالة بكل حق، منعم به علينا في المحبوب، برغم عدم إستحقاقنا ولا حتى لرؤية وجهه المجيد.

"تأليه الإنسان":

لا يعني تأليه الإنسان أننا نصير آلهة بالطبيعة في "**مساواة**" مع الله في طبيعة لاهوته، بل يعني أننا بالنعمة نتأله أي بالنعمة (و ليس بالطبيعة) نتمتع بـــــ "**مشابهة**" **طبيعة المسيح البشرية فقط**، والتي تألهت وتمجدت بإتحادها بالطبيعة الإلهية. التأليه يعني أننا كبشر **نستنير بنور مجده الذي تشبعت به الطبيعة البشرية في المسيح**، وليس أننا نتحول بالمساواة مع طبيعة اللاهوت. بمعنى آخر: كل المجد الذي تشربته الطبيعة البشرية في المسيح (لأنها إتحدت مع الطبيعة الإلهية الخالدة المنيرة المجيدة) ينتقل إلينا بالإيمان وبفعل وعمل الروح القدس فينا: "ليأخذ مما للمسيح ويعطينا" ويزرع فينا مجد الرب الذي أعطاه إياه الآب لبشريته. وهذه شهادة الكتاب المقدس، من فم الرب والرسل، وأيضا كما تغني بها قديسونا مؤكدين هذه المعاني والحق في القداسات:

"**أنا قلت أنكم آلهة، ولا يمكن أن ينقض المكتوب**" (يوحنا ١٠ عدد ٣٤-٣٥). و"أنا قد **أعطيتهم المجد [ذاته] الذي أعطيتني**، ليكونوا واحدا كما أننا نحن واحد ... وليعلم العالم أنك أرسلتني **وأحببتهم [أنت بالحب ذاته] كما أحببتني**"!!! (يوحنا ١٧ عدد ٢٢-٢٣). "و أما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد الله ... **ومن ملئه نحن جميعا أخذنا**" (يوحنا ١ عدد

١٢و ١٦). ''الذين سبق فعرفهم سبق أيضا فعينهم ليكونوا **مشابهين صورة إبنه**، ليكون هو بكرا بين أخوة كثيرين'' (رومية ٨ عدد ٢٩). و''نحن الآن أولاد الله و لم يظهر بعد ماذا سنكون. ولكننا نعلم أنه إذا أظهر (المسيح) **نكون مثله لأننا سنراه كما هو**'' (١ يوحنا ٣ عدد١). ويؤكد بولس الرسول أننا ''و نحن جميعا ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما في مرآة، **نتغير إلى تلك الصورة عينها** من مجد إلى مجد '' (٢ كورينثوس ٣ عدد١٨) . ويختمها مسك القديس بطرس الرسول: ''قدرته الإلهية قد وهبت لنا كل ما هو للحياة والتقوى ... **لكي تصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهية**'' (٢ بطرس عدد ٣-٤).

وقال القديس أثناسيويس الرسولى: ''**لقد صار الله إنسانا لكي يصير الإنسان إلها**'' (تجسد الكلمة ٥٤ عدد ٣). ويقول القديس غريغوريوس اللاهوتي في صلاة الصلح: ''و عند صعودك إلى السموات جسديا إذ **ملأت الكل بلاهوتك**''. ومثله نصلي بكلمات القديس كيرلس السكندري في القداس: ''عند إستحالة الخبز والخمر إلى جسدك ودمك، **تتحول نفوسنا إلى مشاركة مجدك، وتتحد نفوسنا بألوهيتك.**''

الآن إذن نعي لماذا كان يجب على الكنيسة أن ترفض تعليم الهراطقة. لأن عدم إتحاد طبيعة الله في المسيح بطبيعتنا البشرية التي في المسيح إتحادا حقيقيا (بلا إختلاط ولا إمتزاج ولا تغيير ولا إفتراق بين الطبيعتين)، يكون مقتضاه أننا لا يمكننا نحن أيضا أن نتحد بالطبيعة الإلهية. وهذا معناه أننا لا يمكننا أن نُفتدى وأن نخلص وأن نتطهر من (يُكفّر عن) خطايانا، إن لم يكن المسيح هو الله بطبيعته اللاهوتية وقد أتحد معنا بطبيعتنا البشرية في شخص المسيح الواحد، ومنه بالروح القدس نأخذ المجد ذاته الذي أعطاه الآب لإبنه من أجلنا ومن أجل خلاصنا .... لكي نحقق وعده ''أنا قلت أنكم آلهة، ولا يمكن أن ينقض المكتوب''. والآن يمكننا في غاية السهولة أن نتفهم ماذا قال الهراطقة الكبار:

قال آريوس:

إن **المسيح مخلوق عظيم وهو "بكر كل خليقة" بالمعنى الزمني** (تعليم شهود يهوه)، وليس بكر كل خليقة لأنه **القائم الأول** من بين الأموات كما كتب الرسول بولس. خلقه الآب، الذي هو إذن أعظم من الإبن، لكي يخلّص به البشرية. النتيجة الفاسدة: إذن المسيح ليس هو إله حق من إله حق. إذن لا يقدر أن يفتدي ويخلص طبيعتنا، لأنه مجرد مخلوق. ومهما كان عظيما، هو عند آريوس مخلوق مثلنا، لا يستطيع تأليه طبيعتنا ويعطيها الحياة الأبدية.

[= مخلوق ١٠٠٪، إله ٠٪، إتحاد ٠٪]

قال نسطوريوس:

العذراء ولدت الطفل البشري يسوع فقط. وجاء المسيح السمائي وسكن **بجوار** الإنسان يسوع في زمن ما. وبهذا أصبح **اللاهوت مجرد "مجاورا" فقط للناسوت ولكنه لم يتحد معه.** فكان المسيح يقوم بأعمال بلاهوته وأخرى بناسوته، منفردين. النتيجة الفاسدة: المسيح إذن هو **شخصان** (و ليس، كما في الإيمان الأرثوذكسي: شخصا واحدا من طبيعتين كاملتين متحدتين إتحادا كاملا في طبيعة واحدة، هي طبيعة "**إبن الله المتجسد والمتأنس**"). إذن **الطبيعة البشرية لم تتحد بطبيعة الله**، بحسب تعليم نسطوريوس. إذن الطبيعة البشرية لم تفتدى و لم تخلص و لم يكفر عنها باتحادها بطبيعة الله في المسيح. [= إنسان ١٠٠٪، إله ١٠٠٪، إتحاد ٠٪].

قال أوطاخي:

المسيح إله كله تقريبا. وأما ناسوته (الطبيعةالبشرية) فهو لم يزد عن نقطة خمر (أو خل أو عسل) ذابت في بحر كبير. فهو إذ أراد أن يؤكد بشدة إعترافه باللاهوت، و لم يستطع أن ينكر الناسوت التاريخي للمسيح، **أذاب الناسوت في اللاهوت**. النتيجة الفاسدة: الطبيعة الإلهية في المسيح لم تتحد حقا إتحادا تاما مع

طبيعة بشرية حقيقية، وإنما الطبيعة البشرية **ذابت وتلاشت** تقريبا، وبذلك لم تفتدى وتخلص طبيعتنا البشرية من خلال هذا الفكر المنحرف والناقص المشوه. [إنسان ٠٪ تقريبا، إله ١٠٠٪ تقريبا، إتحاد ٠٪].

و كما نرى فكر هؤلاء لا يزال حيا في صور متعددة. فتعليم آريوس هو تعليم **شهود يهوه**. وتعليم نسطور موجود في كل **تعليم يشق ويفصل حياة الإنسان** بعيدا عن الوحدة الحقيقية المتآزرة بالنعمة مع جهاد الإنسان. **فكل من يحيا حياة منقسمة** إلى ما هو دنيوي وماهو مقدس من أنشطة، أو ما هو روحي وما هو عالمي، أو أن هناك حياة كنسية وأخرى عملية مادية في كل ما يعمله في حياته، هو نسطوري. هو لا يعي أن بالتجسد صار كل عمل إنساني هو عمل ''إنسانى/ إلهى''، في آن واحد، إن كان مقدما بالحب لله وللقريب. فالسعي وراء لقمة العيش إن كان من أجل الآخر (أسرتي وأخوة المسيح أقاربى) فهو عمل روحي باقي معي في الأبدية بالدرجة الأولى، وإن كان هذا السعي لشخصي فقط فهو عمل ترابي ميت بموتي. فالإزدواجيات والثنائيات الغنوسية المانوية، بين الروحيات والماديات، والعمل والتأمل، والروح والجسد، هي كلها **إمتدادات نسطورية تشق الإتحاد والمؤازرة بين نعمة عمل الله وجهادنا** في الحياة. وبذلك تفقد الحياة معنى الفداء والخلاص وتأليه كل عمل صالح، كما أراد الرب بفدائنا نحن والعالم والخليقة كلها. **ومن إمتدادات النسطورية (وليدة الغنوسية كما رأينا) كل تعليم ينكر أن المسيح قد صُلب، وأنه قد شبه له بشخص آخر.** أو أن الذي صُلب كان يسوع وليس المسيح الذي صعد حيا للسماء، تاركا الإنسان يسوع على الصليب.

فليكن أناثيما:

ليس معنى كلمة أناثيما **اللغوي الأصلي**، هو ''فليكن ملعونا'' أو ''فليكن محروما''، كما يظن ويترجم الكثيرون، وكما أصبح الإستعمال الدارج في الأدب الكنسي. ولكن إن سألت مواقع ''ويكيبيديا'' و''الإنسيكلوبيديا الكاثوليكية'' عن معنى الكلمة اللغوي الأصلي تجد الرد:

Anathema = Offered up to God; What belongs to God

أي تكون ترجمة أناثيما الصحيحة بالعربية هى: ''**فليكن أمر هذا الإنسان مرفوعا ومتروكا لله**''. الله هو الحكم والديان وليس نحن. فما هو دور الكنيسة إذن؟ الكنيسة تُجرِّم وتُحرِّم وترفض ما لا يتفق من **تعليم** الهراطقة مع ثوابت العقيدة فقط. الكنيسة ليست ضابط شرطة لتجريم البشر، ولكنها تُحرِّم وترفض **تعليم** الهراطقة فقط، و**ليس أشخاصهم**. فأشخاصهم متروكة للديان العادل وحده.

هرطقة التهود ورفض دسقولية الرسل لها:

التهود هو عودة المسيحيين للحياة بحسب ناموس موسى، خاصة سفر التثنية. وهذا السفر هو الذي يرسم طقوس النجاسات والطهارات القديمة. ودسقولية الرسل تنهينا نهيا تاما عن العودة لأي من تعاليم وممارسات هذا السفر الذي قد أبطله الرب يسوع المسيح تماما.

ما جئت لأنقض بل لأكمل:

نحن نعلم أن الرب عندما قال ''**ما جئت لأنقض بل لأكمل**'' أنه أيضا رفض عنف الناموس، وحررنا من عبودية ما أسمته دسقولية الآباء الرسل ''**أثقال – رباطات – أو كتافات الناموس**''، والتي شرحتها الدسقولية في الفصل ال٣٣، كما قدمها لنا المستشار د. وليم سليمان قلادة، وأقتبس منها هذه الفقرة الرائعة جدا:

''فلأجل قساوة قلوبهم (شعب إسرائيل) **ربطهم بهذا: الذبيحة والتطهير والإمتناع (لا تمس ولا تذق ولا تستعمل أو تجس)** [راجع كولوسي ٢ عدد ٢١-٢٢، فهي تؤكد أن هذه الرباطات كلها: وصايا وتعاليم **الناس** وليس الله!] ... فأما أنتم أيها المؤمنون الذين آمنوا بإله واحد ... فقد **حلكم منها وجعلكم أحرارا من العبودية من هذه الرباطات** ... لأن المسيح إبن الله لما جاء حقق الناموس وكمله، وحمل الأثقال [رباطات أو كتافات الناموس] التي كانت عليهم **وبطلها بالكمال، والناموس الطبيعي ثبته** [الذي عاش به الآباء بدون وصية مكتوبة قبل موسى] وجعل سلطان الناس حرا.''

(صفحة ٧٢٧ من الطبعة الأولى عام ١٩٧٩). مابين الأقواس المربعة [ ] هو إدخال من كاتب هذا الكتاب.

و هذه هي الرباطات: الذبائح والإمتناعات عن اللمس والإستعمال، وأكل الحيوانات المسماة نجسة، والتحفظات الغير منطقية التي لا تقدم الإنسان لا روحيا ولا جسديا، من النجاسات المدعوة كذلك بسبب الإفرازات الطبيعية التي خلقها الله بيديه الطاهرتين (من طمث ونفاس ومعاشرات زوجية)، ولزوم التطهيرات الطقسية من هذه النجاسات.

الرب إذن لم يصدق على، أو يوافق أو يقبل أو يثبت أو يكمل، ما وصفه الرسل في الدسقولية على أنه ''الأثقال والرباطات''. بل على العكس تماما، تؤكد الدسقولية أن هذه الأثقال والرباطات قد ''**حررنا منها الرب بالكمال**''. أما الذي ثبته وأكمله الرب فهو ''**ناموس المحبة**''، وليس ناموس الذبائح والإمتناعات الطقسية والنجاسات والتطهيرات والعنف ورجم القاتل والزاني والمُجدّف، وقطع اليد لمن تتدخل لمساعدة رجلها في عراك مع رجل آخر، وقتل وتحريم المدن بكل من فيها حتى ذكور الأطفال والرُضّع، ونظام بيع وشراء الناس عبيدا، وأخذ النساء سبايا حرب ... إلخ، ذلك العنف الناموسي الغير مسيحي، والذي **يستحيل أن يكون الله هو مصدره** ومدبره والآمر به. هذه الكتافات والرباطات التي حررنا منها المسيح، والتي أوصى موسى بها كلها في الناموس، تشكل تعليما بشريا

(تعاليم ووصايا الناس – كولوسي ٢ عدد ٢١-٢٢)، قد نقبل على مضض أنه كان تعليما ضروريا لحياتهم حينئذ، بسبب غلاظة قلب الشعب العبراني الذي لم يكن يحتمل كمال تعليم المحبة الإلهية!

و القطعة السابقة من أقوال الرسل، في الدسقولية، هي جوهرة ثمينة جدا وهامة جدا، لأنها تشكل إجابة يسأل عنها الجميع ولا يجروء على مناقشتها إلا القليلون جدا منا: ما هو بالضبط ما كمله الرب من الناموس، وما هو بالضبط ما حررنا منه في العهد الجديد؟ هذه الفقرة من الدسقولية تجيب بكل دقة، فهي ميزان حساس ودقيق للتمييز بين ما قد ثبته وكمله الرب في قوله ''ما جئت لأنقض بل لأكمل''، وبين ما قد ألغاه وأبطله نهائيا، وحررنا منه بالكمال والتمام، من أثقال التعليم القديم، والتي يؤكد بولس الرسول أنها ''**وصايا وتعاليم الناس**'' وليس الله، حاشا (كولوسي ٢ عدد ٢١-٢٢).

هذا النص من الدسقولية، وحقيقة أن الرب بنفسه قد ألغى هذه الأثقال، في الحقيقة يشكل أبلغ دليل على أن ما قد أبطله الرب لم يكن من تعليمه هو أبدا، حتى ولو كان الناموس كله منسوب إلى الله مباشرة، لأن هذا كان أسلوب التعبير عما كان يأمر به رجل الله قديما: أن هذا أمر الله ذاته. لأنه **لو كان الله هو معطي ما قد أبطله بنفسه لقلنا أن الله قد بدل رأيه، أو أنه هو الذي كان يُحرض على كل ما ذكرته مما لا يمكن قبوله أخلاقيا** لأنه عنف، وعبودية وأسر سبايا حرب وقتل أطفال ورضع، وإستنجاس حيوانات من خلقة يدي الله الطاهرة، وإستنجاس المرأة والرجل وإفرازات جسد الإنسان التي دبرها الله لفائدة الجسد وصحته، بل وإستنجاس كل إنسان أممي غير يهودي لأنه ليس من شعب الله وليس مختتنا. وهذا كله حاشا أن يكون الله هو مدبره في القديم ثم بدّل فكره وأبطل ما كان قد أوصى به كناموس يرجم كل من يكسره.

أما الناموس الذي ثبته الرب فهو الناموس الطبيعي، الناموس الأول، ناموس المحبة المزروع في أعماق ضمير كل إنسان حتى غير المؤمنين والملحدين

والذي يدفع كل إنسان للإستجابة والنجدة لصرخة آخر في خطر، حتى لو عرض حياته للخطر وهو ينقذ أخاه الصارخ نحوه. الذي ثبته الرب هو الناموس الطبيعي الذي جعل كل الحضارات السابقة لموسى، خاصة الحضارة الفرعونية، أن تعلم كل تفاصيل الوصايا العشر، بل وما يرقى عن ناموس موسى في الرقة كما ذكرت في مقالة أخرى، من حنان وإحترام للحيوان والنبات أيضا وليس البشر فقط!

و من كتاب الدسقولية، تعاليم الرسل:

(تقديم د. وليم سليمان قلادة، الطبعة الثانية، الناشر دار الثقافة، من الباب الـــ ٣٣، من صفحات ٧٣٧-٧٥٠):

٩٦- إبعدوا من صانعي البدع كلهم، أيها الأساقفة والعلمانيون — هؤلاء الذين ينجسون الناموس والأنبياء. ..

٩٧- وأيضا آخرون ينجسون بعض الأطعمة ويقولون إن الزواج وولادة الأولاد أمور ردية وأنها من حيل إبليس. ... ويقولون أيضا نحن أقوام أعفاء، ولا نريد أن نأكل ولا نشرب. ..

٩٨- فإن كان أقوام يحتفظون أو يجتهدون في العمل بعادات يهودية، التي هي إعتبار التقطير الطبيعي وفيض الليل، ولمس الأموات، نجاسة، كالناموس — فليقولوا لنا ألعلهم في الساعات أو في الأيام التي يصيرون على واحدة من هذه الحالات يستعفون عن أن يصلوا أو **يأخذوا من شكر الأسرار**، أو لا يلمسون شيئا من أسفار الكتب؟ **وإذا إتفق وقالوا إن الإمتناع عن هذه الأعمال ظاهر الوجوب، فقد صاروا مقفرين من الروح القدس** الكائن الدائم كل حين للمؤمنين. ..

٩٩- **فإن كنت أيتها المرأة المقيمة في الدم سبعة أيام تفتكرين أنك صرت مقفرة من الروح القدس لهذا السبب فإنك إذا مت بغتة، تذهبين وقد صرت غريبة من الروح القدس**، وتعوزك الدالة والرجاء الكائن لنا عند الله. ولكن الروح ساكن فيك بغير إفتراق لأنه ليس بمحصور في مكان

واحد. **فيجب عليك أن تصلي كل حين وتنالي من الشكر (الإفخارستيا – جسد الرب ودمه)**، وتغتنمي حلول الروح القدس عليك.

فإذا كان لك الروح القدس وتتحفظين من ثماره فلا تقتربين إليها، فاسمعي أيضا من جهة ربنا يسوع المسيح: أيتها الغبية والعمياء – **أيهما أعظم الخبز أو الروح القدس الذي يقدس الخبز؟ فإن كان لك الروح القدس فإنك تراعين عادات باطلة..**

١٠٣- **فأنت أيتها المرأة، إن كنتِ كما تقولين بغير روح قدس في أيام عادات النساء، فالروح النجس ملأكِ.**

وأيضا قولي ايتها المرأة التي تظن أنها غير طاهرة طبقا للتثنية طول السبعة الأيام التي للدم، **كيف ستطهرين بعد هذه الأيام بدون معمودية؟** فإذا كنت معمدة، فإنك تهدمين بافكارك معمودية الله الكاملة التي محت تماما خطاياك، وتعودين للسقوط في شر خطاياك الأولى، و**تسلمين للنار الأبدية**...

١٠٤- لأجل هذا أيضا أيتها المرأة، إبعدي من كل كلام بطال واذكري الله الخالق كل حين وصلي له لأنه ربنا ورب كل شيء، واتلي أيضا في ناموسه، ولاتبعدي من شيء من العمل اللائق بسبب ما هو تطهير طبيعي، أو بسبب شركة الزواج الناموسي أو الولادة أو الإجهاض، أو شيء من عيب الجسد. لأن **هذا الإحتراس هكذا بلا طائل وباطل، وعدم فهم لرجال جهال.**

١٠٥- فلا يقدر كفن ميت على أن ينجس نفسا – ولا عظم ميت ولا قبر ولا شيء من الأكل **ولا الإحتلام.**

لأنه إذا كان رجل يغتسل (بهدف التطهير الطقسى) إذا ما إتصل بزوجته أو فقد دما ... سيغسل بلا إبطاء ملابسه وسريره ولن يستطيع أن يعمل

أكثر. **ولكن إذا كنت بحسب التثنية تغتسل بعد فيض أو بعد علاقات زوجية، فيجب عليك أيضا أن تغتسل إذا سرت فوق فأر.** ولن تكون طاهرا قط – لأن حذاء قدميك مصنوع من جلد أموات. ...

إنك تنقض معمودية الله وتجدد خطاياك، وتوجد من جديد في خطاياك الأولى ... وتجذب أيضا اللعنة عليك لأنك **عندما تحفظ التثنية فإنك تشارك في اللعنة التي توجهها لمخلصنا، وتوجهها أنت ضد المسيح (لأن ملعون من علق على خشبة هو تعليم التثنية). وأيضا فإنك ترث اللعنة، لأن من يلعن إنسانا فإنه يُلعن.** ..

١١٣- ولا أيضا الطهر الطبيعي (النفاس بعد الولادة) بمرذول قدام الله الذي دبره لأن يكون للمرأة في خلال ثلاثين يوما لأجل منفعة وعافية...

١٢٠- فإن الرجل والمرأة إذا عرفا بعضهما بعضا في الزواج الناموسي، وقاما من مضجعهما – **فلا يحرصا على الإستحمام الطقسي**، بل ليصليا ولا يستحما **لأنهما طاهران**....

١٢٢- فلا تتحفظوا من الأعمال الناموسية والطبيعية وتظنوا أنكم تتنجسون بها. ولا تطلبوا إعتزالات اليهود، والغطس كل قليل ، والتطهير إذا إقتربتم إلى الأموات.]

هل من صدام بين الجسد والروح؟ ما معنى الجسد المذموم والجسد الطاهر، خليقة الله؟

كتب الأب جورج خضر، مطران جبل لبنان الأرثوذكسي، في الإقتباس الآتي من كتابه "**الجسد والعفة والحب**"، هذا العنوان المكتوب أعلاه، والعنوان اللاحق (صفحات ٣٤-٣٥، منشورات النور اللبنانية)، لإيضاح الخلط الرهيب والذي يؤدي إلى فشل الكثيرين في حياة إنسانية روحية سليمة خالية من مركبات "**عقدة الذنب**"، التي ورثناها من تأثيرات الفكر الغنوسي المانوي في التراث النسكي الخاطىء، كما رأينا، عند الجل الأعظم من أبناء الكنيسة في الشرق. كتب

موضحا **الخلل المدمر للخلط بين معنى "الجسد الطاهر" خلقة الله، و"الجسد المذموم" في الكتاب المقدس.** وسبب ذلك الخلط هو أننا قد **ترجمنا الكلمتين اليونانيتين اللتين إستعملهما الرسول بولس عن الجسد بمعنييه الطاهر (سوما) والمذموم (ساركس) إلى كلمة واحدة فقط في العربية وهي:"جسد".** وبذلك نكون خالطين في فكرنا على الدوام الجسد الطاهر الخير بالجسد الشرير والمذموم. ومن ثم وقوعنا في الجريمة الكبرى في حق الإنسان في الحياة الطبيعية الطاهرة بضمير غير منجس. ويحدث هذا بسبب **إحتقار وتجريم كل إحتياجات الجسد الطبيعية التي خلقها الله فينا بكل ما هو شرير.**

أي أن إحتياجات أجسادنا الطيبة والطاهرة والمقدسة (المخلوقة بيد وتدبير الله ذاته) من **إحتياج للطعام ولذته** وإحتياج إلى **الجنس ومتعته** (في الزواج)، وإحتياج إلى **التقدير والترقي وفرحته،** وإحتياج إلى **الطموح** المجاهد بالعمل الكريم **لتحقيق الذات ونشوته** ... كل هذه الإحتياجات إن أخطأنا فهمها، على أنها "**شهوات جسدية**" بمعنى أنها رغبات شريرة أو منحرفة، بدلا من كونها "**شهيات خيرة**"، أو أنها أساسا شهوات من عمل الشيطان، وأعراض للخطية فينا، لأصبحت حياتنا كلها هي جوهريا **نوع من عبادة الشيطان، بكل ما تحمله للمسيحي المجاهد من عقد نفسية ودمار** نفسي وجسدي وزوجي وفي العمل والرغبة في الترقي والطموح والتمتع بكل ما خلقه الله فينا للتمتع الطاهر، لأنها كلها تصبح شرا في شر لا ينتهي إلا بموتنا!

(الإقتباس من المطران جورج خضر)

[أما ما جاء في الكتاب المقدس عن صدام الجسد والروح فإنما المقصود به شيء آخر بالكلية. عند بولس الرسول لفظتان (سوما) أي بدن ولفظة (ساركس) التي ترجمت أيضا جسد وهذا سبب إلتباسا عندنا نحن القراء العرب. الـــــ (سوما) هو البدن اللحمي الطاهر والخير، والـــــ (ساركس) هو ما يسميه بولس "**جسد الخطية**" أو كيان الخطية. في الإنسان كيان أصيل أساسي آت

من الله نفسا وجسدا معا، والإنسان الأصيل غير المشوه هو الـــــ (سوما). أما الـــــ (ساركس) فهو الإنسان المشوه المنفسد نفسا وجسما معا. **الإنسان كله، آدم الجديد، من حيث هو جسد وروح بتأثير الروح القدس يسمى (بنيفما) أي روح عند بولس الرسول. والإنسان كله بوصفه متأثرا بالخطية يسمى (ساركس) أي جسد آدم العتيق.**

الجسد يشتهي ضد الروح والروح ضد الجسد، يعني صراع بين آدم العتيق وآدم الجديد في داخل الإنسان ذاته، **وليس هو صراعا بين روح وجسد الإنسان خليقة الله الطاهرة.** فإن كان الجسد في الإنسان أصيلا (آدم الثانى) صارت كل أعمال الجسد مباركة وروحية.

هرطقات إحتقرت الجسد:

(تكملة الإقتباس من المطران جورج خضر)

لذلك كفر بولس الرسول أناسا في عهده كانوا يحتقرون الجسد: "مرائين ينطقون بالكذب ... يمتنعون عن الزواج وعن أطعمة خلقها الله ... فإن كل خليقة هي حسنة" (١ تيموثاؤس ٤ عدد ١-٢٥). وقد جاء قوم مثلهم في العصور التالية سموا بالإنكراتيين، اي المستعفون، المتزمتون في العفة. لذا جاء في مجمع غنغرة (القرن الرابع): "**أناثيما كل من يحرم شرب الخمر والزواج وأكل اللحم**". وقد إنتشرت كثيرا هذه الفكرة المحقرة للجسد عن طريق المانوية الآتية من فارس. وكانت هذه الشيع المسماة بأصحاب المعرفة (الغنوسيين) الذين كان بعضهم يحتقر الجسد والزواج. وهذا الإحتقار عندهم ناتج من كونهم يحتقرون المادة ويقولون أنه لا يمكن أن يمس الله المادة وأن يخرج منها مباشرة العالم المنظور. (إنتهى الإقتباس من المطران جورج خضر)].

«المسيحية والجسد»

كتاب للأنبا بيمين أسقف ملوي المتنيح:

[والذي أدخل إلى التصوف المسيحي مفهوم النسك الخاطىء القائم على منهج الثنائية (التضاد) بين الجسد والروح هي العقيدة الأفلاطونية التي تسربت إلى المسيحية وكانت تنادي بأن العالم المادي ليس من أعمال الله، وأن كل ما هو مجرد فهو راقي. هذا الإتجاه لا يوافق مقاصد الله من الإنسان ولكن الإفلاطونية ألقت بظلها على بعض **المناهج النسكية المنغلقة، ونظرت إلى الإنسان على أنه عقل محبوس في جسم مادي يتطلع إلى التحرر منه وأن الجسد مقبرة للروح.** ولكن الثالوث الأقدس عندما خلق الإنسان خلقه جسما ونفسا معا، وحين نزل الله الكلمة الإبن الأزلي إلى أرضنا ليفتدي الإنسان لم يأخذ نفسا فقط بل أخذ جسدا أيضا لأنه شاء أن يفتدي الإنسان بأكمله جسما ونفسا.

و الكتاب المقدس دائما أبدا يرفض نظرية الثنائية تماما ويؤكد نظرية الوحدانية – وحدة السيكوفسيولوجي – وقد ألمحنا إلى هذا في بداية هذا البحث. **وقد حرم مجمع عنغرة المكاني في القرن الرابع كل الذين يدينون الزواج أو يحرضون على التعفف بسبب الخوف من الزواج** لا بسبب جمال البتولية. **وقوانين الرسل تحكم على الإكليروس والعلمانيين الذين يمتنعون عن الزواج وأكل اللحم وشرب الخمر باعتبارها نجسة وتسميهم مجدفين على عمل الخليقة.**

و لا يزعجنا ما نقرأة في بستان الرهبان من قصص هدفت إلى تعذيب الهيكل الجسدي، فهذه الخبرات إنما هي شخصية أولا وقبل كل شيء. إنما يلزمنا أن نفهمها على أنها محاولات للوصول إلى الإستنارة والمعرفة الكاملة للخسائر التي سببها الشر داخل النفس.] صفحة ٦٦-٦٧

الخليقة كلها ستعتق من الفساد:

و يكمل الأنبا بيمين في كتابه عن «**الرؤية الأرثوذكسية نحو العالم**» (صفحة ١٦-١٧): [يقول معلمنا بولس الرسول: «إن إنتظار الخليقة يتوقع إستعلان أبناء الله، إذ أخضعت الخليقة للبطل، ليس طوعا بل من أجل الذي أخضعها على الرجاء. لأن **الخليقة نفسها أيضا ستعتق من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله، فإننا نعلم أن كل الخليقة تئن وتتمخض معا إلى الآن.** وليس هكذا فقط بل نحن الذين لنا باكورة الروح **نحن أنفسنا أيضا** نئن في أنفسنا متوقعين التبني فداء أجسادنا» (رو ٨ عدد ١٩-٢٣).

و معنى هذا أنه في اليوم الأخير لن يخطف الإنسان من بين الخليقة، بل إن الخليقة كلها ستخلص وتتمجد معه. «حينئذ رأيت سماء جديدة وأرضا جديدة لأن السماء الأولى والأرض الأولى مضتا». (رؤ ٢١ عدد ١).

و كما يشير تجلي المسيح إلى قيامة الأجساد في اليوم الأخير، فانه يشير أيضا إلى **التحول الذي سيتناول الكون كله، وذلك لأنه على جبل طابور لم يتجل وجه المسيح فقط بل سطعت ثيابه أيضا، إشارة إلى أن المادة سوف تتجلى أيضا مع تجلي الإنسان.** وكما أن الخليقة المادية كلها تلوثت بفساد الإنسان وسقوطه، كما يقول القديس أثناسيوس الرسولي، فإن الخليقة نفسها أيضا ستعتق من عبودية الفساد عندما يتمجد الإنسان ويلبس الجسد النوراني في المجيء الثاني.
و إذا كانت الكنيسة الأرثوذكسية تقدس المادة في الأسرار الإلهية، وصنع الأيقونات المكرسة في الكنائس، وأضحى الماء والزيت والخشب والخبز والخمر مجالات للتقديس ووسائط لنيل النعمة الإلهية، فإن **المادة سوف تتجلى عندما تنحل العناصر وتذوب، ويقيم الرب أرضا جديدة** يسكن فيها البر إلى الأبد حسب وعده المبارك "ها أنا أصنع كل شيء جديدا".
و لقد رأي يوحنا بعين النبوة سماء جديدة وأرضا جديدة، هي مسكن الله مع الناس، وهو سيسكن معهم وهم يكونون له شعبا والله نفسه يكون لهم إلها معهم، والموت لا يكون فيما بعد ولا يكون حزن ولا صراخ ولا وجع فيما بعد لأن

الأمور الأولى قد مضت (رؤ ٢١ عدد ١-٤).
و سوف يأتي يوم يتجدد الإنسان ويتجلى ويتمجد جسدا وروحا، ويصبح في حياة شركة دائمة مع الله، **وسوف تنال الخليقة المادية بعضا مما ناله كاهنها وسيدها**، أو كما كان التشتت والإضطراب من خلاله سيكون التجلي والتجدد معه أيضا.] (إنتهى الإقتباس من كتابات الأنبا بيمين).

شهادة التاريخ: أقوال من كتاب "بستان الرهبان" وبعض آباء الكنيسة من المتأثرين بالغنوسية والمانوية:

+ كتاب بستان الرهبان:

كتاب بستان الرهبان، لآباء الكنيسة القبطية، الطبعة الخامسة، قام بمراجعته وتنقيحه لجنة التحرير والنشر بمطرانية بني سويف والبهنسا:

[* سمعت أحد نساءالبلاط في روما بالأنبا أرسانيوس وجائت لزيارته بمصر. فأرسل لها "لا تحضري لأني **لا أشاء أن أبصر وجه إمرأة**". ولكنها وصلت عنده. فقال لها: "أما تعلمين أنك إمرأة ولا يليق بك الخروج إلى مكان ما؟ أتريدين المضي إلى رومية قائلة للنساء الباقيات أنني رأيت أرساني، فتحولين البحر طريقا للنساء ليأتوا إليه؟" فأجابته السيدة قائلة: "إني لإيماني يا أبي أتيت وإن شاء الله لن أدع إمرأة تأتي إليك، فصل من أجلي دائما." فأجابها منتهرا قائلا: "**لا بل إني أصلي إلى الله أن يمحوا خيالك وإسمك وذكرك وفكرك من قلبي**". وتركها ودخل القلاية.

* وإذا إضطر أحد الرهبان الكلام مع النساء، فليرد وجهه عن نظرهن عند كلامه معهن، ليفر من لقاء الراهبات ومؤانستهن ونظرهن، **كالهارب من فخ الشيطان**، لئلا يتسخ بحمأة الأوجاع النجسة، **حتى وإن كن أخواته بالطبيعة**، فليحفظ نفسه منهن في كل شيء كالغرباء... **والأصلح أن يأكل سم الموت ولا يأكل مع إمرأة ولو كانت أمه أو أخته.**

* إذا دعيت لتأكل عند إنسان وعلمت أن هناك إمرأة جالسة ستأكل معك

، فارفض ولا تأكل هناك البتة. لأنه **خير لك أن تحزن ذاك الذي دعاك من أن تزني بفكرك في الخفاء.**

* قال الأنبا أغاثون: إن **الدلال والمزاح والضحك** أمور تشبه نارا تشتعل في قصب **فتحرق وتهلك.** أبصر أنبا نومين أخا يضحك، فقال له: **لا تضحك يا أخي، لئلا يبتعد عنك الله]**

+ الكاتب الأرثوذكسي بول إفدوكيموف:

كتاب "**سر الحب**" للكاتب الأرثوذكسي بول إفدوكيموف، الناشر: معهد القديس فلاديمير بنيويورك، يحدثنا عن الدور الذي لعبته الهرطقات المختلفة في إستنجاس المرأة والزواج والجنس:

[**من المعلوم أن الجنس لم يجد له مكانا في تاريخ الكنيسة إلا بتحويله إلى الروحانية الرهبانية... ومن هنا كان الحلم بالإنسان اللاجنسي الملائكي، وكان بالتبعية الخوف من المرأة،** بل والتخوف والقلق عند الكثير من آباء الكنيسة من فقرات سفر التكوين التي تصف اللقاء المدهش بين الرجل والمرأة في الفردوس قبل السقوط. حتى أن بعض الآباء قالوا بأن هذا اللقاء المدهش المفرح لم يدبره الله إلا بسبب سابق علمه بالسقوط. وكما لو **كان خلق المرأة هو أساسا مجرد خلق أداة لتحقيق تاريخ الخلاص (بالولادة).]** (ص٧)

[الكنيسة الأرثوذكسية قد حافظت بصورة نسبية على روحانية الحب الإنساني (الزوجي) لأنها أبقت على زواج الكاهن السرائري منذ القرون الأولى، بالرغم من أن **الكنيسة الغربية قد قننت، بسبب الخوف والهلع من الجنس، قننت البتولية الإجبارية للكهنة.]** (ص٨)

[أحيانا نظن أن مشكلة الخلاص هي فقط للرجال. وأن **من أراد أن يخلص نفسه عليه أن يخلص نفسه من المرأة أولا.** وهذا صدى الفكر الغنوسي الذي يعلم بأن الخلاص أساسا يعني الخلاص من الجنس، وأنه بهذا **يختزل المرأة إلى كونها كائنا للجنس فقط، بل ومن هذا المطلق فهي تابعة للشيطان ذاته.** هناك من النساك الرهبان من كان يرفض مقابلة أي امرأة، حتى أمه (بستان الرهبان) لأنها تذكره بجنس

المرأة الملعون. **كان الكاثاري (المتطهرون) يحرّمون الزواج لأنه عمل شيطاني كريه.]** (ص١٦-١٧)

[كان بعض اللاهوتيين يعلمون أننا لا نحتاج لإنجاب أعداد أخرى من البشر، **كانوا ينظرون للزواج على أنه مجرد وسيلة لتجنب الزنا فقط. وكان هؤلاء يعتبرون الحب الزوجي الشديد العاطفة على أنه زنا]** ! (ص١٧)

[المرأة التي تتبع النسك الغير سوى (و تعتقد أن الجنس أقل قداسة من عدمه) توصف بأنها تعاني من البرود الجنسي. والأطباء يدركون بخبرتهم أبعاد هذه المأساه التي تفسد العلاقات الزوجية. فهي تؤدي إلى الضعف الجنسي (العِنّة) عند أزواج أولئك النسوة أو البحث عن عشيقة] (ص١٧)

[محاولة تعظيم البتولية تحمل رسالة تحتقر الزواج . يبدو أن المسيحية تُعرّف وتفهم من خلال البتولية فقط. وهذا جعل الزواج كونه حالة من الإستثناء الشاذ الذي يجب أن يُحتمل على مضض.] (ص١٧)

[بعض الآباء، وإن كنا نشهد بقداستهم، كتبوا كلاما لا يليق بالمرأة والزواج. ترتليانوس مثلا قال: **المرأة هي باب الجحيم! لأن الرب فتح الفردوس للخصيان (البتوليين).** وأما أمبروسيوس فقال: **يجب أن يخجل المتزوجون من الحالة التي يحيون فيها!** وقال كليمضس السكندرى: **لو تأملت المرأة في طبيعتها لشعرت بالفضيحة]** ! (ص١٧-١٨)

[عدم التمييز بين الناموس الموسوي الأخلاقي والناموس الطقسي (القانون) أدى بالكنيسة (للتهود)، خاصة منذ القرون الوسطى، بإتباع **مواقف لا تتفق مع تعليم الكتاب المقدس، مثل: المنع المؤقت للمرأة أثناء الطمث أو بعد الولادة من التناول من الأسرار المقدسة، ومنع االمتزوجين بعد المعاشرة الزوجية من التناول]** (ص١٨)

[بعض آباء الكنيسة كانوا **يرحبون بالزواج، فقط لأنه سوف ينتج للكنيسة أبناء جدد ليصبحوا رهبانا وراهبات]** ! (ص٢١)

[القديس باسيليوس

قال القديس باسيليوس: **الزواج مكرم كعقد للإنجاب فقط، وليس للتمتع]** (ص٢١)

[لا يمكننا أن ننكر أن التعليم المسيحي عن الزواج قد تأثر بالبوذية والهندوسية، والثنائيات الفارسية، والمانوية، والغنوسية والتي جميعها في مجملها تتفق مع الفلسفات القديمة والتي كانت تنكر وجود المرأة كشخص يحترم. بالنسبة لأرسطو الذكورة فقط هي التي تشكل المرجع لكل شيء في الوجود. **الرجل هو أسمى من المرأة. المرأة حقيقة ما هي إلا ذكر ناقص، كائن غير كامل]** (ص٢٢-٢٣)

[قال القديس توما الأكويني:
المرأة بالطبيعة ناقصة عن الرجل وأدنى منه] (ص٢٤)

[قال أحد المعلمين الكنسيين:
الخطية الأصلية بالنسبة للمرأة هي أنوثتها] (ص٢٤)

[نساك كثيرون يوافقون نظرة شوبنهاور المتشائمة، والتي تصنف **المرأة كمخلوق وسط بين الرجل والحيوان. المرأة هي مصيدة الطبيعة، لها ذكاء شيطاني، فهي تغوي الرجل للزواج بها ثم تجامعه]** (ص٢٤)

[في تاريخ الكنيسة **إختزل سر الحب الزوجي إلى عقد لتبادل الخلية التناسلية فقط**، بين الرجل والمرأة] (ص٢٤)

[القديس أغسطينوس:

كان تأثير القديس أغسطينوس على فكر اللاهوتيين شديدا. فهو **معلم نظرية الخطية الأصلية** وهو الذي **وصف الرغبة الجنسية عند الإنسان على أنها الشهوة الرديئة ذاتها]** أي لم يقبل إحتمال وجود رغبة جنسية طاهرة بعد سقوط الإنسان في الفردوس (ص٢٤-٢٥)

[حتى وإن كان الزواج هو ترتيب كنسي، إلا أن **الكاملين مدعوون للتعفف** عنه دائما والتوجه نحو **الإمتناع الكامل عن الجنس]** (ص٢٥)

[القديس جيروم:

القديس جيروم قرأ "إِذْنَ" القديس بولس الرسول للمتزوجين بالبعد عن العلاقة الزوجية مؤقتا للصوم والصلاة، لو هم أرادوا، كما لو كان الإذن المعطى هو إذن للزواج وليس للإمتناع . وأن الحالة الدائمة للمتزوجين هي الإمتناع عن المعاشرة الزوجية. كان يقول "إذن الرسول بولس كان لأن الزواج هو حالة تحتاج إلى توبة ومغفرة] ! (ص٢٥)

[دينيس الذي من كورينثوس:

قال دينيس الذي من كورينثوس (١٦٠ميلادية) وهو يُعلم عن الجنس واصفا إياه على أنه ''**سبب ضعف الرجال" والذي إذا أصبح عاطفة جارفة يكون قد تحول إلى حالة زنا، حتى بين الزوجين. الشهوة الجنسية هي أداة ووسيلة توريث الخطية الأصلية. الغريزة الجنسية هي شهوة شريرة في حد ذاتها. العلاقة الزوجية الجنسية تنجس، وتشكل مانعا وعائقا للمشاركة الكاملة للزوجين في الحياة الليتورجية في الكنيسة]** !!! (ص٢٥-٢٦)

[اللاهوت الغربي المدرسي في القرون الوسطى كان سببا في تحطيم معنى وقيمة الزواج إلى عقد مقبول ومتعة حسية خاطئة تشعر بالذنب. الخطية هي جزء لا يتجزأ من الجنس الزوجي. الشهوة الجنسية هي شريرة وهي التي تفسد بذرة الحياة [الحيوان المنوى]. التعليم اللاهوتي الأخلاقي الحالي يحمل الضمير بعقدة ذنب ثقيلة. ولذلك نرى اليوم الكثير من مشاكل الحياة الزوجية تحول إلى الأطباء النفسيين لكونها أمراض عضالة] (ص٢٦-٢٧)

[المؤمن المتزوج الذي يُرسم لخدمة الكهنوت السرائري يُنظر إليه في الكنيسة على أنه طفل مراهق قاصر، غير قادر على ضبط النفس، ولهذا يصاب بعقدة الدونية والإحباط والذنب] لأنه متزوج!!! (ص٢٨)

كتب الأب متى المسكين في كتابه ''**المرأة ، حقوقها وواجباتها**''، مقتبسا رأي القديس كيرلس السكندري في صفحة ٨٢-٨٣، تحت عنوان سيكولوجية المرأة عند القديس كيرلس الكبير:

قال القديس كيرلس السكندرى:

[المرأة لها صفتان تميّزان طبيعتها: النعومة وإرتباطها باللذة. إن كل شر وزلل إنما يأتي عن طريق هذين العنصرين الكائنين في طبيعة المرأة].

وكيرلس الكبير يعزو ضعف المرأة إما لطبيعتها عامة أو للتفكير، أو للإرادة، وهذا مما يزيد سهولة الخطية. بهذا يكون رأي القديس كيرلس الكبير أن منبع الشرور والخطايا كله يتأتى من هاتين الصفتين اللتين للمرأة. ضعف المرأة هو بسبب طبيعتها الأنثوية هذه، وبسبب مستواها العقلي.... ياللعجب!!!

تاريخ إحتقار الجنس والمرأة في الشرق عموما، وجذوره الغنوسية والمتهودة، لايزال حيا اليوم:

- **المرأة:**

هل هي إنسان من الدرجة الثانية؟ أم أن هذه الصورة التي تسيطر على عقول الكثير من الشرقيين، بمختلف معتقداتهم الدينية، هي بسبب **الخوف اللاشعوري من قوة وعظمة المرأة** الحقيقية كما يفسر لنا علم النفس، أم هي نظرة **الرجل المتخلف إنسانيا وحضاريا، والذي لا يرى في المرأة سوى أنها كتلة من اللحم للإغواء الجهنمي أو إناء بهيمي يُمتلك، فقط لمتعة الرجل الجنسية، ومصنع للنسل يجب إخفاءه شكلا وموضوعا للحفاظ على سلامة الإنتاج والنَسَب،** لمصلحة الرجل الذي يملك هذه المرأة وأبنائها؟!

- **المرأة في العهد القديم:**

للأسف كانت النظرة سيئة للمرأة في العهد القديم والكثير من الحضارات الشرقية (كما في الإصحاح الثاني والعشرين من سفر التثنية والوصية العاشرة من الوصايا العشر: ''لا تشته إمرأة قريبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره'' — خروج ٢٠)، مع ملاحظة أن الوصية الموسوية لم تطالب المرأة بألّا تشتهي رجل قريبتها! ولا زالت هذه النظرة في فكر جل الرجال الشرقيين، تؤكد أن المرأة سلعة

يشتهيها ويمتلكها الرجل مثل عبيده وبهائمه. وأما تثنية ٢٢ فعند قرائته نعلم أن **الزنا قديما كان جريمة ترتكب فقط في حق الرجل الزوج الذي يمتلك المرأة الزانية** ، هو فقط المجني عليه! و لم يكن الزاني الذي ضاجعها زانيا إلا لأنها إمرأة رجل آخر فقط! ولذلك فقط كان يُرجم الرجل الزاني، لأنه إعتدى على ملك رجل آخر. أما المرأة نفسها فلم تحسب أنها مجني عليها في شخصها كإنسانة يجب أن تحترم في حد ذاتها. حتى رجم الزانية لم يكن بسبب المضاجعة الجنسية ذاتها (لأنها لم تكن تُرجم لو كانت حرة) بل تُرجم أساسا لأنها أهانت زوجها الذي يمتلكها، وغالبا أيضا لتفادي خلط الأنساب، لأنها لو أنجبت بعد الزنا لن يُعرف الأب الحقيقي للطفل. وكيف يقبل الزوج المهان أن يربي ويورث إسمه وثروته لطفل ليس من صلبه ونسله وينسبه إلى نفسه، مع أن هذا الطفل برىء؟

و لكن لأن الرجل كان من حقه تعدد الزوجات والجواري من سبايا الحرب – أي ملك اليمين – إذا ضاجع رجل إمرأة حرة، أي غير مملوكة لرجل آخر بالزواج أو الخطبة، لم يكن يُرجم. كان يرجم الرجل فقط في حالة كون المرأة التي يضاجعها متزوجة أو مخطوبة. وكان المفترض أن يضم الرجل المرأة الحرة التي ضاجعها لزوجاته، ويدفع لأبيها (المالك لها!) مهرا ٥٠ من الفضة. ولكن لو كانت المضاجعة إغتصابا، فيكون هذا الرجل قد أذل هذه الحرة (و لو أن **الإغتصاب لم يكن حينئذ خطيئة تستحق الرجم مثل الزنا!**). فكان عقاب هذا الرجل (الوحيد) أنه لا يستطيع أن يطلقها كل أيامه، لو وافقت على الزواج منه. لذا بحسب سفر التثنية ٢٢ مضاجعة الرجل لإمرأة غير مرتبطة برجل (سواء بالزواج أو الخطبة) لم يكن سببا كافيا لعقوبته بالرجم كمغتصب، لأن هذا الفعل لم يكن يحسب أنه زنا، لأنه فعل لم تُسرق فيه إمرأة "يمتلكها" رجل آخر! **هذا يؤكد لنا أمرا هاما جدا: أنه بالرغم من أن العبرانين كانوا يُقيّمون العلاقة الجنسية بين غير المتزوجين (الدنس) بصورة غير مقبولة إجتماعيا وأخلاقيا، إلا أنها لم تكن ترقى لإدانة وعقوبة الرجم مثل الخيانة الزوجية (الزنا).**

أما **في العهد الجديد** ، ومع أحادية الزوج والزوجة (إنعدام التعدد)، فالزنا هو الخيانة أو الغش الزوجي بكل ما تعنية كلمة غش أو خيانة، إذا كسر أي من الزوجين رباط الحب وعهد الأمانة للآخر، بأن يرتبط الزوج أو الزوجة (**بالفكر أو العاطفة أو الجسد**) بكامل الإرادة وقبول هذا الإغراء بشريك آخر، كاسرا عهد الحب الزوجي. وهذا العهد والسر الزوجي الذي جعلهما واحدا، **في وضعه المثالي**، لا يُحل منه الإنسان إلا بانتقال الشريك الآخر للسماء. وذلك كما قال بولس الرسول أن المرأة التي مات زوجها – أو الرجل الذي ماتت زوجته – هي **حرة تتزوج بمن تشاء في الرب** – أي يكون الشريك الجديد مؤمنا مسيحيا (١ كورينثوس ٧ عدد ٣٩). فالمرأة في عهد المسيح تتساوى في الكرامة والحقوق والمسؤلية مع الرجل.

- **هل هناك "نجاسة" بسبب أي من إفرازات أجسادنا، سواء عند الرجل أو المرأة؟**

النجاسة هي ما يعزل الإنسان عن الله أو الإنسان الآخر. فلا هو أو هي يُقترب منهما، ولا يحق لأي منهما الإقتراب من أحد، أو التقدم للعبادة وإلا أصابهم مكروه، لأنهم يكسرون ناموس موسى. هذا التشخيص للنجاسة قديما، في الغالب الأغلب، كان **لأسباب صحية مع رصيد كبير من الجهل**، يوم قرر الإنسان أن في الجسد الطبيعي السليم والصحيح نجاسة تصيب أو تميت أو تمنعه من العبادة أو الإختلاط بالبشر الآخرين، بسبب ما قد خلقه الله في الإنسان كجزء ضروري لصحة وكمال وظائف التكوين البيولوجي للإنسان.

كان نزيف الدم في القديم يُظن أنه ''نجاسة'' ربما لظنهم حينئذ أن هذا **النزيف يمكنه أن يكون مصدرا للأمراض.** أو كما رأت أعينهم أن نزيف الدم قد يتبعه موت النازف، سواء بالإصابة أو المرض. **وكان الموت مرتبطا بالخطية كعقوبة، ومن ثم لاشعوريا كان الدم مرتبطا بالخطية.** وتقديم الذبائح الدموية بسبب الخطية والإثم كان **يربط أيضا بين الموت والخوف من العقاب والدم.** وأعتقد أن هذا كان سبب التخوف من رؤية الدم، خاصة عند المرأة الحائض أو النافس بعد

الولادة. وحتى نزيف السوائل من الإلتهابات الجلدية كان ينظر له على أنه نجاسة غالبا لذات الأسباب الصحية.

و كانوا ينظرون إلى السائل المنوي (و بالتالي المعاشرة الزوجية الجنسية) أنه نجاسة أيضا. وقد يكون هذا بسبب الخوف من قوة الدافع الجنسي في الإنسان عموما، والذي حتى الآن لا يعرف الإنسان كيف يفهمه أو يقيّمه ويتعامل معه! أو لإرتباطه بجهاز المرأة التناسلي والذي يخافون نزيفه. أنا لا أجد في هذا الأمر عجبا لجهل القدماء مع حرصهم بحسب إدراكهم. ولكني **أتعجب شديد العجب أن هناك من المسيحيين، في عهد الرب الجديد، وفي أيامنا المتحضرة هذه، الذين مازالوا يُعلّمون بنجاسة المرأة الطامث والنافس، والمعاشرة الجنسية الزوجية،** بعد ما أمدنا به العلم من إدراك سليم لتكوين أعضاء أجسادنا ووظائفها! وهؤلاء المتعجب منهم إذا أرادوا أن يخففوا من وطأة الجهل المنطقي والروحي الإنساني قالوا "لا لا، الطمث والنفاس والمعاشرة الجنسية في الزواج ليسوا نجاسة بل هم فقط **فطر يمنع المؤمن من التقدم للتناول** من جسد الرب ودمه" ! هذا حديث ومنطق واهي، يدل على الجهل بمعنى الصوم والفطر، وتأويل الحقيقة بصورة لا تنتمي للكتاب المقدس ولا لأي منطق سوي.

إن كان الرب قد صنع الأجساد طاهرة في كل تكوينها ووظائف أعضاءها بيديه الطاهرتين، وعند تأسيس سر الإفخارستيا لم يكن التلاميذ صائمين و لم يطالبهم بصوم إستعدادي، بل كما نصلي في كل قداس: " **وبعد العشاء ....**" **مباشرة** (و ليس قبله!) ناولهم من جسده ودمه الأقدسين! فكيف ندّعي بهذه الجهالة (و التهود) التي في حقيقتها تستنجس الجسد وإفرازاته والجنس في الزواج بفتاوي، أقل ما يقال عنها أنها لا تنتمي لإنجيل المسيح ولا للمنطق ولا للعلم ولا للروحانية بأي صفة أو صلة؟! وإذا كانت الكنيسة في القرون الماضية — عندما لم تكن هناك وسائل وحفائض صحية — قد قننت عدم دخول المرأة الحائض والنافس للكنيسة، وتباعا عدم التناول (قانون البابا كيرلس الثالث المعروف بإبن لقلق —

قرن ١٣)، **فهذه الأسباب الصحية الإجتماعية قد إنتفت تماما وآن للكنيسة أن تلغي هذا القانون، الذي الآن يعد إمتهانا وإجحافا بالمرأة، ولذا تتعجب بناتنا عند منعهن من التناول بسبب ما خلقه الله ذاته طهرا في أجسادهن.** وقد قرأنا ماذا قال آباء الكنيسة من المستنيرين عن هذا الأمر في دسقولية الرسل.

خلاصة عن الهرطقات والإلحاد والإيمان:

راجعنا في هذه المقالة كيف أن الجذر الرئيسي لكل ما ظهر، ولا يزال يطفو، على سطح التعليم في كنائس الشرق من **تزمت وإحتقار للمادة والجسد وخاصة الجنس الإنساني**، وبالتالي الشعور بأن الخلاص هو أساسا الخلاص من الجنس، وبلوغ حالة "**القداسة اللاجنسية**" الخيالية، جذر هذا الفساد الرئيسي هو الفساد العقيدي **الغنوسي المانوي**، أو **التهود** بالعودة لرباطات الشريعة الموسوية (و ليس لناموس المحبة الإلهي الذي أعلنه الله بدءا من العهد القديم، من قبل موسى والأنبياء في ضمير كل إنسان). فاحتقار المادة والجسد وإستنجاس كل ما فيه من أعضاء ووظائف سنتها يدا الله الطاهرتين، هو السبب الرئيسي والجذر الجوهرى لتعاليم آريوس ونسطور وأوطاخي المشوهة لطبيعة المسيح. وهذا الإحتقار للمادة والجسد هو سبب رفض الهراطقة لإتحاد طبيعة المسيح الإلهية الكاملة مع طبيعتنا الناسوتية الكاملة التي إحتقروها، وبالتالي ضياع وإنكار معنى وعمل إفتداء البشرية. وذلك لأننا رأينا أن **الفداء والخلاص والكفارة تُمموا فقط بالإتحاد الكامل بين طبيعتي اللاهوت والناسوت الكاملتين في طبيعة شخص المسيح الواحد، فطهّر الرب طبيعتنا من فنائية المعنى والموت، إلى حياة أبدية.**

و رأينا أن **الجهل** بالكثير مما يتعلق بطبيعة الإنسان السوية في أقوال لبعض ممن تأثروا بالفكر الغنوسي المانوي، والجهل بقداسة الحاجات (الدوافع) الإنسانية التي خلقها الله وأرادها لفرح وتمتع الإنسان بإنسانيته – مثل الحاجة للطعام ولذته، والجنس ومتعته (في الزواج)، والطموح والترقي والنجاح في تحقيق الذات بالعمل

والجهاد الكريم. **هذا الجهل هو شبح لا يزال يرعب ويطرد أبناء الله بعيدا عن الإيمان، إلى أحضان الإلحاد.** لأنه من الأفضل والأصلح لهم إتباع ما يقدمه لهم العلم والحضارة الإنسانية من أن كل المتع الجسدية والنفسية المخلوقة طبيعيا في الإنسان، هي ضرورية الإختبار وضرورية التمتع بها، للصحة النفسية والجسدية السوية، أكثر بكثير من إتباع **تعاليم سلوكية مزورة** لها الصبغة الدينية النسكية، ولكنها في حقيقتها تفسيرات وتزمتات مرهقة ومدمرة، نابعة من أفكار متخلفة علميا وحضاريا وإنسانيا وروحيا، وتورث عقد ذنب مزمنة تحطم الإنسان من الداخل. (أنظر **المقالة السابعة** في هذا الكتاب للشرح المفصل)

أنا لا أتكلم عن "العقيدة" المسيحية الثابتة المطلقة والمبادىء الأخلاقية في الكتاب المقدس، حاشا. ولكني أتكلم عن التعاليم السلوكية، التي هي ليست عقائدا بل آراء وتفسيرات بشرية متغيرة، مما يتأثر بالثقافة والحضارة المتغيرة مع الزمان والمكان. فنسمع أن هناك من ينادي ويعلّم بسمو البتولية عن الزواج، محرفا تعليم بولس الرسول في ١ كورينثوس ٧، ويعلم بسمو مطلق للرهبنة على الحياة الطبيعية المقدسة للمتزوجين، وأن الأربعة والأربعون بتوليا الذين لم يتنجسوا مع النساء، في سفر الرؤيا، ليس منهم رجال ونساء متزوجين، بل هم فقط طغمة الرهبان (و لاحظ أنهم ذكور فقط!)، وأن مجرد الشعور بالرغبة الجنسية الطبيعية (الليبيدو) هو هو حرب "شيطان الزنا"، وأن القداسة جوهريا هي الحياة الفكرية والعملية "اللاجنسية". ومن هؤلاء من يحرم أنواع من الرياضة والفن، والسينما والتليفزيون والرقص، وحتى الغناء العاطفي لأنه مهلك وشرير ومثير جنسيا، وأن الموسيقي الراقية هي فقط الدينية، وأن "المسيحية تمنع شرب الخمر"، كما كتب وتكلم بعض الإكليروس في وسائل الإعلام، فقط لمجاراة أفكار إجتماعية محيطة بنا. **وللأسف لايزال هناك من ينادي بهذا التزمت التكفيري الغير إنجيلي، وأكثر منه، من معلمي مدارس الأحد وإجتماعات الشباب بسبب الميراث النسكي الغنوسي المانوي والمتهود المنحرف، كما أكد المتنيح الأنبا بيمين أسقف ملوي.**

و لكل من يهمه الأمر: إن هذا التخلف الثقافي والإنساني والتركيز على المفاهيم المتزمتة في تفهم طبيعة الإنسان، وأنشطته الطبيعية الخيرة، بدون أساس علمي وروحي سليم **يؤدي في الغالب الأغلب إلى إلحاد أبنائنا،** مفضلين الخروج إلى الحرية الإنسانية السوية، بعيدا عن كل عبودية لعقد الذنب الواهية، وللجهل المدافع عن نفسه بإسم الإيمان المستقيم، وهو الغنوسية والهرطقة بيعنها. من له أذنان للسمع فليسمع، لينقذ أبنائنا من العدو في الداخل، وليثبتهم في الإيمان بالخالق الذي وهبنا كل شيء للتمتع بحسب مسرة مشيئته الصالحة.

خاتمة ورجاء حار:

أتمنى أن يكون هذا البحث القصير من الكتاب المقدس ودسقولية الآباء الرسل، ودراسة اللاهوتي الأرثوذكسي بول إفدوكيموف عن ''سر الحب'' وتاريخه، إلى جانب شهادة المتنيح الأنبا بيمين أسقف ملوي، عن أثار الغنوسية والمانوية على التعليم الكنسي، وحديث بستان الرهبان عن الخوف الغريب من المرأة، قد قدموا لنا صورة أوضح من المناقشات الفردية، عن أسباب وتاريخ الموانع التي وضعت عبر التاريخ أمام المرأة والمتزوجين للمشاركة الكاملة في حياة الكنيسة الليتورجية. **أتمنى بدلا من محاولات الدفاع المستميت، بدون دراسة كافية، لدى البعض، دفاعا عن أن كل ما تعلمه الكنيسة عن الموانع المصطنعة والتي تنتمي للهرطقات المذكورة، أتمنى بدلا من ذلك أن يذهب هؤلاء للدراسة والصبر، وأرجو المجمع المقدس أن يعمل على تحرير المرأة والجنس الزوجي من تاريخ ظالم،** بالرغم من أن الرب قد حررنا من رباطات الناموس الموسوي بالتمام، كما قرأنا في دسقولية الرسل الأطهار.

ومن يريد الحديث عن الصوم الإجباري للإستعداد للتناول، فليقرأ أن الرب ''**بعد العشاء مباشرة**'' قدس الخبز والخمر وناول التلاميذ الفاطرين مباشرة من جسده ودمه! ومن لا يعجبه ما صنعه الرب يسوع المسيح وله إعتراض عليه أن يراجع نفسه، لأن الرب نفسه لم يسمع لآراء الذين نجسوا المرأة والعلاقة الزوجية، أو على الأقل لم يقبلوا

أن هذه الممارسات الطبيعية هي طاهرة من خلقة الله وتدبيره ولا تعوق أو تمنع المؤمنين من التناول مباشرة. فالنتبع الرب والكتاب المقدس وتعاليم الرسل أولا، وأتركوا من لا يتفق معهم. لأنه ينبغي أن يطاع الله أكثر من الناس.

المقالة الخامسة

تاريخ الأسرار الكنسية، خاصة سر الزيجة

أسرار الكنيسة، متى حسبناها وإختزلناها لسبعة أسرار؟ لم تحسب أنها سبعة إلا في القرن السادس عشر في الكنيسة الكاثوليكية، في مجمع ترنت في إيطاليا. ولم تحسب سبعة في الكنيسة القبطية إلا بعد كتابة حبيب جرجس لكتاب أسرار الكنيسة السبع في القرن العشرين نقلا عن الكاثوليك!

١- نبذه هامة عن تاريخ وتعريف معنى عبارة "الأسرار الكنسية" عبر التاريخ:

كتب أبونا متى المسكين في كتابه "**التقليد وأهميته في الإيمان المسيحى**"، **أن مفهوم الكنيسة في القرون الأولى لمعنى كلمة "أسرار الكنيسة" يختلف كثيرا عن التعريف والفهم الحالي للتعبير ذاته.** في الفصل الخامس عشر تحت "مدخل إلى التقليد السرائرى" ص ١٧٣ – ١٧٦ كتب :

[و الآن نبدأ نهيىء ذهن القارىء للدخول في التقليد السرائري، أي فيما يخص ممارسة الأسرار المقدسة بحسب التقليد المسلم منذ البدء، لكي نعد الذهن لدراسة الأسرار مركزين على سري الإفخارستيا والمعمودية. ... تُدعى هذه الأعمال الإلهية التي تجري داخل الإنسان ولا يستطيع أن يلحظها أو يكشفها بالأسرار الإلهية أو السرائر المقدسة أو أسرار الكنيسة. **والمسيحية بحد ذاتها هي كلها "سر الله أو سر المسيح"**. ... سر اللاهوت وسر التدبير الإلهي، وهما ما أعلنه الله عن نفسه وما صنعه بواسطة إبنه "ليعرفنا بسر مشيئته حسب مسرته التي قصدها في نفسه" (أف ١). وهذان يشملان سر الثالوث الأقدس وسر التجسد والفداء.

... **والأسرار الإلهية الموهوبة للكنيسة وهي التي فيها يمنح الله نعمته خاصة للمؤمنين بواسطة الكنيسة لنوال شركة معه في الحياة الأبدية. وهي تشمل الأسرار السبعة – التي حددها الكنيسة مؤخرا – مع كافة الأعمال الأخرى التي يُمنح فيها الإنسان نعمة من لدن الله** ... وحيث حضور الرب فهناك عطية وثبات ونعمة بلا أدنى شك. ''هذا السر عظيم ولكنني أقول من نحو المسيح والكنيسة'' (أف ٥ عدد ٣٢)]

و في الفصل الثالث من الكتاب ذاته كتب أبونا متى المسكين، **مقتبسا ما قاله القديس كيرلس الأورشليمي** أن المعمدين (المؤمنين) الجدد كانوا مطالبين بعدم إخبار أي إنسان غير مسيحي بكل أو أي من تعاليم الكنيسة وممارستها وعقائدها، لأن هذه هي ''أسرار الكنيسة المقدسة'' وإلا حُسب هذا المؤمن الحديث المعمودية خائنا! [إذا سألك موعوظ (أي لم يصر بعد مؤمنا) : ماذا يقول لك المعلمون (في الكنيسة)؟ فلا تخبره ولا أحد من الخارج بشيء قط. لأننا نسلمك الآن سرا الذي هو رجاء الحياة الآتية. **أحرس السر من أجل هيبة الله** ... لأن الموعوظ إذا سمعه لا يفهمه ويحسبه عثرة ويتهكم عليه، **والمؤمن إذا باح به يدان كخائن!**] ص ٥٩.

و في أجزاء أخرى في الباب ذاته يشرح أبونا متى أن مفهوم الدوجما (العقيدة) أيضا في القرون الأولى لم يكن ثوابت ومبادىء الإيمان النظري فقط، كما هو الآن، بل كان معنى الدوجما هو **كل ما تُعلمه الكنيسة من عقيدة وممارسات ليتورجية وطقسية بالتسليم الرسولي، وهذه في مجموعها وشموليتها هي ما كان حينئذ يعرف بـــ "أسرار الكنيسة المقدسة" لأنها لم تكن للبوح بها وليس بحسب مفهومنا وتعريفنا الحالي للأسرار الكنسية.**

و قد ألمح أبونا متى لأمر في غاية الأهمية بدون الدخول في التفاصيل وهو : **أن الكنيسة في القرون الأولى لم تحاول تقنين أو تحديد عدد حسابي للأسرار، لأن كل ممارساتها كانت تعتبرها أسرارا مقدسة،** ومن خلالها يعمل الروح القدس فينا ويهبنا

''محبة الله الآب ونعمة الإبن الوحيد وشركة وموهبة الروح القدس''. **أما متى تم تحديد الأسرار الكنسية، أو بعبارة أدق "تحجيم وإختزال الأسرار الكنسية إلى سبعة فقط"، على خلاف التسليم الرسولي الآبائي لمدة ١٦ قرن، فكان هذا التحديد العددي للأسرار في مجمع ترنت الشهير في إيطاليا، في القرن السادس عشر في الكنيسة الكاثوليكية فقط!** وكان هذا المجمع لتحجيم أثر الحركة البروتستانتية وتخويف المؤمنين من الإنضمام لهؤلاء المنشقين الغير حاملين للتتابع الرسولي الكهنوتي، ومن ثم ليسوا قادرين على أن يخدموا ويقدسوا الشعب بـــ ''الأسرار الكنسية'' وبذلك هم هالكون في جهنم لا محالة، هم وكل من ينضم إليهم.

ولعل أحد الدوافع لتحديد الأسرار بمفهوم وعدد محدد، لم يكن معروفا أو مستعملا قبلا في الكنيسة، هو تأكيد وتعظيم دور الإكليروس، كممارسي و"صانعي الأسرار". لأن الكهنة هم فقط خدام هذه الأسرار، بحسب فهم الكنيسة الكاثوليكية ، دون غيرها من ممارسات وأسرار الكنيسة الأخرى كالصلاة والصوم ورعاية أخوة الرب التي لا يشترط إشتراك الكاهن فيها. وكان التهديد أنه بدون هؤلاء الكهنة لن يدخل أحد ملكوت السموات. وذلك كان بسبب أن المصلحين البروتستانت في البداية لم يتخلوا عن سرّي المعمودية والشكر (الإفخارستيا) وكانت الكنيسة الكاثوليكية تتهم المصلحين بالهرطقة.

لقد كان هدف حركة المصلحين البروتستنانت أساسا هو رفض ''**تسلط الكهنة**'' وليس ''**سلطان الكهنوت**''. ولذلك داوم هؤلاء المصلحون يعلّمون نظريات الفداء والكفارة التي لأنسلم أسقف كانتربري ومن بعده (ترضية العدل الإلهي بعقوبة المسيح البديلة لعقوبة الإنسان) بدون رجوع لتعليم الكنيسة الأولى في الشرق، للإصلاح العقيدي الجوهري في تفسير عمل الفداء والخلاص والكفارة المطهرة، بدلا من تفسير الفداء على أنه ''عقوبة بدل عقوبة''. وينبغي أن ندرك أن **تسلط الكهنة** شيء، أما **سلطان الكهنوت** فهو شيء آخر. **سلطان الكهنوت ليس سلطانا يمارس من الكهنة على الشعب، ولكنه سلطان يمارس من الكنيسة**

بكليتها على الرب ذاته! هو موهبة إلهية، هو السلطان المعطى من الرب للكنيسة كلها، لكي تطلب بدالة الحب والبنوة حلوله في، وإتحاده مع، الخليقة (المادة والبشر والكون) فلا يرد الله لها طلبا. إنه سلطان المحبة (و ليس هو محبة السلطان!). سلطان المحبة الذي يضع الله به نفسه بكل إتضاع رهن إشارة وطلب أحباءه، طوعا ورحمة منه، ودالة ودلال منهم عليه. أما محبة السلطان وتسلط الكهنة، فكان يمارس في التحكم الكامل فى: أنا أقول لك **متى وكيف تفكر – ومتى وكيف تأكل – ومتى وكيف تتزوج**. فاغتصاب الحق في التحكم في الفكر والزواج وممارسة الأنشطة الحيوية الشخصية هو نوع قاسي من العبودية (ضد حقوق الإنسان البديهية في حرية شخصية). وهي عبودية لا يرضى بها الله محرر العبيد.

هذا التاريخ يمكن للقارىء التأكد منه على ''النت'' من موسوعة الويكيبيديا، وهي موسوعة الميكروسوفت المعروفة للجميع، بالبحث عن كلمة أسرار الكنيسة (ساكرامنتس) وسوف يتأكد القارىء من أن الكنائس الأرثوذكسية قد تبعت الكاثوليكية مؤخرا جدا في تحديد عدد الأسرار إلى سبعة فقط. **وأول مرة نشرت الكنيسة القبطية الأرثوذكسية أن عدد أسرار الكنيسة هم سبعة فقط كان عندما كتب الأرشيدياكون حبيب جرجس كتاب "أسرار الكنيسة السبعة" فقط منذ أقل من مائة عام !** وقد هوجم أبونا متى عندما كتب وأوضح بالتلميح حقيقة التاريخ المذكور لأنه سيفتح بابا للحوار والدراسة في هذا الأمر، والذي لم يرحب به مناهضيه، غالبا لأسباب سلطوية.

ومن الهام جدا أن نعلم أن الكنيسة القبطية الأرثوذكسية لا يمكنها صلاة القداس الإلهي (سر الشكر) بالكاهن وحده، بل تقام خدمة الليتورجية الإفخارستية بشركة ثلاث أشخاص على الأقل مع الثالوث القدوس، الله الواحد. الثلاثة البشر هم : كاهن وشماس وعلى الأقل ممثل واحد عن الشعب، ولهذا نصلي في **صلاة تحليل الخدام** : ''عبيدك **يارب خدام هذا اليوم** القمامصة والقسوس والشمامسة **وكل الشعب** وضعفي يكونوا محاللين من فم الثالوث

الأقدس ... و... و... ومن فم حقارتى''. وبهذا تؤكد الكنيسة أن قيام الأسرار هو عمل الكنيسة كلها والثالوث القدوس معا، وليس عمل الكاهن المنفرد بدون شعب. فالشعب ليس متفرجا بل خادما أساسيا وعاملا في خدمة السر مثل الكاهن تماما، لأن **أعضاء جسد المسيح كلها لها كرامة المسيح ذاته** وكرامة الرب لا تتجزأ ولا تزيد أو تنقص، في أي عضو حي في جسد المسيح : ''أنا قد أعطيتهم المجد (ذاته) الذي أعطيتنى'' (يو١٧).

و في الحقيقة **كلمة "إكليروس" هي مشتقة من "كليرونوميا" أي "ميراث ونصيب الرب" وهي تعني كل الكنيسة** [يا الله خلص شعبك بارك ميراثك ''كليرونوميا''] (كتاب التدبير الإلهي في تأسيس الكنيسة، إعداد أحد رهبان برية القديس مقاريوس). **وكانت الممارسات الكنسية التي سميت "أسرار الكنيسة" في القرون الأولى أهمها المعمودية والإفخارستيا، وكانت هي ما يمارسة المنضم حديثا للكنيسة، يوم أنضمامه.** وكان بالطبع يسبق المعمودية ''الإعتراف''، وهذا أيضا تعبير لاهوتي أصيل في الكنيسة الأولى. **ولكن لم يكن معنى "الإعتراف" هو أيضا بحسب مفهومنا الحالي** (الإعتراف لله بالخطايا في حضور الكاهن). بل كان الإعتراف أساسا إعتراف الموعوظ **بالإيمان المسيحي،** أي التقرير العلني وإعلان إيمانه الكامل بكل ما في قانون الإيمان (و كان يُسمى أيضا: الأمانة) والذي يخبرنا أبونا متى أن الأسقف كان يلقنه للموعوظ، وعليه أن يحفظه عن ظهر قلب، يوم المعمودية ذاته!!! **لأن قانون الإيمان كان أحد أسرار الكنيسة المقدسة أيضا، والذي لا يصح البوح به للموعوظ قبل يوم معموديته!**

و نحن نعرف أن لقب**"المعترفون" هو ما كان يسمى به المؤمنين اللذين أعلنوا إيمانهم، ولهذا السبب تم إضطهادهم وتعذيبهم جسديا، ولكنهم لم يستشهدوا** بسبب هذا التعذيب الجسدي. وهذا الإعتراف الإيماني هو بخلاف **"سر التوبة" والذي مؤخرا صارت تمارسه الكنيسة (لتأكيد التوبة) بالإعتراف** للرب الديان وحده بالخطايا، وإن كان يُمارس في حضور الأب الكاهن كشاهد، ومرشد

إن لزم الأمر، وليس كغافر أو صانع للسر. وأيضا كان يتبع المعمودية، في يوم الإنضمام للكنيسة، موهبة الروح القدس بوضع اليد، ثم إستبدل وضع اليد بطقس الرشم بالميرون المقدس. ولهذا **كان طقس الإنضمام للكنيسة يحوي أهم ما أسمته الكنيسة في كتابات الآباء في القرون الأولى "اسرار الكنيسة"، وهي كما نرى كانت: الإعتراف بالإيمان – ثم المعمودية وسر التثبيت (= موهبة الروح القدس) بوضع اليد أو بمسحة الميرون المقدس – ثم الإفخارستيا.**

٢- الرب يسوع المسيح وحده هو صانع الأسرار المقدسة ومؤسسها ومقدسها وواهبها للمؤمنين، بإرادة الآب وشركة الروح القدس، منذ الأزل:

كلنا متفقون أننا **لا نعيد عمل أو صنع أو تأسيس سر الإفخارستيا على مذبح الكنيسة. ولكن ما نعمله فقط هو أن نستدعي الله الثالوث القدوس "ليُعلن ويُظهر" لنا ما قد صنع وفعل وأسس منذ الأزل وقدّم لنا جميعا مرة واحدة فقط في العلّية يوم خميس العهد**، بإرادة ومحبة الله الآب ونعمة الإبن الوحيد وشركة الروح القدس. منذ الأزل كان سر التجسد وذبيحة الرب، سر الإفخارستيا، كائنا بحسب قول القديس بطرس الرسول : "إفتديتم بدم كريم معروفا **قبل تأسيس العالم** (منذ الأزل أسس هذا السر!)" (١ بط١). دور الكنيسة الخادمة **في مجموعها** للأسرار (و ليس في الكاهن الخادم فقط، كما أكد لنا تحليل الخدام السابق ذكره) هو الطلبة من الله، ليُعلن الله لنا سر تجسده وذبيحة نفسه بإرادته وحده عنا كلنا، كما فعل في يوم خميس العهد، وليس بإرادة أعداءه يوم جمعة الصلبوت: [**يا الذي قدس في ذلك الزمان الآن أيضا قدس** ... الذي قسم ... الذي أعطى، أعطنا ...]. نحن إذن نطلب أن يُعلن الله لنا سره (الإفخارستيا أو **أي سر وتدبير آخر**) الذي أسسه مرة واحدة و**هو لا يُعيد صنع السر مرة ثانية، بل فقط يُعلنه** (تشبيه مجازى: كما أن كل صفحات الإنترنت موجودة منذ أن دُونت ولكن نحن ندخل عليها وقت أن نريد فتستعلن لنا، ولكنها

لا يتكرر تدوينها، كذلك إستعلان الله للأسرار ليس إعادة صنع أو تأسيس السر بل فقط إستعلانه).

و الله وحده هو المُقدِّس والمُعلِن كما في ذلك الزمان، **ونحن نطلب لأن يحل الروح القدس، ليس فقط على الخبز والخمر بل علينا نحن البشر المؤمنين أولا.** [نسألك أيها الرب إلهنا نحن عبيدك الخطاة غير المستحقين، نسجد لك بمسرة صلاحك. وليحل **روحك القدوس علينا وعلى هذه القرابين الموضوعة ويطهرها وينقلها ويظهرها قدسا لقديسيك]. وذلك لأن الإنسان هو التقدمة الأولى لله وهو الأقدس والذي يشارك في تقديس المادة ذاتها.** أذكروا ما قاله الرب عن كون الحلف بالذبيحة أقل من الحلف بالمذبح لأن المذبح هو الذي يقدس الذبيحة وليس العكس.

٣ - معنى سر الزيجة، متى أسسه ورسمه الرب نفسه؟ وكيف يتحقق فعل "ما جمعه الله" للزوجين؟

فعل "ما جمعه الله"، أي سر الزيجة المقدس، قد أسسه الله في الفردوس لآدم وحواء وكل بنيهم وبناتهم مرة واحدة ولا تتكرر! وذلك **كتأسيس** سر الإفخارستيا منذ الأزل و**إظهاره** يوم خميس العهد، ثم الآن يُستعلن في كل زمان ومكان تطلبه فيه الكنيسة بدون أي تكرار. لأنه مكتوب: "إفتديتم بدم كريم **معروفا قبل تأسيس العالم (منذ الأزل) ولكن قد أظهر في الأزمنة الأخيرة** من أجلكم" (١ بط١). هكذا أيضا سر الزيجة : يُستعلن ويُظهر للزوجين في زماننا الحاضر مع أنه تأسس منذ البدء عندما خلقهما ذكرا وأنثى ليصيرا جسدا واحدا، بحسب التدبير الإلهي، عندما يُظهر ويتمم هذا السر لهما في الأزمنة الأخيرة.
في تدبير الله كل زوجين كانا مجموعين في آدم وحواء عندما باركهما الله وقال إثمروا وأكثروا واملأوا الأرض. أي أن **فعل "يجمعهما الله في جسد واحد" يتم بإتحاد إرادة الله بإرادة الزوجين وإرتباطهما الجسدي أساسا وجوهريا** (حتى

في الزنا يقول الكتاب : ''**من إلتصق بزانية هو جسد واحد**، لأنه يقول يكون الإثنان جسدا واحدا'' – ١كو ٦). أي أن الله هو الذي يستعلن سر الزيجة الذي أسسة منذ البدء بأنه يحل ويجمع بروحه القدوس ويوفق رجلا وإمرأة في أن يلتقيا في الزمن ويجذبهما الحب وإرادة الإتحاد الكامل بالفرح (إدخلا إلى ناموس الفرح – صلاة الإكليل) والنية الخالصة المخلصة، ويكمل لهما هذا الإتحاد بالعلاقة الجنسية الكاملة الموهوبة لنا كأبلغ لغة للتعبير عن الحب والوحدة الكاملة، والتي لا يمكن تحقيقها في أي علاقة إنسانية أخرى على نفس المستوى والعمق الإنساني المشبع، مهما كانت تلك العلاقة الأخرى جيدة ومقدسة.

و صلاة إكليل الزواج ضرورية لكل عضو في الكنيسة، ولكنها ليست جوهرية مثل إتفاق الإرادة والقدرة على الإرتباط الجنسي الكامل لتوحيد الزوجين، كما نرى بكل تأكيد في تقليد الكنيسة على مدى التاريخ. الروح القدس الذي يحل وهو فعلا وقبلا ساكن في الزوجين: يحل فيهما بالحب الذي يزرعه الروح أولا ويجذب الحبيبين معا، ثم بتوحيدهم جسديا بما وهبه لهما من قدرة على الإتحاد الجنسي بعد تحليل صلاة الإكليل. فحلول الروح القدس لايتم فقط عند صلاة الإكليل، لأنه حالٌ في الزوجين منذ المعمودية والتثبيت بالميرون المقدس، وللأبد. وهو بشخصه الذي يجمع الزوجين بالحب الإرادي الحر، والإلتصاق بين الرجل والمرأة بالجسد، لكي يصيرا جسدا واحدا بهذا الحلول وهذا الحب والإتحاد الجنسي . **صلاة إكليل الزيجة ليست هي صانعة سر الزيجة، بل هي فقط تباركه وتعلنه وتؤكده محلّلا، للزوجين وللكنيسة والعالم.** وهذا أمر هام ومقدس ولكنه ليس هو صانع الوحدة بينهما.

فلو كانت صلاة إكليل الزيجة هي التي بواسطتها يجمع الله الإثنين في جسد واحد لما إستطاعت الكنيسة السماح ببطلان الزواج نهائيا، ولا حتى في حالات العنّة (الضعف الجنسي الذكرى) والقهر الإرادي لأحد الزوجين، كما هو الحال الآن. بمعنى، لو كانت صلاة الإكليل الزيجي هي التي تصنع الفعل ''ما

جمعه الله'' لما إستطاع أحد أن يحل ويُبطل هذا الجمع. ولكن الواقع الذي تعيشه الكنيسه كل هذه القرون والمؤكد بلا أدنى شك أنه **حتى لو صلى كل إكليروس الكنيسة صلاة إكليل الزيجة لزوجين ولم يثبت إتفاق الإرادة الحرة الكاملة للزواج، لكل من الزوجين، أو لو إنعدمت قدرتهما على الإتحاد الجسدي الجنسي الكامل، يكون الزواج باطلا وكأنه لم يكن!!!** ليفهم القارىء. فعل ''ما جمعه الله'' إذن هو جوهريا عمل الله وإتحاد الزوجين، والكنيسة دورها أن تبارك وتعلن عمل الله، وتحلل ضمائر الزوجين والكنيسة كلها لهذا الإتحاد الجسدي المقبل، وتصلي من أجل دوامه نقيا قويا.

٤ - تاريخ الزواج في الكنيسة في القرون الأولى:

كتب الأب جون مايندورف بحثه وقد تمت ترجمته ونشره بالعربية بعنوان "**الزواج من منظور أرثوذكسي**". والأب مايندورف يشرح لنا ما كتبه آخرون أمثال جون إريكسون الأرثوذكسي في بحثه "**تحديات ماضينا (الكنسي)**" والمنشور بواسطة ناشر المرجع الأول أيضا، وهو أكبر ناشر ومعهد لاهوتي في العالم الأرثوذكسي : منشورات القديس فلاديمير، بنيويورك. وخلاصة المذكور في هذه الأبحاث الأرثوذكسية وغيرها مما هو متوفر للقراءة على الإنترنت أيضا، والذي ذكره أيضا الكثيرون في السنوات الماضية في وسائل الإعلام، هو أن **الزواج المسيحي في الإمبراطورية الرومانية في القرون الأولى وحتى القرن الثامن كان عقدا مدنيا كما كان الحال لكل رعايا الإمبراطورية والكنيسة لم ترفض هذا.** وبعد توثيق عقدهما المدني يذهب الزوجان ليأخذا بركة الصلاة الكنسية، والتي أصبحت عرفا جاريا في القرن العاشر بأمر الإمبراطور ليو السادس. ومن يومها أخذت الكنيسة مسؤلية الزواج بصورة أكبر مما سبق. **وكانت أسباب التطليق في الإمبراطورية الرومانية (كما يذكرها إريكسون) تقريبا هي هي ما أخذت به الكنيسة القبطية الأرثوذكسية في القوانين المنسوبة لإبن العسال منذ القرون الوسطي. وهذه الأسباب هي المعمول بها في لائحة عام ١٩٣٨ الشهيرة.** هذا تاريخ حقيقي يمكن للكل التأكد منه.

ومما تقدم نستطيع الآن أن نتفهم لماذا ذُكر في كتابات الكنيسة في القرون **الأولى تعبير "سر الزيجة" وأن إستعمال الكنيسة الأولى لهذا الإصطلاح لم يكن بذات التعريف والفهم الذي نستعمله الآن.** وهذا أمر هام جدا خاصة مع الحوار الدائر اليوم حول الطلاق والزواج الثاني للمطلقين، سواء كانوا خطاة أو أبرياء. وذلك لأنهم أبناء المسيح، وبالتالي أبنائنا كلنا معا، ولا يمكن ألا نغفر لهم ونتركهم بدون فرصة زواج مرة ثانية لأن هذا يدفعهم نحو أحد إحتمالين : الزنا أو ترك المسيح. **أما إحتمال التبتل القهري إن أرادوا البقاء في الكنيسة بعد الطلاق، فهذا إذلال يتحدث عنه غير المتزوجين،** بل وبعضهم احيانا على وجهه إبتسامة عريضة على شاشة التليفزيون. هذا ظلم وإنعدام دراية وخبرة بطبيعة الإنسان كما خلقها الله، ولا يمكن تصوره في أحشاء رحمة الله الطويل الروح، الكثير الرحمة، الجزيل التحنن، الذي يحب الصديقين ويرحم الخطاة، الذين هم كلنا معا. فإن كان التبتل الإختياري هو فقط للذين "**أعطي لهم**"، كما قال الرب، فالمطلقين الذين أخطأوا قطعا ليسوا ممن "أعطي لهم"!!

و لا يمكننا أن ندفن رؤوسنا في الرمال ونترك أبنائنا في المستقبل للدمار حتى بعد التوبة، لأننا قررنا أن نعيد تفسير أقوال الرب بصورة متشددة لم تعهدها الكنيسة الأرثوذكسية لعشرين قرن. **آباء الكنيسة قبلوا أن يطلّقوا أو يحلّوا أو يُبطلوا الزواج لأسباب الزنا، أو الأحوال والأسباب التي يتضح للكنيسة أنها في الغالب الأغلب سوف تقود إلى الزنا، إن تركت بدون طلاق وزواج ثاني، على إعتبار أنها تدخل وتقبل تحت بند "علة للزنا".** وهنا الرجل لا يطلق إمرأته بالإرادة المنفردة، وهذا ما كان اليهود يسألون الرب عنه و لم يقبله إلا لعلة الزنا. ولكن التطليق أو حل الزواج أو إبطاله (و هي كلها في الحقيقة مرادفات مهما حاولنا تجميلها أو تغير تعريفاتها) هي في حقيقة **الأمر إستعمال الكنيسة لسلطان الحل والربط والتدبير بحسب إحتياج كل حالة وبحسب الحكمة التي إستعملتها الكنائس الأرثوذكسية في العالم كله ولازالت، ماعدا نحن الأقباط**

الأرثوذكس مؤخرا. الدراسات التي ذكرتها تؤكد أن الكنيسة الأرثوذكسية قبلت التطليق وهو أن تحل الكنيسة الزواج الذي مات حبه وشبع موتا ولسنوات لم يمكنها إقامة هذا الميت، **وتسمح الكنيسة بتزويج أبنائها المطلقين على سبيل التدبير الإستثنائي وبعد التوبة.**

أليس من الغريب جدا أن يحكم في أمور الزواج والطلاق من هم غير متزوجين ؟! لو قرأ شخص مائة كتابا عن كرة القدم ولكنه لم يترل لأرض الملعب أبدا، فلن يسمح له أن يكون حكما ولو لماتش واحد، لإنعدام الخبرة! أعتقد أن المستقبل سوف يُملي إعتبارات جديدة في هذا الأمر، شئنا أم أبينا.

المقالة السادسة

الفن من موسيقى وطرب ورقص وسينما وتليفزيون "حلال ولاّ حرام"؟

الرغبة الجنسية (الليبيدو) وتمييز الجمال ليسا هما الزنا بالفكر

مثل الإبن الضال:

لعل أقوى وأوضح دليل على **رأي الله ذاته في الإجابة على هذا السؤال المطروح** هو ما قاله الرب يسوع المسيح نفسه في مثل الإبن الضال. والقصة تشرح رجوع الإبن الضال لأبيه، وعندئذ تحرك قلب ولسان هذا الأب بالفرح وأمر خدامه بإعداد كل عناصر الإحتفال والفرح المادية، والتي تعبر عن الفرح الداخلي للإنسان:

" وإذ لم يزل بعيدا رآه أبوه فتحنن وركض ووقع على عنقه وقبله .... فقال الأب لعبيده أخرجوا **الحلة الأولى وألبسوه، واجعلوا خاتما في يده وحذاء في رجليه. وقدموا العجل المسمن وإذبحوه لنأكل ونفرح**، لأن إبني هذا كان ميتا فعاش وكان ضالا فوجد. **فابتدأوا يفرحون.** وكان إبنه الأكبر في الحقل. فلما جاء وقرب من البيت **سمع صوت آلات طرب ورقصا.** ... فغضب ولم يرد أن يدخل." (لوقا ١٥ عدد ٢٠-٢٨).

و عندما يَقبل الرب نفسه، وبحديثه المباشر جدا، أن تكون عناصر الإحتفال هى: **الزي الفاخر وخاتم الكرامة وأفضل الممكن من الطعام، والموسيقى والغناء والرقص**، فلا أظن أن أحد يستطيع أن يحرِّم هذه العناصر للتعبير عن الفرح، والتي معها قال الرب ''فابتدأوا يفرحون'' بهذه كلها – طقوس الفرح. لو كان الرب ليس هو الذي زرع في الإنسان الرغبة في الفرح بالأكل والزي وبالغناء والموسيقى والرقص، فمن إذن هو الذي زرع هذه الرغبة في الإنسان؟ إما الله أو الشيطان!!! ولو لم يكن الرب نفسه سعيدا وموافقا موافقة تامة على عناصر الفرح هذه أو أي واحدة منها، لما سردها كلها هكذا كما فعل في هذا المثل. فالمثل حقيقة ليس قصة تاريخية، ولكنه يشرح ما قد أعده الله ذاته للذين يحبونه، من عناصر جيدة ومفرحة تطرب لها النفس البشرية عند الفرح.

في رأيي أن هذه الإجابة تزيد وتكفي جدا للرد على السؤال المطروح، وبكل قوة في وجه كل من يرفض أو يُجرم أو يمنع هذه العناصر الإحتفالية تحت أي مسمى ولأي سبب. لأن **أي سبب للمنع بعد ما قصّه الرب بفمه نفسه، هو ضد لفكر وإرادة الرب الخالق ذاته.** وبذلك يكون أي فكر مضاد لأي من هذه العناصر هو فكر غير مسيحي، نسبة إلى المسيح ذاته خالق ومدبر ومحلل هذه العناصر الطقسية المعبرة عن الفرح بكامل إرادته الصالحة، ومشيئته الطاهرة، بل مصدر الطهر كله.

ولكن دعونا ننظر أيضا ماذا كتب في العهد القديم عن الغناء والموسيقى والرقص، للرد على المتزمتين المتشددين ضد هذه كلها:

+ ففي سفر القضاة ٢١ عدد ٢١-٢٣ كان عيد الرب في شيلوه: ''و انظروا، فإذا خرجت بنات شيلوه **ليدرن في الرقص** فاخرجوا أنتم من الكروم واخطفوا لأنفسكم كل واحد امرأته من بنات شيلوه، واذهبوا إلى أرض بنيامين .... ففعل هكذا بنو بنيامين **واتخذوا نساء حسب عددهم من الراقصات** ... ورجعوا إلى مُلكِهم وبنوا المدن وسكنوا بها''.

+ وفي خروج ١٥ عدد ٢٠-٢١: ''فأخذت مريم النبية أخت هرون الدف بيدها. **وخرجت جميع النساء وراءها بدفوف ورقص.** فأجابتهم مريم **رنموا** للرب فإنه قد تعظم. الفرس وراكبه طرحهما في البحر.''
+ وفي قضاة ١١ عدد ٣٤: ''ثم أتى يفتاح إلى المصفاة إلى بيته **وإذا بابنته خارجة للقائه بدفوف ورقص.**''
+ وفي صموئيل الأول ١٨ عدد ٦-٧ : ''و كان عند مجيئهم حين رجع داود من قتل الفلسطيني أن **النساء خرجت من جميع مدن إسرائيل بالغناء والرقص** للقاء شاول الملك **بدفوف وبفرح وبمثلثات.** فأجابت النساء اللاعبات وقلن ضرب شاول ألوفه وداود ربواته.''
+ وفي صموئيل الثاني ٦ عدد ١٤-٢٢: ''**و كان داود يرقص بكل قوته أمام الرب.** وكان داوود متنطقا بأفود من كتان. فأصعد داود وجميع بيت إسرائيل تابوت الرب بالهتاف وبصوت البوق. ولما دخل تابوت الرب مدينة داود أشرفت ميكال بنت شاول من الكوة ورأت الملك داود يطفر ويرقص أمام الرب .... فخرجت ميكال لاستقبال داود وقالت: ما كان أكرم ملك إسرائيل اليوم حيث تكشّف اليوم في أعين إماء عبيده كما يتكشف أحد السفهاء. فقال داود لميكال **إنما الرب الذي اختارني ... فلعبت أمام الرب.** وإني أتصاغر دون ذلك وأكون وضيعا في عيني نفسي، وأما عند الإماء التي ذكرتِ فأتمجد.''
+ وفي مزمور ٣٠ عدد ١١: ''حولت نوحي إلى **رقص** لى''.
+ وفي المزمور ١٤٩عدد ٣: ''ليسبحوا إسمه **برقص. بدف وعود** ليرنموا له.''
+ وفي المزمور ١٥٠ عدد ٤: ''**سبحوه بدف ورقص.**'' وبكل الآلات الموسيقية.
+ وفي المزمور٤٧ عدد ١: ''ياجميع الأمم **صفقوا بالأيادي. إهتفوا لله بصوت الإبتهاج.**''
+ وفي إرميا ٣١ عدد ٣-٤: ''محبة أبدية أحببتك من أجل هذا أدمت لك الرحمة. سأبنيك بعد فتُبنَيْن يا عذراء إسرائيل. تتزينين بعد **بدفوفك وتخرجين في رقص اللاعبين.**''
+ وفي أخبار الأيام الأول ٢٣ عدد ٤-٥: ''مِن هؤلاء للمناظرة على عمل بيت

الرب أربعة وعشرون ألفا .... **وأربعة آلاف مسبحون بالآلات** التي عملت للتسبيح.'' هكذا كانوا يسبحون أيام داود وسليمان.

ها نحن نرى أن الغناء والرقص مع الفرح والموسيقى كانوا، وللأبد يكونون، سمات فرح الشعوب كلها. الله هو الذي جعل الإنسان يهتز طربا ورقصا مع النغم الجميل والدفوف والإيقاع. ومن لا يعجبه هذا التدبير الإلهي عليه بالحوار والشكوى لخالق الفن والغناء والرقص والموسيقى.

أما السينما والتليفزيون فهم وسائل التعليم والترفيه والفرح في يومنا هذا. ولا أتوقع أن هناك من عاقل يرفض إستعمال هذه الوسائل الإعلامية لأسباب روحية تقوية، ويدعى أن هذا ''شرع الله أو أمر الله''، أو هكذا يرضى الله !!!

أنا أعلم ما الذي يؤرق البعض من كل هذه الفنون وبعض أنواع الرياضات، كالسباحة والباليه بأنواعه أيضا. السبب وبكل صراحة هو الخوف من **الإستثارة الجنسية.** هذه حجتهم مثلما هي حجة من يسكنون بلادا قررت أن تُخفي وتغلف المرأة، لأنها بكليتها تشكل عورة من شعرها لصوتها لإخمص قدميها. وأنها، **بالخلقة الأنثوية التي خلقها الله بها،** هي سبب كل غواية وشر وابتلاع باب جهنم للرجال. كما لو كان الله قد أخطأ التصميم في خلقة الأنوثة بجمالها وجاذبيتها. لذلك قررت هذه البلاد المتحفظة جدا، حفظ المرأة، سواء جميلة أم غير ذلك، وتجميدها في ثلاجة أو قل في خيمة سوداء أو زرقاء لدواعي العفة وتجنب الإغواء، ولمصلحة خلاص نفوس الرجال أولا وآخرا. إلا أننا نعلم تمام العلم أن هذا التخفي والإحتشام الزائف هو وهم في وهم، ولا يؤدي إلى العفة. وذلك لأن **في هذه البلاد المدّعية العفة توجد أعلى الأرقام القياسية للكبت والإنحراف الجنسي بأنواعه، وبالتالي التحرش والإعتداء الجنسي على المرأة، بصورة تفوق كل بلاد العالم المدعوة إباحية** في الزي والسلوك، بحسب فهم هذه البلاد التي تدّعي العفة والتقوى بلباس الخيام المتحركة وفصل الجنسين.

كيف نفرق بين الرغبة الجنسية والإثارة الجنسية والزنا:

إن كان الله هو خالق الجنس، وليس الشيطان، فالله إذن هو الذي يرغب في، ويريد، وجود الرغبة الجنسية (الليبيدو) في كل إنسان سَوِى صحيح التكوين النفسي والجسمي، والتي يكتشفها ويتعرف عليها ويشعر بها الإنسان فقط عندما يستثار جنسيا منذ البلوغ الجنسي ولبقية العمر. بعض الدراسات النفس- جنسية تدّعي أن الرجل، إذا كان خالي البال، مسترخي الفكر، ومستريح البدن، يفكر في الجنس مرة كل دقيقة في المتوسط، والمرأة مرة كل عدة دقائق. وليست العفة هي التنكر لتكوين الإنسان ورغباته.

و إنما العفة هي توجيه الرغبات الإنسانية والدوافع نحو تحقيق أهدافها بحسب مشيئة الله التي يعلنها لنا في الضمير المستنير، وضبطها ومنعها من الإنحراف.

العفة لغير المتزوج:

هي الإمتناع عن تكوين علاقات جنسية مع أحد. وأما ممارسة العادة السرية منذ البلوغ ولنهاية العمر، فهي طبيعية ويمارسها ٩٢-٩٨ ٪ من الرجال، و٥٠-٧٠٪ من النساء، بحسب البحث المدروس. العادة السرية هي تفريغ وتنفيس عن شحنة جنسية للإنسان بمفرده. وهي حق إنساني في هذه الفترة إن إحتاجها الإنسان، **ولا يجب تجريمها أو وصفها بأنها دنس أو إنحراف جنسي أو خطية. ولا أذكر أي تجريم صريح لها في الكتاب المقدس بعهديه،** بالرغم من تجريم إنحرافات نادرة جدا مثل مضاجعة الحيوانات (بيستياليزم) أو الترانسفيستيزم (إرتداء ملابس الجنس الآخر للشعور بمتعة جنسية). **وليس للعادة السرية أي مضار صحية جسدية أو نفسية، كما يؤكد لنا الطب الجسدي والنفسي.** الضرر الوحيد الذي أثبتته الدراسات النفسية هو "**عقدة الذنب**" التي يعاني منها فقط الشخص الذي قد تربى على أن العادة السرية خاطئة.

العفة بالنسبة للمتزوج:

هي العطاء الجنسي الجسدي والنفسي الكامل بلا أي شرط أو قيد أو حدود لشريك الحياة. ولا يجب أن يضع إنسان أو أي سلطة بشرية، أيا كانت، أية قيود أو حدود لهذه العلاقة من جهة النوعية أو الكمية، إلا الزوجين فقط، إن هما أرادا ذلك بإتفاق ورضى كامل من الإثنين، بدون تدخل أي بشر كان، كما نفهم من تعليم بولس الرسول في ١ كورينثوس ٧ عدد٣-٦.

ولكن يتسائل البعض أليست إذن أسلم الطرق للعفة هي البعد الكامل عن الجنس الآخر؟ الإجابة الصادقة: لا، هذا ليس حلا إلا عند المكبوتين الغير راغبين في تحمل مسؤلية النضوج الإنساني، والتحكم الإرادي في توجهاتهم وسلوكهم. إنهم مثل من قرر عدم تعلم قيادة السيارات أو السفر بالطائرات ليتجنب حوادثهم. تعلمنا منذ الصغر في الكنيسة أننا **لا نستطيع أن نمنع الطيور الجارحة من التحليق فوق رؤوسنا (التجربة)، ولكننا نملك القدرة على منعهم من بناء العشوش على رؤوسنا (السقوط بالتسليم للتجربة).** فكلنا سوف نُجرب بكل تجربة، ولكن التجربة شيء والموافقة على التجاوب معها شيء آخر بالكلية. فالرب نفسه قد إختبر التجربة. لذلك علينا أن نميز بين ما أقسمه إلى **أربعة مراحل العلاقة مع الجنس الآخر من مشاعر وإنفعالات** منها ثلاثة مراحل طبيعية وليس فيها خطأ، ولكن علىّ مقاومة ورفض الإختيار الخاطيء في المرحلة الرابعة:

- **أولا: الليبيدو، أي الرغبة الجنسية:**

هذه هي الرغبة الطبيعية التي أنعم علينا الله بها، لكي نشتهي شهية الإتحاد الخيّر بإنسان من الجنس الآخر في الزواج للحب. وبدون الليبيدو لما فكرنا في الزواج. فهناك حوالي ١ ٪ من حوالي ١٩,٠٠٠ من البريطانيين الذين تمت دراستهم عام ١٩٩٤ قالوا أنهم لا و لم ينجذبوا أبدا إلى أحد من الجنس الآخر أو من جنسهم، بصورة جنسية، طيلة حياتهم. وهؤلاء يسمونهم "**اللاجنسيين**". ويعلق بعض الناقدين على هذه الدراسة، أن هذا رقم أقل من المحتمل الصحيح، لأن ٣٠٪

ممن عُرض عليهم المشاركة في العينة المدروسة لم يشاركوا، وغالبا كان من هؤلاء عدد غير قليل من الـــــ ''لاجنسيين'' (أنظر موقع الويكيبيديا عن اللاجنسيين).

هناك أيضا من لهم ليبيدو هادىء بدرجات متفاوتة، ويمكنهم بسهولة التحكم في رغبتهم. ولذا عدم الزواج بالنسبة لهم لا يشكل أية مشكلة. فالله قد أعطى البشر رغبة جنسية يمكن التعبير عنها برسم بياني على شكل **الجرس المقلوب**. هناك القلة على أطراف الجرس (النقيضين): قلة (مثلا ٢-٥ ٪) خُلقوا من بطون أمهاهم برغبة جنسية عالية وشديدة، وقلة (مثلا ٢-٥ ٪) خلقوا من بطون أمهاهم برغبة جنسية هادئة أو غير موجودة. والبقية من البشر على الخط الصاعد والنازل على جسم الجرس في الرسم المتخيل، أي لهم رغبات متوسطة الشدة، وموزعة كألوان الطيف على جسم الجرس المقلوب، تتراوح بين الرغبة العالية والرغبة الهادئة. فهي تختلف في شدها أو هدوءها، كما أعطاهم الله وقسّم لكل إنسان. ألعل هؤلاء الهادئين هم من قال عنهم الرب أهم ''**الذين أُعطي لهم**'' **القدرة على البتولية**؟

• **ثانيا: القدرة على تمييز الجمال والإنجذاب له:**

و هذا يحدث طبيعيا أيضا عند رؤية إنسان جميل جذاب من الجنس الآخر. وهذا أيضا **شعور طبيعي** لا يمكننا إلغاءه أو التنكر له، لأنه من خلقة الله وليس من الشيطان. **وهذا الشعور ليس هو "من نظر إلى إمرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه"**. بل هو التمييز الطبيعي بين الجميل والأقل جمالا والقبيح، التمييز بين الذهب والفضة والتراب، التمييز بين الرجل الجميل والمرأة الجميلة والحصان الجميل ... إن فقدنا هذا الميزان أو هذا المقياس المميز لدرجات الجمال، كرد الفعل عند النظر إلى ما هو جميل وجذاب في كل ما خلقه الله، نصبح مرضى نفسيين نعاني من بلادة الحس والشعور، ونحتاج للعلاج.

• **ثالثا: مرحلة "التجربة":**

الشعور باشتهاء هذا الإنسان جنسيا. وهنا يوجد إحتمالين: إما أنك **حر غير مرتبط** بإنسان من الجنس الآخر (بالزواج، او بالوعد الصريح به)، أو أنك **مرتبط** (بالزواج، أو الوعد الصريح به) مع شخص آخر. **إلى هنا يجب تقييم بلوغ هذه المرحلة على أنها مشاعر وإنفعالات طبيعية أيضا، ولكن هنا تبدأ التجربة** (الطيور الجارحة تحلق في الهواء فقط). والتجربة شيء والسقوط شيء آخر.

• **رابعا: مرحلة إتخاذ القرار:**

+ **إن كنتُ مرتبطا**، عليّ الآن أن أرفض الإستسلام لهذه التجربة، واعظا نفسي، أو أسقط في حالة "**نظر إليها ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه**" ... هنا فقط أكون قد سمحت للطيور الجارحة أن تعشش على رأسي وفي قلبي. فإن إستسلمت للتجربة، و**أرتضيت بها، أبدأ السعي الجاد في قلبي نحو تحقيق واقعي لعلاقة خاطئة – الزنا.**

وهنا فقط أكون قد "نظرت إليها بهدف وإصرار مبيت أن أشتهيها"، وأكون قد زنيت بالفكر في قلبي. بمعنى آخر **ليست المرحلة الثالثة هي النظر مع سبق الإصرار وعقد العزيمة على الزنا، لكنها مرحلة "التجربة" فقط**، والتي لازلت قادرا أن أرفضها أو أقبلها وأسعى لتحقيقها. هنا، إن قبلت و لم أرفض التجربة يكون الزنا في القلب والفكر قد تم ، **وليس في المراحل الثلاثة السابقة.**

+ أما **إن كنتَ غير مرتبط**، فالأمر يختلف كثيرا جدا. إن كنت غير مرتبط عليك أن تسأل نفسك: هل يمكن أن يتقدم وينمو هذا الإعجاب والإنجذاب والشهية الجنسية إلى إرتباط زوجي؟ **هل أنا وهذا الشخص من الجنس الآخر متناسبين، ويمكن أن نتقارب فعلا ونتزوج؟** إن كانت الإجابة بنعم، فالغرض طاهر وشريف، والشهية الجنسية لهذا (هذه) الشخص جيده

وبحسب مشيئة الله. وهنا ينبغي التقدم بإيضاح موقفك، والتفكير الجدي في الخطوات العملية لدراسة إحتمال نجاح مشروع الزواج، إن كان الآخر لديه شعور مماثل. في مجتمعاتنا الرجل هو المبادر بطلب اليد للزواج، فهل سنرى يوما المرأة هي الأخرى يمكن أن تكون صاحبة المبادرة؟ أتمنى ذلك، وأشجعه.

و أما إذا كنت غير مرتبط ولكن العقل يقول لك أن هذا الشعور بالشهية الجنسية تجاه هذا الإنسان، من الجنس الآخر، ليست له فرصة إكتمال جدي وحقيقي بالزواج، أيا كانت الأسباب، فعليك أن تعظ (تعظى) نفسك أن هذه الشهية ليست في موضعها **ولكنها ليست زنا، أي خيانة لأحد.** ومن هذه اللحظة تُنحي هذا الفكر جانبا.

خـلاصـة:

فالزنا إذن ليس هو الشعور بالليبيدو، والذي هو الرغبة الطبيعية للإتحاد الجنسي، ويعرفها كل إنسان حتى من يحيا في قلاية في الصحراء. **وليس الزنا بالفكر هو الشعور بإدراك وتمييز الجمال في الآخر.** ولا حتى يكون الزنا قد حدث إذا راودتني تجربة إشتهاء من ليس لي وأنا مرتبط بآخر. إلى هنا لا يكون المجرَّب قد قبل أو إستسلم للتجربة. **إنما الزنا بالفكر يحدث عند لحظة قبول ورضاء المجرَّب بأن يسعى جديا لتحقيق رغبة الإتحاد الجنسي بمن ليس (ليست) له، أو بمن يعرف جيدا أنه لا يوجد إحتمال حدوث الزواج بهذا الإنسان، في حالة أن يكون المجرَّب غير مرتبط بآخر.**

إن لم نعي هذا الواقع تمام الوعي سوف نحيا محملين بعقدة ذنب قاتلة ظانين أننا نزني كل مرة نختبر أي من المراحل الثلاثة الطبيعية المذكورة.

ليس إذن كل إنجذاب نحو الجنس الآخر خطية، أو حرب "شيطان الزنا" كما في بعض الأدبيات:

ماذا تقول أيها القارىء إن قال لك أبنائك وبناتك أنهم **سيلبسون المايّوه ويذهبون للسباحة**، أو لتعلم الباليه المائي أو الغطس؟ هل ستمنعهم؟ كما يطالب نائب مجلس الشورى المتطرف، لمنع "فنون العرى" كما قال؟ أم هل توافقهم حتى سن البلوغ وبعدها تمنع البنات وتسمح للأولاد بالمايوه؟! وإذا سمعت عن صديقا لك قد منع بناته من لبس المايوه للسباحة، هل توافقه؟ هل يمنع الكهنة بناتهم وزوجاتهم من السباحة لأنها لا تليق بأسرة الكاهن؟ أسمع أن هناك من يفعل هذا، ولا أتفق معه.

ما أريد أن أوضحه هنا هو أن أضعك أيها القارىء المسيحي أمام عقلك ومخاوفك والأعراف الإجتماعية التي تقيد البعض منا، ولكن بعضنا يتحايل عليها بالسفر بعيدا عن أعين المعارف في المصايف. أهذه هي العفة الروحية حقا، أم التحايلات والخوف و**العفة الإجتماعية المزورة المنافقة، والرياء خوفا من الناس؟** سواء لبسنا المايوهات أو عشنا في كهف في الصحراء، الأربعة مراحل التي ذكرتها سوف تحدث لنا (و أقول لنا جميعنا بدون إستثناء)، ولو بدرجات متفاوته بحسب شدة الليبيدو الشخصي، لأسباب هرمونية ونفسية وعصبية، قدرتنا على التحكم فيها تتفاوت. ونحن نعلم بالتجربة أنه **حتى لو كانت الأيام الأولى على شاطىء البحر سبب تجربة للبعض، فهذا الأمر يهدأ سريعا، وإلا لكان كل مسيحي تقي لا يذهب هو وأسرته إلى شاطىء البحر أبدا!**

أجريت تجربة هنا في الغرب، على بعض الشباب المراهق الذين دعوهم معا لمعسكر. وطُلب منهم مشاهدة أفلام جنسية يوميا لمدة أسبوعين إن أرادوا، أو مشاهدة أي الأفلام أو البرامج التي يحبونها. فوجد القائمون على التجربة أن الأكثرية قد تركوا مشاهدة الأفلام الجنسية بعد عدة أيام، مفضلين مشاهدة أفلام الآكشن أو المباريات الرياضية. والإستنتاج: إنه حتى وإن كان كل ممنوع

مرغوب في البداية، **لكن ليس كل ممنوع له دوام الإنجذاب بسبب الإعتياد الحادث**، خاصة إن كان هناك ما هو أكثر جاذبية وأفضلية لمزاج الإنسان. لذلك فالمجاهدون الروحيون بجلد أكبر، غالبا ما ينجحون في مرات وحروب أكثر من غيرهم. هم يستطيعون أن يقاوموا السقوط في التجربة (المرحلة الرابعة) المذكورة أعلاه، بسهولة أكثر من غيرهم، لأنهم قد صارت لهم الحواس مدربة. ولكن لنتذكر أيضا أن الصدّيق يسقط سبع مرات (في النهار الواحد؟) ويقوم.

و لهذا اقول أننا يجب أن نتغلب على الكثير من مخاوفنا، مع **إختيار كل إنسان ما يناسبه ويمكنه التكييف معه حفاظا على عفته**. وليكن كل إختيار وقرار وجهاد بتعقل وفهم لطبيعة الإنسان. وأيضا أريد أن أقول أن جيل أبنائنا الذين ولدوا وتربوا في الغرب لا يتثيرهم كل ما نظنه نحن جيل الآباء أنه مثير. ولكثرة مشاهدة ما يتعرضون له من مثيرات جنسية، في المدرسة والجامعة والشارع والسينما والتليفزيون، **وبسبب الإعتياد** الذي شرحته، يمكنهم التحكم في مشاعرهم وضبطها بدرجة أفضل منا، وليس لهذه المثيرات ذات الأثر عليهم كما كان علينا ونحن في أعمارهم.

متابعة الفنون والرياضة، حتى المثير منها أحيانا، لا تزال له فوائد تعليمية هامة وضرورية لكل جيل:

الكتاب المقدس يحدثنا عن خطايا قديسيه وعن كذبهم وزناهم وسرقتهم لبكورية الأخ، والكذب لتفادي الموت قتلا، وقتل أوريا الحثي ليأخذ داود زوجة أوريا، ثم نقرأ أن الله يشهد عن داود أن قلبه كان حسب قلب الله! ولكننا لازلنا نقول أن هذه الخبرات لم يستح مدونوها منها، لأنها تؤدبنا وتعلمنا كيف نحيا وكيف نتفادى مواضع سقوط من سقط، وتوبخ فينا أخطاء لم ندركها قبلا. هكذا أيضا **أشعار الأغاني العاطفية**، التي تحدثنا عن كيف يُخلِص الحبيب حبا، وكيف يعبر بالشعر والنغم عن مشاعره، وكيف يعاني من يهجره حبيبه.

بل وكيف يعبر الإنسان عن مشاعره عندما يحب أو يتألم، وكيف يتعلم آداب الحديث والإيثار والتضحية .... أنا أعتقد أن **الممثلين السينمائيين** في بلادنا، ممن علمونا المحبة الأبوية والأمومة أمثال حسين رياض وفردوس محمد ويوسف وهبي، وحتى من مثلوا الشر كمحمود المليجي وفريد شوقي، ومن أضحكونا مثل نجيب الريحاني ومدبولي وإسماعيل ياسين وماري منيب وغيرهم، جميعهم قد علمونا الكثير مما نعرفه عن الحياة وكيف نحياها. **كانوا ولازالوا، في رأيي، وسائل إيضاح لإنجيل ربنا يسوع المسيح، إن كنتم تقبلون.**

أذكر **قصة عن الأنبا بيمين** (و كان عندئذ كمال حبيب) وكان يتمشى في شبرا بجوار جورج حبيب بباوي في الستينيات من القرن الماضي. وكان سارحا غير منصت لحديث جورج معه. فسأله جورج، ماذا به حتى لا ينصت لصديقه السائر معه؟ فكان رد كمال حبيب: مش سامع ليلى مراد بتغنى؟ فتعجب جورج من تركيز الخادم كمال حبيب مع ليلى مراد! ورد عليه كمال حبيب: **هي دي وأمثالها اللي بيرقّوا مشاعر الناس.** هذه القصة، والتالية أيضا، سردهما لي جورج حبيب بباوي بشخصه.

و هذه **قصة أخرى حدثت بين جورج حبيب وأبونا مينا المتوحد** (البابا كيرلس السادس مؤخرا) في الخمسينيات من القرن الماضي. كان جورج ساكنا مع أبونا مينا المتوحد مدة تقرب من ٣ سنوات وهو شاب مراهق. ويوما تحصّل جورج على راديو ترانزيستور صغير. وكان دائم الإستماع للراديو وهو ملاصق لأذنه. فناداه أبونا مينا: إيه اللي واخدك منى ده؟ بتسمع إيه؟ فقال جورج: باسمع أم كلثوم. قال أبونا: إديني أسمع أشوف بتقول إيه اللي واخدك مني. وإستمع أبونا لعدة دقائق وإبتسم ورد له الراديو قائلا: **ده كلام جميل جدا. دا أنا لو أقدر أقول الكلام ده من قلبي للمسيح أبقى دخلت ملكوت السموات. بس ياترى هي فعلا بتحب حبيبها كده؟**

و هذه الخبرات الرائعة تجسد لنا كيف أن كل شيء طاهر للطاهرين فعلا وليس شيئا نجسا في حد ذاته أبدا، غير إنعدام المحبة لله والقريب. ألم يكن الرب يشير على الكتبة والفريسين أن يتعلموا كيف أن **الزناة والزواني سيسبقونهم إلى الملكوت؟** فهو لم يعلمهم من الكتاب المقدس وحده بل أيضا من خبرة الخطاة التائبين.

وهناك قصة أخرى في التراث الكنسي أحبها جدا. وهي **قصة القديسة بيلاجية، والأسقف نونوس.** وتقول سيرتها أنها كانت أولى ممثلات وراقصات إنطاكية في أيامها. وعندما دخلت المدينة راكبة في رشاقة على جواد كانت مغطاة، ليس بملابس محتشمة بل أساسا بالمجوهرات والذهب واللآلىء التي كانت تغطي جسدها. أما أقدامها فكانت عارية، وكان ورائها وأمامها صف كبير من الشباب والوصيفات بملابس غالية الثمن. وإذ عبرت ملأت الهواء بشذى المسك والروائح العطرة الجميلة. وحين رآها الأساقفة من شرفة البازيليكا هكذا بغير إحتشام تأوهوا جميعا وحولوا رؤوسهم، كما عن خطية عظيمة مخزية. أما المبارك نونوس (أسقف بعلبك في القرن الخامس) فقد تعمد أن يلتفت إليها، فوقف مشاهدا من الشرفة. وبعد أن عبرت ظل ينظر نحوها وعيناه تلاحقانها. وإذ أدار وجهه رفع نظره إلى الأساقفة الجالسين حوله وقال: ''**ألم يسركم رؤية جمالها العظيم؟**'' و لم يجيبوه، فكرر السؤال وإبتدأت دموعه تنسكب على صدره. وقال: ''**الحق أنه قد سرني أنا، وقد كنت مسرورا بجمالها، أنا الذي سوف أمثل أمام كرسي الله العظيم المهوب حين تكون دينونة نفوسنا وأسقفياتنا!**'' وأردف يقول للأساقفة: ''ماذا تظنون أيها الأحباء، كم من الساعات قضتها هذه المرأة في مخدعها تستحم وتتزين بكل إهتمام، وذهنها كله مركز على خشبة المسرح، حتى لا يصير في جمال جسمها وملابسها أية شائبة أو عيب، لكي تصير متعة لكل عيون الرجال، وحتى لا تضايق هؤلاء المحبين التافهين الذين بين عشية وضحاها يختفون؟ ونحن الذين لنا في السماء أب قادر ومحب أبدي ... نحن لا نهتم ولا نحرص أن ننقي من الوسخ نفوسنا المسكينة بل نتركها باقية في نتانتها.'' (القديسة بيلاجية — منشورات مجلة مرقس بشبرا).

أما أنا فعندما أشاهد فيلما عن أم أو أب أو صديق أو حبيب ضحى بنفسه تدمع عيناي تماما كما لو كنت قرأت إصحاحا عن المحبة الباذلة في الكتاب المقدس. أرى في هذه المشاهد قول الرب حيا: ليس حب أعظم من هذا أن يضع الإنسان نفسه من أجل أحباءه.

تابعت قريبا فيلما عاطفيا عن حبيبين. إسم الفيلم ''**الحب وأدوية أخرى**'' تمثيل آن هاثاواي. وإكتشفت الحبيبة أنها مصابة بمرض الشلل الرعاش في بداياته. وكان الإثنان في حب عاطفي شديد جدا وصغار السن. فقررت الحبيبة المريضة، بالرغم من أن مرضها في بداياته وقد لا يتدهور بشدة مع الزمن، أن تُفشّل علاقة الحب هذه بكل ما عندها من قوة لتبعد حبيبها عنها رحمة به. وذلك لأنها تعلم كم سيقاسي حبيبها من أتعاب من أجل رعايتها بعد سنوات إن هما تزوجا. واستمع الحبيب لخبرة رجل آخر عن زوجته التي ماتت بذات المرض، وحاول الرجل إثناء الحبيب عن الزواج من حبيبته. ولكن الحبيب أصر وأقنع حبيبته أنها هي وحدها التي يمكن أن يسعد معها، وهو كطبيب حديث التخرج يعلم تمام العلم أتعاب المستقبل. ولكنه لم يرض عنها بديلا. حقا كان في الفيلم مشاهد عاطفية مثيرة. ولكن أعتقد أنني أنصح كل شاب وشابه في سن الزواج بمشاهدة هذا الفيلم، للتعلم كيف يعتني ولا يهرب من مسؤلية الحياة مع الحبيب المعرض للإعاقة، وأن **الحب الحقيقي لا يهجر إن كان قد وعد. وأن الحب الحقيقي يقاس بالمقدرة على الوفاء بالوعد.** فهل من يظن أن هذا الفن فن هابط لأن به بعض المشاهد المثيرة؟ أنا أختلف معه. هذا الفن بهذه الرسائل هو كرازة بالحب الإنساني القوي والملتزم والراقي جدا.

أما متابعة الرياضات خاصة العاب القوة والجمباز والسباحة والغطس والباليه المائي، فهي أعظم مشجع لنا للحفاظ على أبداننا صحيحة. وهناك أيضا فائدة أخرى هي التمتع بالفن والمهارة في كل أنواع الرياضة. هل يمكن لإنسان سوى وعاقل أن يقول لي أنه لم يدمع فرحا عندما شاهد يوما إحتفاليات إفتتاح

العاب الأولمبياد؟ مجرد رؤية أبطال ومشاهير الرياضة من كل بلاد العالم في محبة ومشاركة وسلام وفن ممتع في جميع مجالات الفن والرياضة، شيء مفرح ومعزي جدا لقلبي. **كلما نظرت لموكب الرياضيين رافعين أعلام بلادهم بكل فخار وإعتزاز وتصفيق المشاهدين لهم، أتذكر كيف سيزفنا الرب في موكب نصرته في الملكوت، وكيف سيسعد بل ويفتخر بنا، وهو يقدمنا للجعالة العليا في أحضان أبينا السماوي. الألمبياد بالنسبة لي وتسلم الميداليات هي كعربون فرح الملكوت وأكاليله.** أما مهارة الرياضيين والراقصين والراقصات والمطربين الذين يتقنون الغناء، والموسيقيين الذين يسعدون آذاننا، فهي كلها مصادر تمجيد لمن خلق هذه الأجساد بجمالها وقو تها ومهارتها وأصواتها، لكي نتمتع بدقة أدائها ونسعد معهم بنجاحهم، ونترجى فوزنا بالملكوت الذي لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل، مع أننا لم نجتهد مثل أي من هؤلاء ولا مثل بيلاجية عندما كانت راقصة تتزين لمعجبيها، وقطعا ليس مثلها بعد توبتها.

أعجبت جدا بزيارة أبينا البابا تاواضروس الثاني للفنان الكوميدي الجميل جورج سيدهم الذي أضحك قلوبنا فرحا، وذلك في إبريل ٢٠١٣، وقال له أنه كان يتابع فنه. وكانت هذه الزيارة لأن جورج مقعد بالشلل و لم يكن أحد يسأل عنه لسنوات. ولكن بعد زيارة البابا تذكره الكثيرون وذهبوا للسؤال عنه وتعزيته في آلامه. فكيف ننسى أن جورج وأمثاله من الفنانين قد أمتعونا ونحن لا نرد لهم الجميل، بل كل ما نقدمه لهم هو الدينونة! لأننا نظن أننا أكثر تقوى من الممثل والممثلة والمغني والمغنية والراقص والراقصة. أصلي أن نراهم في مقدمة صفوف المفديين في الملكوت، ولو حتى مع الزناة والزواني الذين سيسبقوننا إلى ملكوت السموات كما قال الرب الذي هو وحده فاحص القلوب والكلى.

المقالة السابعة

المُتعـــة (اللذَّة)
والهدف في الدوافع (الغرائز) الإنسانية

هرمون المتعة واللذة "الإندورفين" هبة الله للإنسان ("أهداف" و"متع" الدوافع الجسدية والنفسية):

إكتشفنا علميا أن إحساسنا بأي لذة أو متعة جسدية أو نفسية، يحدث لنا عن طريق إفراز المخ لما يسمى هرمون اللذة أو المتعة الطبيعي. هذا الهرمون الإلهي والمقدس جدا هو شبيه بالمورفين الموجود في الطبيعة في نبات الخشخاش، لذا أسموه بالمورفين الداخلي (الربانى!) أو "**الإندورفين**". هذا الهرمون خلقه الله لتشجيع الإنسان وحثه بقوة، لا يستطيع التنكر لها أو الهروب منها، على تحقيق هدف الله من خلق كل غريزة ودافع فسيولوجي ونفسي، لنمو الإنسان والحفاظ على صحته النفسية والجسدية كما أرادها الله ذاته. لأنه لو لم يخلق الله هذا الهرمون "**المشجع الممتع**" والذي يفرزه المخ عند تحقيق "**هدف**" كل غريزة ودافع جسدي أو نفسي (مثل الأكل والجنس والإمتلاك، والتقدير والنجاح وتحقيق الذات بالطموح)، لما أقدم الإنسان على أي من هذه: الأكل أو الجنس الزوجي أو الطموح للترقي الوظيفي والإجتماعي وكسب الرزق، أو الدراسة والبحث العلمي للإختراع للتفوق، وبالتبعية التبادل التجاري لهذه المخترعات والمنتجات بين البشر والدول، أو التفوق العلمي والرياضي والفني إلخ ... مما يحقق للإنسان التمتع بوجوده ويحقق للبشرية النجاح والتحضر والنبوغ والتنافس للغيرة في الحسني. بإختصار شديد لولا الإندورفين الإلهي والشعور بمتع هذه اللذات

والنجاحات المذكورة، **كمكافأة، أو حتى قُلْ "طُعْمٌ" في السنارة الإلهية التي يصطادنا بها الله لتحقيق وتحمل مسؤليات أهداف الدوافع الإلهية** في الإنسان، لمات الإنسان فاشلا مريضا محبطا يائسا، لخلو الحياة من أي هدف ممتع، أو متعة هادفة، يحيا من أجلها.

و قد درسنا ورأينا سابقا الفكر المنحرف النجس والمستنجس لخليقة الله، الذي به أنكر الغنوسيون والمانويون، وكل من يتبع فكرهم في عالمنا الحالي من "المتدينين المتزمتين"، أنكروا أن يكون الله هو مصمم ومنفذ ومبدع وخالق الكيمياء البيولوجية والأفعال العاكسة العصبية، والتي تعطي الإحساس باللذة الجنسية (الأورجازم) ولذة تذوق الطعام، بل وكل تمتع جسدي ونفسي، وفني ورياضي وإجتماعي ... ونسبوا كل هذه المتع واللذات الطاهرة المقدسة للشيطان مباشرة!!

هذا الجمال والتدبير الإلهي الرائع في كياننا كله يدفعه «هرمون المتعة» المقدس (الإندورفين)!!! وليس خالق المتعة بأي حال هو الشيطان كما علّم ويُعلم من يتبنون فكر الغنوسية والمانوية السلفي المتزمت والمتطرف والمنتشر بشدة في أوساط المتدينين من كل دين وملة. الله وهبنا الإندورفين وكل الأفعال العصبية العاكسة لتعطي للإنسان الشعور بالمتعة الجسدية أو النفسية، لكي يفرح ويحافظ على بقاءه في الحياة بدون ملل أو هروب أو رفض لإتمام هدف الله من كل الغرائز والدوافع التي تعرفنا عليها وتفهمنا جمالها حديثا، في المائة عام الأخيرة.

و إن سألتني: أليس السعي وراء اللذة والمتعة أمر شرير أو أقل قداسة من عدمه، كما يُعلّم بعض الوعاظ، أليس الأفضل هو الصوم عن التمتع لأن الصوم أكثر قداسة، والبعد بالنسك عن المتع يقي من الخطية؟! أجيبك: **"الإباحية" (أى: الخطية – العالم المذموم – الشهوة المذمومة) هي أن يحيا الإنسان ساعيا لاهثا وراء "متع الحياة ولذّاتها" فقط، بدون الإلتزام المجاهد لتحقيق "أهداف" هذه المتع، والتي من أجلها (أي الأهداف) وهبنا الله المتع والشعور باللذة.**

لأن الإباحي لا يريد تحمل المسؤلية وإلتزاماتها (الأهداف)، والتي من أجل

تحقيقها وهبنا الله هذه المتع واللذات الجسدية والنفسية الملازمة لتحقيق الأهداف الخيرة. **إذن تدبير الله الكامل، في الإنسان السوي نفسيا والمتكامل، هو أن نتمتع حسيا وجسديا ونفسيا مع تحقيق هدف كل دافع إنساني ليشجعنا ويكافئنا الله بهذه المتع واللذات التي دبرها يوم أبدع تصميم خلقتنا، لكي لا نهرب من مسؤلية إتمام أهداف كل هذه الدوافع، والتي هي بلا أدنى شك تمثل إرادة الله المقدسة والفنية الكاملة والرائعة الإبداع في حياتنا** سواء البيولوجية أو النفسية أو الروحية، ومن ثم الإجتماعية بل والإنسانية بمعناها الواسع والعظيم، والمؤدي بلا شك لخلاصنا وميراث الملكوت السماوي.

أمثـــلة:

- **أولا: دافع (غريزة) الأكل:**

لولا هذا الدافع ومتعته اللذيذة لما سعينا للعمل لكسب رزق لقمة العيش، ولمتنا جوعا. لأن إنعدام المتعة ولذة الطعام معناها، في هذه الحالة، أننا نتعب سعيا للرزق، كهدفٍ سام فقط، ولكن مع الأسف الشديد هدف جاف متعب ليس فيه متعة تذكر ... ولًا حتى في الأكل! وكلنا يعلم أن حتى المرض البسيط، مثل الإصابة بفيروس نزلة البرد أو الإنفلونزا، يفقدنا الشهية ويضعف حاسة التذوق على اللسان وحاسة الشم المسؤلة عن الإحساس بنكهة الطعام للإمتاع الكامل بلذة الإستطعام. ولو تخيلنا إستمرار هذا الوضع لأشهر متتالية لأصيب الإنسان بأمراض كثيرة وقد يموت بسبب سوء التغذية الناتج. فهل ترى أيها القارىء خطورة الحرمان من القدرة على الشعور بلذة طعم ونكهة الطعام؟ وهكذا مع كل الغرائز (الدوافع) الأخرى.

من السهل على كل واعظ يدّعي التقوى والنسك (كما سمعت كثيرا خاصة في مواسم الأصوام) أن يمجد ويعظم من هدف هذه الغريزة (الدافع للأكل) لكي نحافظ على صحتنا الجسدية ونشارك في صنع حياة مجتمعاتنا ونملك رزق يومنا ورزق أولادنا. ولكن **كثيرا ما يجتهد هذا الواعظ أيضا في تحقير أو تسفيه أو**

الإقلال من قيمة المتعة المصاحبة للأكل، ظانا بل مؤكدا (للتقوى الجاهلة) أن الصوم هو أساسا لا يتحقق إلا بالبعد القهري من إرادة الله في التمتع. وأن البعد الدائم، إن أمكن، عن المتعة هو ما يسعى إليه من يسعون نحو القداسة وإرضاء الله. **ويكون الواعظ بهذا التعليم مساويا، ولو بصورة لاشعورية إمعانا في التشدد النسكي، بين المتعة التي مصدرها الله وبين الخطية التي مصدرها الشيطان!**

أما الإباحي الساعي وراء المتعة وحدها فهو يريد متعة الأكل والنهم المفجوع فقط، بدون الإهتمام بصحة جسده، وهنا تكون خطية النهم والفجع، وقد تتحول إلى مرض البوليميا النفسي، والسمنة المفرطة والمميتة أحيانا.

• **ثانيا: الدافع الجنسى:**

هدف هذا الدافع الأول والأهم والجوهري ليس هو التناسل كما يعلم الكثيرون الذين يحتقرون الجنس ولا يرون في المرأة إلا كائنا يسبب للإنسان شهوة شريرة، لا يحتملها الله أو الإنسان القديس، إلا لأنها السبيل الوحيد للتناسل. بل ويحتمل هذا الإنسان المتزمت هذه الشهوة، أو بالأحرى يجب أن نسميها ''**شهية مقدسة**''، يحتملها المتزمت على مضض! (أنظر الإقتباسات الآبائية المؤسفة عن الجنس في الزواج من كتاب ''سر الحب'' للكاتب الروسي الأرثوذكسي بول إفدوكيموف، ورأي القديس كيرلس الكبير كما قدمه لنا الأب متى المسكين، في المقالة الرابعة في هذا الكتاب، تحت عنوان ''شهادة التاريخ'').

إنما هدف خلق الله للجنس في قصة خلق الإنسان في سفر التكوين هو "الحب والشركة والإتحاد" بين كائنين متساويين في الطبيعة والكرامة. وهذا الهدف رأي الله أنه يتحقق فقط عن طريق التجاذب الجنسي الذي يحتمه التميّز الجنسي بين ذكر وأنثى، والذي وحده يثمر لنا "إلتصاق" الرجل بالمرأة والذي به وحده "يصير الإثنان واحدا"، فقط بهذا الإلتصاق الجسدي الرائع التدبير من الله ذاته. وأما التناسل فهو ثمرة ثانوية قد تأتي وقد تغيب أو لا تأتي، وهذا لا يُنقص من هدف الجنس شيئا في الزواج:''و قال الله نعمل الإنسان على صورتنا

كشبهنا .. فخلق الله الإنسان على صورته. على صورة الله **خلقه** [بالمفرد لتأكيد الوحده والمساواة الكاملة لصورة الله في المرأة والرجل] **ذكرا وأنثى** خلقهم [= التميز الجنسي فقط هو ما يفرق الرجل عن المرأة] ... وقال الرب الإله: **ليس جيدا أن يكون آدم وحده (أو حواء وحدها)** [و لذلك من يعظمون البتولية على الزواج يبدو أنهم أكثر حكمة من الله في أعين أنفسهم!] فأصنع له معينا **نظيره** [= مساوي له في الطبيعة والكرامة والمجد] ... وبنى الرب الإله الضلع التي أخذها من آدم إمرأة، وأحضرها إلى آدم. فقال آدم هذه الآن عظم من عظامي ولحم من لحمي ... **لذلك** [أي بسبب هذا التميز الجنسى] يترك الرجل أباه وأمه [و تترك المرأة شعبها وبيت أبيها] **ويلتصق بإمرأته ويكونان جسدا واحدا.**'' (تكوين ١ عدد ٢٦-٢٧ وتكوين ٢ عدد ١٨-٢٤).

أي بحسب تدبير الله يجب أن يقدر الإثنان على أن يتحدا (يلتصقا) جنسيا، ليحققا فعل "ما جمعه الله" ويتمما "سر الزيجة"، بطقسه الإلهي، وإلا تحكم الكنيسة ببطلان هذا الزواج. ولكن، في حالات نادرة جدا يرغب الزوجان في الإمتناع عن الجنس الزوجي بكامل حريتهما، مفضلين التبتل، أيا كانت الأسباب. هنا تكون العلاقة جوهريا علاقة ''**أخوية**'' وليست ''**زوجية**''. والكنيسة لا تمانع في هذا الإرتباط الأخوي مادام بالإتفاق الحر.

أما **الداعر** فلا يريد من الدافع الجنسي سوى متعته فقط، **بدون مسؤلية هدفه.** الداعرلا يريد **الإلتزام** الزوجي (الهدف) بمن يعاشره، لأن مع الإلتزام الزوجي يكون ''تعب'' المحبة، والإباحي جبان أناني لا يقوى أن يحب. الداعر يفهم الجنس على أنه فقط سعي لمتعة إحتكاك جلدين. **أما الجنس عند المحب الملتزم فهو سعي لوصال روحين، ووحدة شخصين** وتحقيق أيقونة سر وحدة الثالوث القدوس، بالجنس الملتزم في الزواج. الداعر "**يشيّء**" الآخر (يستعمله كشيء)، ولكنه لا يعرف كيف يحبه كشخص على صورة الله ذاته، يستحق أن يموت فداء عنه وحبا فيه، كما أحب المسيح الكنيسة (البشرية) وبذل ذاته من أجلها، هياما وعشقا فيها. خطية الداعر ليست في العلاقة الجنسية الطبيعية التي خالقها ومريدها

الله. ولكن خطية الداعر هي في تشييء الآخر، لإستهلاكه كأي سلعة، وعدم الإلتزام به كإنسان خلال الزمن، في الحلوة والمرة، في الصحة والمرض، في قوة الشباب ووهن الشخوخة، في الفقر والغنى، في النجاح والفشل.

وأما **المتزمت** المكبوت جنسيا، وهو للأسف الشديد شخص يكثر تواجده بشدة في الأساط الدينية من كل ملة ودين، خاصة في بلاد الشرق الأوسط، فهو إنسان لا يرى في الجنس إلا هدف التناسل فقط ويرى أن اللذة الجنسية هي شر بلا أدنى شك، حتى أن أحد آباء الكنيسة رأي في الماضى: ''**الحب الزوجي الشديد العاطفة على أنه زنا**''! **وقال القديس باسيليوس الكبير: "الزواج مكرم كعقد للإنجاب فقط، وليس للتمتع**"! (أنظر الإقتباسات الآبائية المؤسفة عن الجنس في الزواج من كتاب ''سر الحب'' للكاتب الروسي الأرثوذكسي بول إفدوكيموف، ورأي القديس كيرلس الكبير كما قدمه لنا الأب متى المسكين، في المقالة الرابعة في هذا الكتاب، تحت عنوان ''شهادة التاريخ'')

- **ثالثا: دافع الحاجة للإمتلاك:**

هدف هذا الدافع هو أن يحصل الإنسان على إحتياجاته وإحتياجات أهل بيته المسؤل عنهم وعن حمايتهم وإسعادهم، بطريقة شريفة وكريمة مقبولة وممتدحة من المجتمع. نحن نعلم أن الإنسان لا يحق له أن يتصرف بكامل حريته في أي شيء كان، مثل ما يأكله أو يشربه أو يستعمله في الحياة، إن لم يحصل على هذا الشيء بواحدة من ثلاثة طرق، لا أعلم لهم رابعة: إما بأن **يقتني** هذا الشيء بمال قد تربحه كرزق مقابل عمل قدمه لآخرين، أو أن يعطى له هذا الشيء على سبيل **الهدية** المجانية من آخر حر سبق له إمتلاك هذا الشيء بشرف وحق، أو **بالسرقة !**

لكن في آخر المطاف لا أستطيع أن آكل أو أشرب أو أسكن أو أتنقل بالمواصلات أو أتحدث بالتليفون أو أتلقى العلاج والخدمات أو أمارس هواياتي ... إلخ، إلا لو إمتلكت الشيء أو الحق في تلقي الخدمات التي بها أتمم ما أريد عمله لكي أحيا سعيدا مسددة إحتياجاتي في الحياة.

لذلك ولكي أعمل وأجتهد لتسديد حاجاتي وحاجات أسرتي وهبني الله متعة الفرح بشراء وإمتلاك ما أحتاج إليه، بعد أن أتكسب رزقي بعرق جبيني، فأتعيش بما إمتلكته وأهديه لأهل بيتي بكل فرح، وأشارك المحتاجين من هذه العطايا، وأقول لله: من يدك وأعطيناك. **بدون هذه المتعة لما أمكنني أيضا أن أجد من يرغب في شراء ما أصنع أو أخترع أو أقدم من خدمات للمجتمع**، سواء كنت مدرسا يخدم بعلمه، أو مزارعا تاجرا، أو صانعا، أو طبيبا أو مهندسا ... إلخ. لأن إنتفاء متعة دافع الرغبة في الإمتلاك يؤدي إلى إنعدام رغبة الآخرين في شراء ما أصنع أو أقدم من خدمات. وهذا يحرمنا بالتالي من تبادل انتاجنا في أي مهنة أو خدمة نعمل فيها، ومن ثم تتوقف حركة تبادل الخيرات وإحتياجنا بعضنا لبعض. فتنتفي قيمة أي شيء ننتجه، والنتيجة الحتمية إنعدام المشاركة والركود وإنعدام الحاجة للآخر ثم الموت إحباطا!

• رابعا: الدافع للتقدير والطموح والترقي وتحقيق الذات بالنجاح:

هدف هذا الدافع هو أن يجتهد الإنسان بكل عزيمة وقوة وجلد طالبا العلم والنبوغ ليرتقي بمواهبه التي أعطاها الله له، سواء علمية أو حرفية أو فنية أو رياضية أو إجتماعية أو فكرية ... إلخ، لكي **يحقق أعلى مستوى ممكن من النجاح باستثمار الوزنات الإلهية المؤتمن عليها من الله، حتى يخدم نفسه وأسرته ومن ثم مجتمعه وبلاده، بل والإنسانية كلها إن كان هذا في مقدور الموهبة المعطاة له.** ولنا في التاريخ أمثلة لطامحين ناجحين خادمين للبشر، كما هو الحال مع يوسف الصديق ومجدي يعقوب وزويل ونجيب محفوظ وكل علماء ومكتشفي ما هو لخير البشرية. أما متعة هذا النجاح وتحقيق الذات فهي المشجع الرئيسي لإجتهاد هذا الإنسان، وإن كان بعد حين من النجاح والنضوج الإنساني يعمل هذا الإنسان من أجل خير الآخرين أساسا، بل وقد يتناسى متعته الشخصية وقد يقبل عن طيب خاطر أن يضحي بحياته وليس فقط راحته، من أجل خير البشر الذين إئتمنه الله على رعايتهم، كما فعل الفريق عبد الفتاح السيسي (و أخوته من

الجيش والشرطة المصرية)، حبا في وطنه وشعبه عالما أن جزاء فشله في ٣٠ يونية ٢٠١٣ كان الإعدام المؤكد!

أما من يسعى لمتعة النجاح والطموح والترقي بهدف التسيّد والتعظم والإنتفاخ الأناني على الآخرين فهذا هو **الإباحي الخاطي، من يسعى وراء المتعة لقهر الآخرين** كهدف شيطاني شرير.

نذر الرهبنة والتخلي الإرادي عن المتعة كذبيحة حب لله:

هناك بعض البشر، حوالي ١-٢٪، مولودون من بطون أمهاتهم هكذا، كما قال الرب يسوع المسيح "**الذين أعطي لهم**" (متى ١٩ عدد ١١) الإستعداد والموهبة للبتولية. أي الذين يكون عندهم الدافع الجنسي هادىء بدرجة تسمح لهم أن يتخلوا بحرية عن الرغبة في الزواج والتمتع الجنسي الطبيعي كما دبره الله لجل البشر، بدون صراع ضد الطبيعة البشرية. ولهذا أيضا يمكث طالبي الرهبنة هؤلاء تحت الإختبار عدة سنوات في الدير، للتأكد من أنهم فعلا من "الذين أعطي لهم" هذا الإستعداد والموهبة، وليس أنهم يرغبون في الرهبنة بتسرع عاطفي غير واع ومضاد لطبيعتهم ودافعهم الجنسي. هؤلاء ينذرون البتولية، والفقر الإختياري، والطاعة (للإنجيل أساسا وليس للبشر) حبا في الله وخدمة الكنيسة، وليس إستنجاسا لمتع الدوافع المذكورة – هذا شرط قبول النذر في عيني الله. هم بذلك **يهبون ويرفعون متع الدوافع السابق ذكرها كذبيحة حب ونذر للرب، ولا يريدون إستعادته. هم إذن بحب لله يحيون بأهداف هذه الدوافع فقط.** والذبيحة كما نعلم يجب أن تكون من خيرة الحملان وأن لا يعتبرها مقدمها أنها نجسة أو بها أي عيب، وإلا لا تقبل عند الله. لذلك لا يحتقر الراهب أو البتول، الحقيقي والسوي نفسيا، الحياة الجنسية للمتزوجين، ولا ينظر إلى أهل العالم (بالمقابلة مع أهل الدير) على أنهم أهل ضعف روحي أو أقل قداسة. لأن ما يتمتع به أهل العالم المتزوجين هو من صنع وتدبير الله ذاته.

و أما الصوم الذي يشترك فيه كل المؤمنين فيمكن إختباره كتقديم ذبيحة مشابهة ومؤقتة، نتخلى فيها طوعا عن متعة الطعام جزئيا ولفترة ما، من أجل التفرغ بصورة أكثر تركيزا على أعمال المحبة لله وللقريب. في فترة الصوم يمتنع الصائم عن الطعام أو أي شهية جيدة وهبها له الله إن أراد، على قدر طاقته و**بحسب إستحسانه الشخصي الحر**. هدف وغاية الصوم، ليس هو إسترضاء لله أو تقديم عبادة يطالبنا بها الله، أو تكفيرا عن ذنوب، بل هو "**تقوية وتدريب الإرادة**" على ضبط النفس حتى تصمد بقوة أفضل وقت التجربة.

ولكن يعلمنا التاريخ أن هناك، للأسف، من المتزمتين من يترهبن لإحتقاره للزواج أو لذة الطعام أو الإمتلاك أو التقدير والنجاح في الحياة الطموحة الطبيعية، أو يكون له توجه يدل على قلة تقديره للدوافع الإنسانية بجمالها وقداستها (خاصة متعها)، كما علم الغنوسيون والمانويون. لهؤلاء تؤكد الكنيسة كما في مجمع جنجرة في القرن الرابع (القوانين ١و٢ و٤)، وكما في دسقولية الآباء الرسل (أنظر المقالة الرابعة في هذا الكتاب) أن توجههم هذا هو "**تجديف على عمل الله في الخليقة**".

و في كتاب "المسيحية والجسد" للأنبا بيمين أسقف ملوي المتنيح كتب عن هؤلاء:

[والذي أدخل إلى التصوف المسيحي مفهوم النسك الخاطىء القائم على منهج الثنائية [التضاد] بين الجسد والروح هي العقيدة الأفلاطونية التي تسربت إلى المسيحية وكانت تنادي بأن العالم المادي ليس من أعمال الله، وأن كل ما هو مجرد فهو راقي. هذا الإتجاه لا يوافق مقاصد الله من الإنسان ولكن الإفلاطونية ألقت بظلها على بعض **المناهج النسكية المنغلقة، ونظرت إلى الإنسان على أنه عقل محبوس في جسم مادي يتطلع إلى التحرر منه وأن الجسد مقبرة للروح.** ولكن الثالوث الأقدس عندما خلق الإنسان خلقه جسما ونفسا معا، وحين نزل الله الكلمة الإبن الأزلي إلى أرضنا ليفتدي الإنسان لم يأخذ نفسا فقط بل أخذ

جسدا أيضا لأنه شاء أن يفتدي الإنسان بأكمله جسما ونفسا.

و الكتاب المقدس دائما أبدا يرفض نظرية الثنائية تماما ويؤكد نظرية الوحدانية – وحدة السيكوفسيولوجي – وقد ألمحنا إلى هذا في بداية هذا البحث. وقد حرم مجمع عنغرة المكاني في القرن الرابع كل الذين يدينون الزواج أو يحرضون على التعفف بسبب الخوف من الزواج لا بسبب جمال البتولية. وقوانين الرسل تحكم على الإكليروس والعلمانيين الذين يمتنعون عن الزواج وأكل اللحم وشرب الخمر باعتبارها نجسة وتسميهم **مجدفين على عمل الخليقة.** **ولا يزعجنا ما نقرأة في بستان الرهبان من قصص هدفت إلى تعذيب الهيكل الجسدي**، فهذه الخبرات إنما هي شخصية أولا وقبل كل شيء. إنما يلزمنا أن نفهمها على أنها محاولات للوصول إلى الإستنارة والمعرفة الكاملة للخسائر التي سببها الشر داخل النفس.] صفحة ٦٦-٦٧

حياة القداسة الإنسانية هي إذن أن نحيا متع وأهداف الدوافع الإنسانية "في آن واحد"، بدون إنشقاق أو إنفصام أو تجاهل أو إحتقار لأي من الأهداف أو المتع. لأن الله خلق ووهب لنا كل شيء بغنى للتمتع والنجاح (١ تيموثاؤس ٦ عدد ١٧).

وأما "**التزمت**" فهو موقف هذا الواعظ الذي ذكرته. التزمت هو أن يحيا الإنسان ظانا أن الله قد خلقه ليحقق **فقط أهداف** الدوافع المذكورة، متنكرا ومستنجسا ورافضا، بضمير أثيم منجس، كل متع ولذات هذه الأهداف. هذا التجديف على خليقة الله نراه بصورة جلية في الفكر الديني السلفي المتزمت في كل الأوساط الدينية، في كل دين وملة.

أما **ما يفعله الشر في الإنسان فهو ضرب وتحطيم هذه الوحدة والتناغم بين المتعة والهدف:** واهما بعض البشر أن خلاصهم وسعادتهم هي في اللذات والمتع فقط. وواهما البعض الآخر أن خلاصهم هو في تحقيق أهداف الدوافع فقط، مع التنكر للمتعة وإستنجاس وإحتقار كل ما يُشعر الإنسان بلذة، خاصة فيما يتعلق بالأكل والجنس والإمتلاك والحاجة إلى التقدير والفرح بالنجاح والطموح والترقي وتحقيق الذات. فيسعى **الإباحي** وراء المتعة وحدها لأنه يجبن على

تحمل مسؤليات تحقيق الأهداف السامية. ويسعى **المتزمت** نحو أهداف الدوافع مستنجسا متعها، بل ويُعلّم الناس أن المتعة واللذة هي هي الخطية بعينها، ويجب وأدها بكل قوة النسك لإرضاء الله، والحياة "بما لا يخالف شرع الله" (كما فهمه المتزمت)!!! **الإباحي والمتزمت هما إذن وجهان لعملة واحدة وهي رفض مشيئة الله الصالحة لخير الإنسان ونموه فرحا.**

و كان الجيل الأول من الرسل يواجه بقوة هذا الأفكار المدنِسة لخليقة الله الطاهرة والجنس الزوجي الملتزم. ولكن للأسف الشديد الآثار الغنوسية والمانوية وجدت لها أرضا خصبة جدا لتنموا وتنشط بقوة في النسك الشرقي، خاصة في الصحاري المصرية وبقية الشرق الأوسط، كما تؤكد مخطوطات نجع حمادي ووادي قمران، وبعض الأدبيات النسكية في كتابات بستان الرهبان، كما قرأنا في المقالة الرابعة في هذا الكتاب، تحت عنوان "شهادة التاريخ".

أنظر الرسم الشارح لهذه العلاقة بين المتعة والهدف للدوافع الإنسانية في الإنسان المتكامل السوي نفسيا وما تحدثه الخطية من تشويه في الإنسان المنقسم. وهذا التشويه يمكن أن يصلحه الروح القدس ويرجعه لأصله وتدبيره الإلهي الذي جبل عليه بعمل الفداء والمصالحة، الذي قدمه الآب لنا بعمل المخلص، للتناغم مرة ثانية:

المتعة و الهدف فى الدوافع الإنسانية

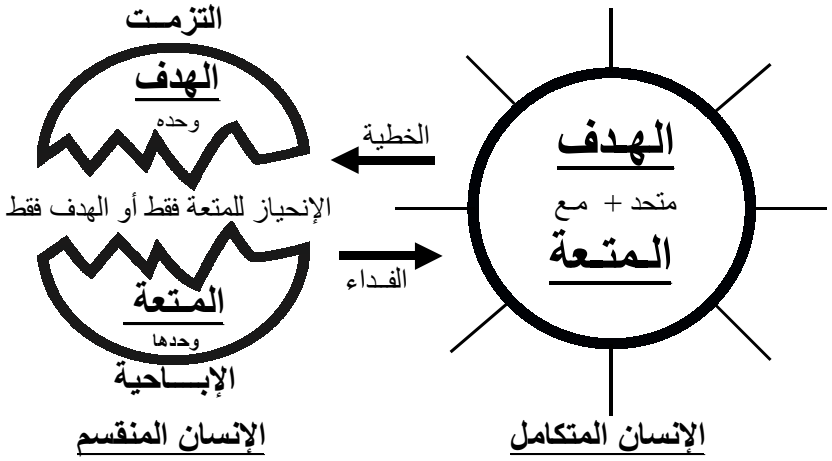

معنى محبة العالم!

+ لا تحبوا العالم ولا الأشياء التي في العالم. إن أحب أحد العالم فليست فيه محبة الآب. لأن كل ما في العالم شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة، ليس من الآب بل من العالم (١ يو ٢ عدد ١٥-١٦) ....

+ لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل إبنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية .... (يو٣ عدد ١٦):

كيف لنا أن نتفهم ونحيا "**لا تحبوا العالم** ... " مع "**هكذا أحب الله العالم** ..."؟!!! هل نحبه أم لا نحبه؟ هناك ثلاث كلمات في الكتاب المقدس تستعمل أحيانا بالمعنى الخير الجيد، وأحيانا بالمعنى المذموم الشرير. وإن لم نعي جيدا وبحكمة كيفية التمييز بين الإستعمالين لكل من هذه الكلمات فنحن عرضة للسقوط في حيرة وتشتت بل في أمراض نفسية وروحية لا حصر لها، كما نوهت في جل المقالات المذكورة في هذا الكتاب.

الثلاث كلمات هى: العالم – الجسد – الشهوة (= الشهية):

- **أولا: العـــــالم:**

العالم المحبوب منا ومن الله هو العالم الخير الذي خلقه الله بكل ما فيه من متع وأهداف لهذه المتع وخيرات كثيرة وهبنا الله إياها، متى **عشناها وإستعملناها بحسب مشيئة الله، كما درسنا**. علينا أن نحقق **التكامل والإعتدال الوسطي بين التمتع** بمتع الحياة مع **تحقيق أهداف هذه الدوافع**، بدون إنحراف نحو "**الأهداف**" فقط، ولا التوجه نحو "**متع ولذات**" الحياة فقط.

وبالتالي **العالم المذموم**، والذي يرفضه الروح القدس على لسان يوحنا الحبيب في الفقرة المذكورة، فهو العالم المشتت المنقسم، والذي أغلبية البشر ينحرفون فيه **للتمتع الإباحي الخاطىء فقط**، أو تنحرف الأقلية منهم **لتعظيم أهداف الدوافع مع إستنجاس المتع المصاحبة لكل دافع.**

• **ثانيا: الجســـــد:**

درسنا في المقالة الرابعة ما كتبه المطران جورج خضر اللبناني الأرثوذكسي عن **هرطقات إحتقرت الجسد:**

[أما ما جاء في الكتاب المقدس عن صدام الجسد والروح فإنما المقصود به شيء آخر بالكلية. عند بولس الرسول لفظتان (سوما) أي بدن ولفظة (ساركس) التي ترجمت أيضا جسد وهذا سبب إلتباسا عندنا نحن القراء العرب. الـــــ (**سوما**) هو البدن اللحمي الطاهر والخير، والـــــ (**ساركس**) هو ما يسميه بولس "**جسد الخطية**" أو كيان الخطية. في الإنسان كيان أصيل أساسي آت من الله نفسا وجسدا معا، والإنسان الأصيل غير المشوه هو الـــــ (سوما). أما الـــــ (ساركس) فهو الإنسان المشوه المنفسد نفسا وجسما معا. **الإنسان كله، آدم الجديد، من حيث هو جسد وروح بتأثير الروح القدس يسمى (بنيفما) أي روح عند بولس الرسول. والإنسان كله بوصفه متأثرا بالخطية يسمى (ساركس) أي جسد آدم العتيق.**

الجسد يشتهي ضد الروح والروح ضد الجسد، يعني صراع بين آدم العتيق وآدم الجديد في داخل الإنسان ذاته، **وليس هو صراعا بين روح وجسد الإنسان** خليقة الله الطاهرة. فإن كان الجسد في الإنسان أصيلا (آدم الثاني) صارت كل أعمال الجسد مباركة وروحية ....

لذلك كفر بولس الرسول أناسا في عهده كانوا يحتقرون الجسد: «مرائين ينطقون بالكذب ... يمتنعون عن الزواج وعن أطعمة خلقها الله ... فإن كل خليقة هي حسنة» (١ تيموثاؤس ٤ عدد ١-٢٥). وقد جاء قوم مثلهم في العصور التالية سموا بالإنكراتيين، أي المستعفون، المتزمتون في العفة. **لذا جاء في مجمع غنغرة (القرن الرابع): «أناثيما كل من يحرم شرب الخمر والزواج وأكل اللحم».** وقد إنتشرت كثيرا هذه الفكرة المحقرة للجسد عن طريق المانوية الآتية من فارس. وكانت هذه الشيع المسماة بأصحاب المعرفة (الغنوسيين) الذين كان

بعضهم يحتقر الجسد والزواج. وهذا الإحتقار عندهم ناتج من كونهم يحتقرون المادة ويقولون أنه لا يمكن أن يمس الله المادة وأن يخرج منها مباشرة العالم المنظور. (إنتهى الإقتباس من المطران جورج خضر)]

• **ثالثا: الشهية أم الشهوة؟**

كلمة « **شهوة**»، وإن كانت لا تختلف لغويا في العربية عن كلمة «**شهية**» (لأن أحرف العلة، واو – ياء – ألف، يمكن إستبدالها بحرية)، إلا أن إستعمالها (أي كلمة شهوة) في الأدبيات النسكية والسلوكيات الروحية تعبر وتعطي معنى مغايرا لكلمة شهية، مع فارق كبير جدا.

كلمة «**شهوة**» غالبا ما تعني «**رغبة خاطئة**»:

Concupiscence (Latin) = **Lust** (English) = bad desire, especially sexual

وأما كلمة "**شهية**" فتعني "**رغبة جيدة مقدسة**" وبالإنجليزية:

Appetite = good desire

لذلك فتعبيرات "**الشهوة الجنسية**" أو "**شهوة الطعام**" أو "**شهوة الإمتلاك**" أو "**شهوة التقدير والطموح**" في الأدبيات النسكية غالبا ما تعني **رغبات الإنسان العتيق الترابي الخاطئة**، ولا تعني شهيات الإنسان الروحي المقدسة التي للدوافع الإنسانية كما خلقها الله فينا لتحقيق سعادتنا. ومن هنا كانت أهمية إستيضاح "كيف نقرأ" ما كتبه يوحنا الرسول عن الرغبات الخاطئة التي في العالم والتي يجب أن نرفضها ولا نحبها:

+ **فشهوة الجسد المذمومة** هي سعي الإنسان **فقط نحو متع** الدوافع الإنسانية (خاصة الأكل والجنس) التي درسناها ، بعيدا و**بدون السعي لتحقيق أهداف هذه الدوافع**، كما أوضحت بالرسم السابق واللاحق، وهذا ما نسميه "الإباحية".
+ **وشهوة العيون المذمومة** هي رغبة التمتع بالإمتلاك، ليس بحسب المشيئة الإلهية لسد إحتياجاتي وإسعاد أهل بيتي وأخوة الرب المحتاجين وتقدم المجتمع الإنساني، ولكن شهوة العيون الخاطئة هي في الإمتلاك لتحقيق متعة

حب الظهور والتعالي على الآخرين وأذية مشاعر المحتاجين، وحتى إذلالهم وإستغلالهم وإبتزازهم، إن أمكن، بما أقدمه لهم مما أمتلك. أي **الإمتلاك لقهر وإستغلال وإستعباد البشر وليس خدمتهم بالمحبة بما أمتلك.**

+ **أما شهوة تعظم المعيشة** فهي الرغبة في الترقي والنجاح والشهرة للتمتع الخاطىء الأناني فقط، للتسيد والتعظم والتكبر على الآخرين، وللصعود إلى أعلى متسلقا فوق أكتافهم بغير وجه حق وبلا جهاد قانوني يستحق الترقي. وهذا مضاد لهدف دافع الطموح والنجاح الخير وهو الترقي لحمل المسؤلية الأكبر والحمل الأثقل والجهاد الشاق للعمل على تقدم المجتمع وخدمة الوطن من المركز الأعلى، وإيثار الآخرين والتضحية بالنفس لتحقيق خيرهم وأنا في موقع السلطة والقيادة المجتمعية.

والرسم التالي يلخص ما كتبته عن كيف نسلك بالإعتدال الوسطي والسلوك الإنساني السوي، بحسب تدبير الله عن إرتباط ''أهداف'' و''متع'' الدوافع الإنسانية **بدون إنحراف دائم** نحو تشدد التزمت، ولا نحو تحرر الإباحية. وقد رسمت **طريق الإعتدال الوسطي كسطور النوتة الموسيقية الخمسة**، ومع الإعتراف بأننا، إن كنا صادقين مع أنفسنا، لا يمكننا أن نسير في خط مستقيم على هذا الدرب الموسيقي الوسطي بكمال مطلق (من قال أنه بلا خطية فهو كاذب). بل نحن حقيقة **نتأرجح ونتذبذب نحو التزمت أحيانا وأحيانا أخرى نحو الإباحية**، نحو تعظيم الأهداف حينا، أو نحو تفخيم المتع حينا آخر. ولكن أعتقد أننا بالرغم من هذا الإنحراف المؤقت (لأعلى أو لأسفل) إلا أن الإنسان المخلص والمعتدل في سلوكه الإنساني (الجسدي والنفسي والروحي) غالبا ما يكون توجهه العام هو الجهاد الدائم للعودة للسير على هذه الخطوط الموسيقية مع ضبط إيقاع نغم سلوكه، قدر المستطاع، **على وحول السطور الموسيقية**، أي العودة بالتوبة سريعا كلما أخطأنا.

أما من يفضل **ويتبنى الإنحراف الدائم** نحو ''أهداف'' الدوافع فقط، أو نحو ''المتع'' فقط فهو يحيا خارج سيمفونية السلوك الإنساني المعتدل.

كيف نسلك؟ لا تحبوا العالم الخاطىء:

شهوات الجسد/العيون/تعظم المعيشة